سيرة الرسول

عن
طبقات ابن سعد

سيرة ابن هشام ـ سيرة ابن سيد الناس
سيرة الشمس الشامي ـ السيرة الحلبية
سيرة زيني دحلان ـ السيرة النبوية للقسطلاني
السيد محسن الامين العاملي

دار الكتب الشعبية

الطبعة الثانية

كانون الثاني - يناير ١٩٧٧

سيرة الرسول

عن
طبقات ابن سعد

سيرة ابن هشام ـ سيرة ابن سيد الناس
سيرة الشمس الشامي ـ السيرة الحلبية
سيرة زيني دحلان ـ السيرة النبوية للقسطلاني
السيد محسن الامين العاملي

دار الكتب الشعبية

بسم الله الرحمن الرحيم

نسبه الشريف

هو محمد بن عبدالله بن المطلب واسمه شيبة الحمد بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي واسمه زيد بن كلاب واسمه حكيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر واسمه قيس بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسمه عامر بن الياس بن مضر واسمه عمرو بن نزار بن معد بن عدنان .

ونسبه صلى الله عليه وآله وسلم الى عدنان متفق عليه وبعد عدنان فيه اختلاف كثير (وكنيته) ابو القاسم .

(وامه) آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب . وامها برة بنت اسد بن عبد العزي وكان وهب سيد بني زهرة خطبها لعبدالله وزوّجه بها ابوه عبد المطلب وكان سن عبد الله يومئذ اربعا وعشرين سنة .

حمله المبارك

حملت به امه ايام التشريق قالت : فما وجدت له مشقة حتى وضعته ثم خرج ابوه عبدالله وامه حامل به في تجارة له الى الشام فلما عاد نزل على اخواله بني النجار بالمدينة فمرض هناك ومات ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حمل وقيل شهر وكان عبدالله فقيرا لم يخلف غير خمسة من الابل وقطيع كان عمره سنتين واربعة اشهر وقيل كان عمره سبعة اشهر وقيل غنم وجارية اسمها بركة وتكنى ام ايمن وهي التي حضنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

مولده الميمون

ولد صلى الله عليه وآله وسلم بمكة يوم الجمعة او يوم الاثنين عند طلوع الشمس او عند طلوع الفجر او عند الزوال على اختلاف الاقوال السابع

عشر من شهر ربيع الاول على المشهور بين الامامية وقال الكليني منهم لاثنتي عشرة ليلة مضت منه وهو المشهور عند غيرهم وبعضهم وافقنا .

واتفق الرواة على انه صلى الله عليه وآله وسلم ولد عام الفيل بعد خمسة وخمسين يوما او خمسة واربعين او ثلاثين يوما من هلاك اصحاب الفيل لاربع وثلاثين سنة وثمانية اشهر ولاثنتين واربعين سنة مضت من ملك كسرى انو شروان ولسبع بقين من ملكه .

قالت آمنة فلما ولدته خرج معه نور اضاء له ما بين المشرق الى المغرب واضاءت له قصور الشام واسواقها حتى رايت اعناق الابل ببصرى ووقع على الارض معتمدا على يديه واخذ قبضة من تراب فقبضها ورفع راسه الى السماء وولد مختونا مسرورا . وارسلت الى عبد المطلب تبشره فسر بذلك ودخل عليها فأخبرته بكل ما رات فاخذه فأدخله الكعبة وقام عندها يدعو الله ويشكر ما اعطاه وقال :

الحمد لله الذي اعطاني ... هذا الغلام الطيب الاردان
قد سادني المهد على الغلمان ... اعيذه بالله ذي الاركان
حتى اراه بالغ البنيان ... اعيذه من شر ذي شنان
من حاسد مضطرب العنان

وكانت ولادته في الدار المعروفة بدار ابن يوسف وهو محمد بن يوسف اخو الحجاج وكان صلى الله عليه وآله وسلم وهبها لعقيل بن ابي طالب فلما توفي عقيل باعها ولده من محمد ابن يوسف اخي الحجاج فلما بنى داره المعروفة بدار بن يوسف ادخل ذلك البيت في الدار ثم اخذته الخيزران ام الرشيد فأخرجته وجعلته مسجدا يصلى فيه وهو معروف الى الآن يزار ويصلى فيه ويتبرك به ولما اخذ الوهابيون مكة في عصرنا هذا هدموه ومنعوا من زيارته على عاداتهم في المنع من التبرك بآثار الانبياء والصالحين وجعلوه مربطا للدواب .

رضاعه

ارضعته اولا ثويبة مولاة ابي لهب بلبن ابنها مسروح اياما قبل ان تقدم حليمة وكانت ارضعت قبله عمه حمزة . فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكرمها وتكرمها زوجته خديجة ام المؤمنين واعتقها ابو لهب بعد الهجرة فكان صلى الله عليه وآله وسلم يبعث اليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت فسال عن ابنها مسروح فقيل مات فسال عن قرابتها فقيل ماتوا .

ثم ارضعته حتى شب، حليمة بنت ابي ذؤيب عبدالله السعدية من بني

سعد بن بكر وكان اهل مكة يسترضعون لاولادهم نساء أهل البادية طلبا للفصاحة ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم انا افصح من نطق بالضاد ، بيد اني من قريش واسترضعت في بني سعد فجاء عشر نسوة من بني سعد بن بكر يطلبن الرضاع وفيهن حليمة فاصبن الرضاع كلهن الا حليمة وكان معها زوجها الحارث المكنى ابا ذؤيب وولدها منه عبدالله فعرض عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت يتيم ولا مال له وما عسى امه ان تفعل فخرج النسوة وخلفتها فقالت لزوجها ما ترى قد خرج صواحبي وليس بمكة غلام يسترضع الا هذا الغلام اليتيم فلو انا اخذناه فاني اكره ان ارجع بغير شيء فقال لها خذيه عسى الله ان يجعل لنا فيه خيرا فأخذته فوضعته في حجرها فدر ثدياها حتى روي وروي أخوه وكان اخوه لا ينام من الجوع فبقي عندها سنتين حتى فطم فقدموا به على أمه زائرين لها واخبرتها حليمة ما رات من بركته فردته معها ثم ردته على امه وهو ابن خمس سنين ويومين .

وقدمت حليمة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعدما تزوج فبسط لها رداءه واعطتها خديجة اربعين شاة واعطتها بعيرا . وجاءت اليه يوم حنين فقام اليها وبسط لها رداءه فجلست عليه .

وجاءه وفد هوازن يوم حنين وفيهم ابو ثروان أو ابو برقان عمه من الرضاعة وقد سبي منهم وغنم وطلبوا ان يمن عليهم فخيرهم بين السبي والاموال فقالوا خيرتنا بين احسابنا واموالنا وما كنا لنعدل بالاحساب شيئا فقال اما ما لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وسأسأل لكم الناس فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله وابى بعض المؤلفة قلوبهم من قبائل العرب وقبائلهم فاعطاهم ابلا عوضا من ذلك ويأتي تفصيله في وقعة حنين . وجاءوا يوم حنين باخته صلى الله عليه وآله وسلم من الرضاعة وهي الشيماء بنت الحارث فقالت يا رسول الله اني اختك من الرضاعة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه وقال ان احببت فعندي محببة مكرمة وان احببت ان اعطيك وترجعي الى قومك فقالت بل تعطيني وتردني الى قومي.

كفالة عبد المطلب النبي (ص)

كفل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ابيه جده عبد المطلب وقام بتربيته وحفظه احسن قيام ورق عليه رقة لم يرقها على ولده وكان يقربه منه ويدنيه ولا ياكل طعاما الا احضره وكان يدخل عليه اذا خلا واذا نام ويجلس على فراشه فيقول دعوه وكان عارفا بنبوته اشار له اليها سيف بن

ذي يزن حين وفد عليه الى اليمن بقوله : انك يا عبد المطلب جده غير كذب (وروى) ابن سعد في الطبقات انه قال قوم من بني مدلج لعبد المطلب احتفظ به فانا لم نر قدما اشبه بالقدم التي في المقام (اي قدم ابراهيم الخليل عليه السلام) منه فقال لابنه ابي طالب اسمع ما يقولون وقال لام ايمن وكانت تحضنه يا بركة لا تغفلي عن ابني وان اهل الكتاب يزعمون ان ابني هذا نبي هذه الامة .

ولما صار عمره ست سنين وذلك بعد مجيئه من عند حليمة بسنة اخرجته امه الى اخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم به ومعه ام ايمن تحضنه فبقت عندهم شهرا وكان قوم من اليهود يأتون فينظرون اليه قالت ام ايمن فسمعت احدهم يقول هو نبي هذه الامة وهذه دار هجرته ثم رجعت به امه الى مكة فتوفيت بالابواء بين المدينة ومكة فعادت به ام ايمن الى مكة الى جده عبد المطلب وبقيت تحضنه فبقي في كفالة عبد المطلب من حين وفاة ابيه ثمان سنين . وتوفي عبد المطلب وعمره ثمانون سنة فلما حضرته الوفاة اوصى ولده ابا طالب بحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحياطته وكفالته ولم يكن ابو طالب اكبر اخوته سنا ولا اكثرهم مالا فقد كان الحارث اسن منه والعباس اكثرهم مالا لكن عبد المطلب اختار لكفالته ابا طالب لما توسمه فيه من الرعاية الكافية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولانه كان على فقرة انبل اخوته واكرمهم واعظمهم مكانة في قريش واجلهم قدرا فكفله ابو طالب وقام برعايته احسن قيام ، وكان يحبه حبا شديدا لا يحبه ولده كان لا ينام الا الى جنبه ويخرج فيخرج معه وصب به ابو طالب صبابة لم يصب مثلها بشيء قط وكان يخصه بالطعام وكان اولاده يصبحون رمصا شعثا ويصبح رسول الله صلى الله عليه واله وسلام كحيلا دهينا وكان ابو طالب توضع له وسادة بالبطحاء يتكيء عليها او يجلس عليها فجاء النبي صلى الله عليه واله وسلم فجلس عليها فقال ابو طالب ان ابن اخي هذا ليحس بنعيم وخرج به معه الى الشام وهو ابن اثنتي عشرة سنة بعدما عزم على ابقائه بمكة لكنه ابى الا يصحبه فأخذه معه حتى بلغ به بصري فرآه بحيرا الراهب فقال احتفظوا به فانه نبي . ولم يزل ابو طالب يكرمه ويحميه وينصره بيده ولسانه طول حياته . وحكى ابن ابي الحديد في شرح النهج عن امالي ابي جعفر محمد بن حبيب ان ابا طالب كان كثيرا ما يخاف على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم البيات فكان يقيمه ليلا من منامه ويضجع ابنه عليا مكانه فقال له علي ليلة يا ابت اني مقتول فقال له ابو طالب :

اصبرن يا بني فالصبر احجى ... كل حي مصيره لشعوب

قد بذلناك والبلاء شديد لفداء الحبيب وابن الحبيب
لفداء الاغر ذي الحسب الثا قب والباع والكريم النجيب
ان تصبك المنون فالنبل تبرى فمصيب منها وغير مصيب
كل حي وان تملى بعمر آخذ من مذاقها بنصيب

واستسقى به ابو طالب وهو صغير . اخرج ابن عساكر ان اهل مكة قحطوا فخرج ابو طالب ومعه غلام كانه شمس دجن تجلت عنها سحابة قتماء فأخذه ابو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام باصبعه وما في السماء قزعة فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا واغدق واخصبت الارض وفي ذلك يقول ابو طالب :

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل
تلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

وشهد الفجار وهو ابن عشرين سنة (والفجار) من حروب العرب المشهورة كانت بين قيس وبين قريش وكنانة فكانت الدبرة اول النهار لقيس على قريش وكنانة ثم صارت لقريش وكنانة على قيس قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حضرته مع عمومتي ورميت فيه بأسهم وما احب اني لم اكن فعلت . وسميت الفجار لانها وقعت في الاشهر الحرم .

تزوجه بخديجة

وخرج الى الشام في تجارة لخديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة مع غلامها ميسرة وكانت خديجة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في تجارتها ولما علم ابو طالب بأنها تهيء تجارتها لارسالها الى الشام مع القافلة قال له : يا ابن اخي انا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان علينا وقد بلغني ان خديجة استأجرت فلانا ببكرين ولسنا نرضى لك بمثل ما أعطته فهل لك ان أكلمها قال ما احببت فقال لها ابو طالب هل لك ان تستأجري محمدا فقد بلغنا انك استأجرت فلانا ببكرين ولسنا نرضى لمحمد دون اربعة بكار فقالت لو سألت ذلك لبعيد بغيض فعلنا فكيف وقد سألته لحبيب قريب فقال له ابو طالب هذا رزق وقد ساقه الله اليك فخرج صلى الله عليه واله وسلم مع ميسرة بعد أن أوصاه اعمامه به فلما بلغ بصرى رآه نسطورا الراهب وقد اظلته غمامة فقال هذا نبي . وباعوا تجارتهم وربحوا اضعاف ما كانوا يربحون وعادوا فسرت خديجة بذلك ووقعت في نفسها محبة النبي صلى الله عليه واله وسلم وحدثت نفسها بالتزوج به وكانت قد تزوجت برجلين من بني مخزوم توفيا وكان قد خطبها اشراف قريش فردتهم فتحدثت بذلك الى

اختها او صديقة لها اسمها نفيسة بنت منية فذهبت اليه وقالت ما يمنعك ان تتزوج قال ما بيدي ما اتزوج به قالت فان كفيت ذلك ودعيت الى الجمال والمال والشرف والاكفاءة الا تجيب قال فمن هي قالت خديجة قال كيف لي بذلك قالت عليّ ذلك فأجابها بالقبول وخطبها الى عمها او ابيها وحضر مع أعمامه فزوّجها به عمها لان اباها كان قد مات وقيل زوّجها ابوها واصدقها عشرين بكرة وانتقل الى دارها وكان ذلك بعد قدومه من الشام بشهرين وايام وعمرها اربعون سنة وكانت امرأة حازمة جلدة شريفة آمنت برسول الله صلى الله عليه واله وسلم اول بعثته واعانته بأموالها على تبليغ رسالته وخففت من تألمه لخلاف قومه وقوت عقيدته ببراهين نبوته اول ظهورها وعزيمته في المضي لما بعث به وقد جاء انه انما قام الاسلام بأموال خديجة وسيف علي بن ابي طالب ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يرى لها المكانة العظمى في حياتها وبعد وفاتها التي كان لا يراها لواحدة من ازواجه .

بناء الكعبة المعظمة

وبنيت الكعبة وهو ابن خمس وثلاثين سنة وكانت قد تشعثت من السيل فخافت قريش من هدمها ثم اقدمت عليه فلما بلغ البناء موضع الحجر الاسود اختلفت بينها فيمن يضعه في مكانه وكل قبيلة ارادت ذلك لنفسها حتى كادت تقع فتنة ثم رضوا بحكمه فحكم ان يوضع الحجر في ثوب ويحمل أطرافه من كل قبيلة رجل فرضوا بذلك ثم اخذه من الثوب ووضعه في مكانه .

صفته

في خلقه وحليته وقد جاءت صفته هذه في كلام ام معبد وامير المؤمنين علي عليه السلام وانس بن مالك وهند بن ابي هالة وفي كلامهم مع ذلك صفة بعض اخلاقه وافعاله ولم نفصل بين الامرين ليتبع الكلام بعضه بعضا ولا يكون مبتورا . وصفته ام معبد الخزاعية حين مر عليها في هجرته الى المدينة كما يأتي حين قال لها زوجها صفيه لي . فقالت :

رايت رجلا ظاهر الوضاءة متبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة وسيم قسيم في عينيه دعج وفي اشفاره وطف وفي صوته صحل احور اكحل ازج اقرن شديد سواد الشعر في عنقه سطع وفي لحيته كثاثة اذا صمت فعليه الوقار وان تكلم سما وعلاه البهاء وكان منطقه خرزات

نظم يتحدرن اجهر الناس وابهاه من بعيد واحلاه واحسنه من قريب حلـو المنطق فصل لا تزر ولا هذر ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو انضر الثلاثة منظرا واحسنهم قدا له رفقاء يحفـون به اذا قال استمعوا لقوله وان امر تبادروا الى امره محفود محشود لا عابس ولا مفند وقيل لامير المؤمنين علي عليه السلام لم يصف احد النبي صلى الله عليه واله وسلم كما وصفته أم معبد قال لان النساء يصفن الرجال باهوائهن فيجدن في صفاتهن ، ووصفه صلى الله عليه واله وسلم علي امير المؤمنين عليه السلام روى ذلك ابن سعد في الطبقات بعـدة روايـات بينهـا بعض التفاوت والاختلاف في الالفاظ وكأنه وصفه عدة مرار ونحن نجمع بينهـا ونذكر حاصلها قال عليه السلام : كان صلى الله عليه وسلم ابيض اللـون مشربا حمرة ادعج العين سبط الشعر اسوده (وفي رواية لم يكن بالجعـد القطط ولا السبط كان جعدا رجلا) كث اللحية سهل الخد صلت الجبين ذات وفرة دقيق المسربة (وفي رواية طويل المسربة) كأن عنقه ابريق فضة له شعر من لبته الى سرته يجري كالقضيب ليس في بطنه ولا صدره شعره غيره شثن الكف والقدم اذا مشى كأنما ينقلع من صخر (وفي رواية) اذا مشى تقلع كأنما ينحدر من صبب او كأنما يمشي في صبب (وفي اخرى) اذا مشى تكفأ كأنما يمشي في صعد (وفي رواية تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صبب) اذا التفت التفت جميعا كأن عرقه في وجهه اللؤلؤ ولريح عرقه اطيب من المسك الاذفر اذا جاء مع القوم غمرهم ليس بالقصير ولا بالطويـل (وفي رواية) كان ربعة من القوم (وفي رواية) ليس بالذاهب طولا وفوق الربعـة (وفي أخرى) وهو الى الطول اقرب .ولا بالعاجز ولا اللئيم لم ار قبله ولا بعده مثله (وزاد في روايات اخرى) ضخم الهامة ضخم الكراديس (وفي رواية) جليل المشاش والكتد عظيم المناقب عظيم العينين اهدب الاشفـار مشرب العينين حمرة اسود الحدقة ازهر اللون اغر ابلج لم يكن بالمطهم ولا المكلثم وكان في وجهه تدوير أجرد بين كتفيه خاتم النبوة أجود الناس كفا وأجرأ الناس قلبا وأوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة وأوفى الناس بذمة والينهم عريكة واكرمهم عشرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول باغته (او ناعته) لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وآله وسلم . وروي ان خاتم النبوة مثل بيضة الحمامة تشبه جسمه وروي انه شعر مجتمع بين كتفيه ؛ ومما وصفه به بوابه انس بن مالك فيما رواه ابن سعد في الطبقات فقال : ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم (وفي رواية) كان اسمر وهو ينافي الروايات الكثيرة القائلة انه كان أبيض مشربا بحمرة . وما شممت مسكة ولا عنبـرة

اطيب من ريحه كثير العرق . وسئل سعدبن ابي وقاص كما في طبقات ابن سعد هل خضب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قالا لا كان شيبه في عنفقته وناصيته ولو اشاء اعدها لعددتها .. وروى ابن سعد في الطبقات بسنده عن الحسن بن علي عليهما السلام انه سأل خاله هند بن ابي هالة التميمي عن حلية رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وكان وصافا فقال : كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر اذا انفرقت عقيصته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره أزهر واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ في غير قرن . بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله اشم كث اللحية ضليع الفم مفلج الاسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادن متماسك سواء البطن والصدر عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة سبط القصب شثن الكفين والقدمين سائل الاطراف خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال، زال قلعا يخطر تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية خافض الصوت نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسبق من لقيه بالسلام ويبدر اصحابه بالمصافحة دائم الفكرة ليست له راحة لا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يتكلم بجوامع الكلم فصل لا فضول ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم ذواقا ولا يمدحه لا تغضبه الدنيا وما كان لها فاذا تعوطي الحق له يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار، اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث يضرب براحته اليمنى باطن أبهامه اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه ، جل ضحكة التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام .

خصائصه

وهي كثيرة :

جواز نكاح ما فوق اربع بالعقد الدائم متفق عليه بين جميع المسلمين والحكمة فيه امتناع الجور عليهن لعصمته ولا ينتقض بالامام لعدم وجوب اطراد الحكمة وبذلك يبطل قول من يريد عيب الاسلام بأن محمدا صلى الله

عليه واله وسلم كان رجلا شهوانيا وانه حرم على اتباعه ما اباحه لنفسه من التزوج باكثر من اربع فانه منذ تزوج بام المؤمنين خديجة لم يتزوج سواها وذلك مدة ثمان وعشرين سنة سبع عشرة سنة قبل البعثة واحدى عشرة بعدها وهو في مقتبل العمر وريعان الشباب فقد تزوجها وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وقد كان تعدد الزوجات شائعا عند العرب وله عذر في التزوج على خديجة اذ لم يرزق منها ذكرا وبلغت كراهة الجاهلية للبنات الى وادهن ولم يعرف عنه قبل النبوة الميل الشديد الى النساء ومثل هذا لا يمكن في مجرى العادة ان ينقلب وقد تجاوز الخمسين الى رجل شهواني وما يوجد في بعض كتب المؤرخين من المسلمين من انه كان يطوف على نسائه وما يشبه ذلك ان صح ليس فيه ما يؤيد هذا الزعم فهو كما عرفت لم يتزوج على خديجة حتى توفيت فتزوج من تزوج من النساء لامر سياسي من استمالة قبائلهن وآبائهن أو لشفقة كزينب بنت زمعة التي اسلمت وهاجرت ومات زوجها وزينب بنت خزيمة ام المساكين زوجة ابن عمه عبيدة ابن الحارث بن عبد المطلب شهيد بدر وام سلمة التي جرح زوجها باحد ثم انتقض عليه جرحه فمات وكانت ذات أولاد منه وقوع عقد النكاح بلفظ الهبة ولا يلزم بها مهر لقوله تعالى: وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين وجوب التخيير لنسائه بين ارادته ومفارقته لقوله تعالى : يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن الآية تحريم نكاح الاماء عليه بالعقد حرمة الاستبدال بنسائه والزيادة عليهن حين نزول هذه الآية: لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تستبدل بهن من ازواج حتى نسخ بقوله تعالى : انا احللنا لك ازواجك الآية وقيل بعدم وقوع هذا التحريم وجوب السواك والوتر والاضحية عليه وجوب قيام الليل والتهجد فيه لقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك وعن بعض الشافعية انه نسخ وجوب قضاء دين من مات معسرا تحريم الصدقة الواجبة عليه وهي الزكاة من هاشمي وغيره وفي المندوبة خلاف تحريم خائنة الاعين وهو الغمز بها جواز الوصال في الصوم انها تنام عينه ولا ينام قلبه بمعنى التحفظ والحس انه يبصر وراءه كما يبصر امامه كذلك تحريم زوجاته على غيره ان ازواجه امهات المؤمنين لا حقيقة بل في تحريم النكاح ولزوم الاحترام لقوله تعالى : النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم امتياز زوجاته بأن جعل ثوابهن وعقابهن على الضعف عدم جواز سؤال نسائه شيئا الا من وراء حجاب تحريم الكتابة عليه وقول الشعر ونزع لامته اذا لبسها قبل لقاء العدو ابيح له ان يدخل مكة بغير احرام عدم جواز رفع الصوت عليه ومناداته من وراء

الحجرات نصره بالرعب من مسير شهر وجعل من خصائصه وجوب مشاورة اولي النهي والظاهر عدم الوجوب بل هو سياسة لاستمالة القلوب . وذكر له صلى الله عليه واله وسلم خصائص كثيرة غير هذه .

جملة من معجزاته المشهورة

وهي متواترة معنى وان لم يتواتر بعضها لفظا كما تواتر كرم حاتم وان لم تكن كل واحدة من القضايا المنقولة عنه في الكرم متواترة . والمعجزة هي الامر الخارق للعادة المقارن لدعوى النبوة المطابق للدعوى فلو لم يقارن دعوى النبوة فهو كرامة كما يجري على أيدي الاولياء والصلحاء وانكار كرامات الاولياء لا يؤيده دليل . ولو لم يطابق الدعوى فليس بمعجزة كما يحكي ان مسيلمة تفل في بئر قوم سألوه ذلك تبركا فملح ماؤها ومسح راس صبي فقرع قرعا فاحشا ودعا لرجل في ابنين له بالبركة فرجع الى منزله فوجد احدهما قد سقط في البئر والآخر قد أكله الذئب ومسح على عيني رجل استشفى بمسحه فابيضت عيناه . فمن اعظم معجزاته القرآن العظيم الباقي ما بقي الدهر والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد والذي عجزت فصحاء العرب عن الاتيان بمثل اقصر سورة منه وقد تحداهم فيه بذلك في عدة مواضع صارخا بهم كل حين ومقرعا لهم على رؤوس الملأ بضعا وعشرين سنة بقوله : ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعو من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين (وقوله) : وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة (وقوله) قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (وقوله) أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين (وقوله) قل فأتوا بحديث مثله ان كنتم صادقين فما زادوا على الشغب والافتراء بقولهم : ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر . وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر . وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون . وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملي عليه بكرة وأصيلا . وعلى المباهتة والرضى بالدنيئة بقولهم : قلوبنا غلف . وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب . وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون . وعلى الادعاء مع العجز بقولهم : لو نشاء لقلنا مثل هذا . وقد قال الله

تعالى لهم : ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا وما المانع لهم لو ساعدتهم الاستطاعة ان يشاءوا ذلك حين تحداهم وقرعهم بالعجز مع فرط انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا لاسيما في ميدان الفصاحة فلو كان في استطاعتهم تكذيبه والاتيان بشيء مثله لفعلوا ولما عدلوا الى الحرب فان العاقل لا يترك الاسهل ويتبع الاثقل ولكانوا اتوا بشيء كثير يعارضه لانه من جنس كلامهم وفيهم فرسان ميادين الفصاحة والبلاغة ولو وقع ذلك لنقل الينا لتوفر الدواعي الى نقله وما نقل منه قد اكد عجزهم وابان قصورهم عن المعارضة ما ينقل عن مسيلمة من قوله : يا ضفدع الا تنقين اعلاك في الماء واسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين (وقوله) حين سمع اول سورة النازعات: والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والداريات قمحا والطاحنات طحنا والحافرات حفرا والباردات بردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على اهل الوبر وما سبقكم أهل المدر (وقول آخر) الم تر كيف فعل ربك بالحبلى اخرج من بطنها نسمة تسعى (وقول آخر) الفيل ما الفيل وما ادراك ما الفيل له ذنب وثيل ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا لقليل .

(ومنها) انشقاق القمر وذلك لما سأله اهل مكة آية فاراهم حتى رأوا حراء بينهما وهو جبل بين مكة ومنى وقيل ان قوله انشقاق القمر فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه (وفي رواية) تعالى : اقتربت الساعة وانشق القمر ، نزل في تلك الواقعة ويؤيده قوله تعالى بعده : وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فقد ورد ان كفار قريش لما رأوا ذلك قالوا سحركم ابن ابي كبشة وقيل انه اخبار عن المستقبل بلفظ الماضي لتحقق الوقوع كما في ونفخ في الصور ويؤيد قوله تعالى : اقتربت الساعة اذ الظاهر ان المراد بالساعة يوم القيامة وتوالي آيات لمعان مختلفة في الكتاب العزيز غير عزيز وقد يعترض (اولا) بأن الاجرام العلوية لا يتأتي فيها الانخراق والالتئام وهذا الاعتراض لا يكون ممن يعتقد صدق القرآن (وجوابه) ان منكر ذلك منكر لقدرة الله تعالى وليس في ذلك شيء من المحال(وثانيا) انه لو وقع لرآه اهل الارض الذين كان القمر في افقهم فكان يتواتر (وجوابه) ان تواتره غير لازم لانه وقع ليلا في مدة قصيرة فكان جماعة نائمين وجماعة غير ناظرين وجماعة اغلقوا ابوابهم وجماعة بينهم وبينه مانع من غمام ونحوه وكثير ما يخسف القمر ولا يعلم به اكثر الناس مع طول المدة فضلا عن قصرها وجماعة رأوا الفرقتين ولم يعلموا الحقيقة لندرة الوقوع وغرابته والمشركون غلب عليهم العناد .

(ومنها) حبس الشمس قال القاضي عياض في الشفا : خرج الطحاوي

في مشكل الحديث من اسماء بنت عميس من طريقين انه صلى الله عليه واله وسلم كان يوحي اليه وراسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اصليت يا علي قال لا فقال اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعدما غربت ووقفت (ويروي) ووقعت على الجبال والارض وذلك بالصهباء قال (اي الطحاوي) وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات .

ومن معجزاته صلى الله عليه واله وسلم اخباره بالمغيبات وهذا باب واسع يعسر استقصاؤه او يمتنع لكنا نذكر منه هنا امورا :

١ ــ اخباره عمه ابا طالب في حصار الشعب عن اكل الارضة ما كان في الصحيفة من ظلم او جور وبقي ما كان فيها من ذكر الله فكان كما اخبره ويأتي ذلك مفصلا .

٢ ــ اخباره صلى الله عليه واله وسلم ليلة الاسراء عن عير قريش في السيرة الحلبية وغيرها : ان كفار قريش لما اخبرهم صلى الله عليه واله وسلم بالاسراء الى بيت المقدس ووصفه لهم قالوا ما آية ذلك يا محمد قال آية ذلك اني مررت بعير بني فلان بوادي كذا فانفرهم حس الدابة يعني البراق فند لهم بعير فدللتهم عليه وانا متوجه الى الشام ثم اقبلت حتى اذا كنت بمحل كذا مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشف غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان واية ذلك ان عيرهم الآن تصوب من الثنية يقدمهما جمل أورق عليه غرارتان احداهما سوداء والاخرى برقاء فابتدر القوم الثنية فأول ما لقيهم الجمل الاورق عليه الغراراتان فسالوهم عن الاناء وعن نفار العير وعرند البعير وعن الشخص الذي دلهم عليه فصدقوا قوله .

٣ ــ في اعلام النبوة للماوردي عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنسائه ليت شعري ايتكن صاحبة الجمل الادبب تخرج فتنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها ويسارها قتلى كثيرة وتنجو بعدما كادت تقتل فقيل ان عائشة لما وصلت الى مياه بني عامر ليلا نبحتها الكلاب فقالت ما هذا قالوا الحوأب قالت ما اظنني الا راجعة ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال لنا ذات يوم كيف باحداكن اذا نبح عليها كلاب الحوأب . وفي السيرة الحلبية انها لما خرجت الى البصرة في حرب الجمل ومرت بماء يدعى الحوأب نبحتها كلابه فسألت عنه فقيل لها هذا ماء الحوأب فقالت ردوني والله انا صاحبة الحوأب فأحضر لها طلحة والزبير خمسين

رجلا شهدوا ان هذا ليس بماء الحواب وان المخبر لها كذاب قال الشعبي وهي اول شهادة زور في الاسلام .

٤ ــ قوله صلى الله عليه واله وسلم للانصار : انكم ستلقون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني .

٥ ــ قوله لعمار : تقتلك الفئة الباغية وآخر زادك من الدنيا ضياح من لبن وقوله ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار فقتل مع علي عليه السلام بصفين . قال الماوردي الشافعي في اعلام النبوة فلما ذكر الخبر لمعاوية لم ينكره ودفعه عن نفسه بأن قال انما قتله من جاء بـــه .

٦ ــ لما كان صلح الحديبية حين صدته قريش عن العمرة وكتب كتاب الصلح بينه وبين سهيل بن عمرو فقال لعلي عليه السلام اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو . فقال سهيل لو اعلم انك رسول الله ما صددتك ولكن اقدمك لشرفك اكتب محمد بن عبدالله فقال يا علي امـــح رسول الله فقال علي لا استطيع ان امحو اسمك من النبوة فمد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يده الى الموضع فمحاه وقال لعلي ستسام مثلها فتجيب فقيل له مثلها يوم الحكمين حيث ذكر في كتاب التحكيم هذا مـــا تحاكم عليه علي امير المؤمنين فقال له عمرو لو سلمنا انك امير المؤمنين ما نازعناك فمحا امير المؤمنين . ذكره الماوردي في اعلام النبوة .

٧ ــ وفي اعلان النبوة عن عاصم ابن عمرو عن قتادة قال لمـــا رجـــع المشركون الى مكة من بدر قال عمير ابن وهب الجمحي لصفوان بن امية قبح الله العيش بعد قتلى بدر والله لولا دين علي لا اجد له قضاء وعيال لا ادع لهم شيئا لرحلت الى محمد حتى اقتله ان ملأت عيني منه قتلته فانه بلغني انه يطوف في الاسواق فقال له صفوان دينك علي وعيالك اسوة عيالي فاعمد لشأنك فجهزه وحمله على بعير فشحذ عمير سيفه وسمه وسار الى المدينة فدخلها متقلد سيفه فبصر به عمر فوثب اليه ووضع حمائل سيفه في عنقه وادخله على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال تأخر عنه يا عمر ثم قال له ما اقدمك قال لفداء اسيري قال فما بال السيف قال قبحها اللـــه وهل اغنت من شيء وانما نسيته حين نزلت قال فما شرطت لصفوان بـــن امية في الحجر ففزع عمير وقال ماذا شرطت قال تحملت له بقتلي على ان يقضي دينك ويعول عيالك والله تعالى حائل بينك وبين ذلك فقـــال عمـــير اشهد انك لرسول الله وانك صادق واشهد ان لا اله الا الله كنا نكـــذب بالوحي من السماء وهذا الحديث كان سرا بيني وبين صفوان لم يطلع عليه

احد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علموا اخاكم القرآن واطلقوا له اسيره فلحق بمكة ودعاهم الى الاسلام فأسلم معه بشر كثير وحلف صفوان ان لا يكلمه ابدا .

٨ ــ وفيه عن عروة عن عائشة قالت : دخل الحسين بن علي على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وهو يوحي اليه فبرك على ظهره وهو منكب ولعب على ظهره فقال جبريل : يا محمد ان امتك ستفتن بعدك ويقتل ابنك هذا من بعدك ومد يده فأتاه بتربة بيضاء وقال في هذه الارض يقتل ابنك اسمها الطف . فلما ذهب جبريل خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى اصحابه والتربة في يده وفيهم ابو بكر وعمر وعلي وحذيفة وعمار وابو ذر وهو يبكي فقالوا ما يبكيك يا رسول الله فقال اخبرني جبريل ان ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف وجاءني بهذه التربة فأخبرني ان فيها مضجعه .

٩ ــ روى احمد بن حنبل بسنده عن عبدالله بن نجا عن ابيه : انه سار مع علي وكان صاحب مطهرته فلما حاذى نينوى وهو منطلق الى صفين فنادى علي عليه السلام اصبر ابا عبدالله اصبر ابا عبدالله بشط الفرات قلت وماذا قال دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان قلت يا نبي الله اغضبك احد ما شأن عينيك تفيضان ؟ قال بل قام من عندي جبريل قبل فحدثني ان الحسين يقتل بشط الفرات فقال هل لك ان اشمك من تربته قلت نعم فمد يده فقبض قبضة من تراب فاعطانيها فلم املك عيني ان فاضتا .

١٠ ــ اخباره صلى الله عليه وآله وسلم عن زوال ملك فارس وبقاء ملك الروم بقوله لما رأى الناس يستعظمون ملك فارس ما فارس الا نطحة او نطحتان وبعدها لا فارس .

١١ ــ اخباره عن انتصار العرب على الفرس في وقعة ذي قاربين جيوش كسرى وبني شيبان وبكر بن وائل فقال اليوم نصرت العرب على العجم وبي نصروا وجاءهم الخبر انه كان في ذلك اليوم ذكره الماوردي في اعلام النبوة .

١٢ ــ قوله صلى الله عليه وآله وسلم في يوم موته اخذ الراية زيد ابن حارثة وتقدم فقتل ومضى شهيدا ، ثم اخذها جعفر بن ابي طالب وتقدم فقتل ومضى شهيدا ووقف وقفة ثم قال واخذ الراية عبدالله ابن رواحة وتقدم فقتل ومضى شهيدا لان عبدالله توقف قليلا ثم اخذها ذكره الماوردي في اعلام النبوة .

١٣ ــ قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام اشقى الناس احمر ثمود وعاقر الناقة والذي يخضب يا علي هذه مــن هذا واشار،الى لحيته وراسه ذكره الماوردي في اعلام النبوة .

١٤ ــ قوله لعمه العباس وقد اسر يوم بدر افد نفسك وابني اخويـك نوفلا وعقيلا وحليفك ، فقال ليس لي مال ، قال فأين المال الذي وضعتـه بمكة عند ام الفضل حين خرجت وليس معكما احـد فقلـت ان اصبـت فللفضل كذا ولعبدالله كذا ولقثم كذا ، فقال والذي بعثك بالحق ما علم بهذا احد غيري وغيرها ففدى نفسه وابني اخويه وحليفه . الى غيره مما لا يسعه الاستقصاء .

(ومن معجزاته) صلى الله عليه وآله وسلم قبضة قبضة من تراب ليلة اجتماعهم لقتله والقاؤها عليهم فخرج ذاهبا الى الغار ولم يره احد منهم .

(ومنها) نسج العنكبوت وبيض الحمامتين على باب الغار ليلة الهجرة.

(ومنها) ما وقع لسراقة بن مالك بن جشعم من غوص قوائم فرسه في الارض حين لحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الهجرة ويأتي تفصيله .

(ومنها) حلبه الشاة التي لم يطرقها فحل ولا در بها في خبر ام معبد ويأتي ذكر ذلك كله مفصلا عند ذكر الهجرة .

(ومنها) ابراء المرضى والمجروحين ومقطوعي الاعضاء ونذكـر منـه مواضـع :

١ ــ ابراؤه رمد علي عليه السلام بريقه يوم خيبر وكان لا يبصر شيئا ولم ير رمدا بعدها .

٢ ــ ما في اعلام النبوة للماوردي ان طفيلا العامري شكا اليه صلى الله عليه وآله وسلم الجذام فدعا بركوة ثم تفل فيها وامره ان يغتسل بهــا فاغتسل فقام صحيحا .

٣ ــ وفيه ان حسان بن عمرو الخزاعي جاءه صلى الله عليه وآله وسلم مجذوما فدعا له بماء فتفل فيه ثم امره فصبه على نفسه فخرج من علته كأن لم تكن به قط فرجع ودعا قومه الى الاسلام فأسلموا .

٤ ــ رده عين قتادة بن الربيــع يوم احد فكانت احسن عينيــه بصقة فــي نحر كلثوم بن الحصين وقــد رمي بسهم يوم احد . وتفله على اثــر سهم فــي وجه ابي قتادة في غزاة ذي قرد . وعلــى شجة عبدالله بن انيس . وعلى يد محمد بن حاطب وقد احترقت بالقدر . ونفثه على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر . وعلى رجل وراس زيد

بن معاذ يوم قتل كعب بن الاشرف وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق وقد انكسرت فبرؤا جميعا . وعلى يد معوذين بن عفراء وقد قطعت يوم بدر والصقها فالصقت . وعلى عاتق حبيب يوم بدر وقد ضرب عليه فعاد .

(ومنها)استجابة دعائه ونذكر من ذلك مواضيع :

١ ـ في اعلام النبوة للماوردي انالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما تلا: «والنجم اذا هوى» قال عتبة بن ابي لهب كفرت بالذي دنا فتدلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك يعني الاسد فخرج في عير الى الشام فزار الاسد فجعلت فرائصه ترعد فقال اصحابه من اي شيء ترعد فوالله ما نحن وانت الا سواء فقال ان محمدا دعا علي وما ترد له دعوة ولا اصدق منه لهجة ، فوضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ، وحاط القوم انفسهم بمتاعهم وجعلوه وسطهم وناموا فجاء الاسد يستقرىء رؤوسهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فهشمه هشمة كانت اياها فقال وهو بآخر رمق الم اقل لكم ان محمدا اصدق الناس لهجة .

٢ ـ وفيه عن ابن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصلي في ظل الكعبة وناس من قريش وابو جهل قد نحروا جزورا في ناحية مكة فبعثوا فجاءوا بسلاها وطرحوه بين كتفيه وهو ساجد فجاءت فاطمة فطرحته عنه فلما انصرف قال اللهم عليك بقريش وبابي جهل وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن ابي معيط قال عبد الله بن مسعود فلقد رأيتهم قتلى في قليب بدر .

٣ ـ دعاؤه لعلي عليه السلام يوم خيبر بقوله اللهم اذهب عنه الحر والبرد فكان يلبس ثياب الشتاء في الصيف وثياب الصيف في الشتاء. ذكر مضمونه في السيرة الحلبية وغيرها .

(ومنها) اشباع الخلق الكثير من الطعام القليل . وقع ذلك مرارا كثيرة نذكر بعضها :

١ ـ لما نزلت « وانذر عشيرتك الاقربين » دعا بني عبد المطلب وهم اربعون رجلا او يزيدون فاطعمهم رجل شاة وسقاهم عسا من لبن حتى شبعوا ويأتي ذلك عند ذكر المبعث .

٢ ـ حين دعاه جابر بن عبد الله الانصاري يوم الخندق فيما رواه علي بن ابراهيم القمي في تفسيره وغيره ان جابرا دعاه الى الغداء فقال ما عندك قال عناق وصاع من شعير . قال جابر فجئت الى اهلي فأمرتها فطحنت الشعير وذبحت العنز وسلختها وأمرتها ان تخبز وتشوي فلما فرغت اخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن معه في المسجد قوموا فقاموا معه

المهاجرين والانصار اجيبوا جابرا وكان في الخندق سبعمائة فخرجوا كلهم ولم يمر بأحد الا قال اجيبوا جابر فتقدمت وقلت لاهلي قد والله اتاك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما لا قبل لك به فقالت اعلمته انت ما عندنا قال نعم قالت هو اعلم بما اتى فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في القدر ثم قال اغرفي ، وابقي ثم نظر في التنور وقال اخرجي وابقي ثم دعا بصحفة فثرد فيها ادخل عشرة عشرة فأكلوا وما يرى في القصعة الا اثر اصابعهم حتى اكلوا كلهم وبقي لنا من الطعام ما عشنا به اياما .

٣ ـ لما دعاه طلحة الانصاري وليس عنده غير اقراص من شعير فيما رواه الماوردي في اعلاه النبوة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن معه في المسجد قوموا فقاموا معه فقال ابو طلحة يا ام سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وآله واصحابه وليس عندنا من الطعـــام ما نطعمهم ، فقالت الله ورسوله اعلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا ام سليم هلمي ما عندك فجاءت بذلك الخبز فأمر به ففت وعصرت ام سليم عكة لها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما شاء ان يقول ثم ادخلهم عشرة عشرة فأكلوا وشربوا وهم سبعون او ثمانون .

(ومنها) مجيء الشجرة اليه حين دعاها . في اعلام النبوة للماوردي فمن آياته صلى الله عليه وآله وسلم ما حكاه اهل النقل عن علي بن ابـــي طالب عليه السلام انه خطب الناس خطبته المعروفة بالناصعة فقال (وذكر الخطبة الى ال قان) ولقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أتاه الملأ من قريش فقالوا يا محمد انك قد ادعيت عظيما لم يدعه آباؤك ولا احد من اهل بيتك ونحن نسألك امرا ان اجبتنا اليه واريتناه علمنا انك نبي ورسول وان لم تفعل علمنا انك ساحر كذاب . قال لهم وما تسألون قالوا تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك . فقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله على كل شيء قدير فان فعل الله ذلك لكم اتؤمنون وتشهدون بالحق قالوا نعم قال فاني سأريكم ما تطلبون واني لاعلم انكم لا تفيئون الى خير وان منكم من يطرح في القليب ومن يحزب الاحزاب ثم قال يا ايتها الشجرة ان كنت تؤمنين بالله واليوم الاخر وتعلمين اني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي باذن الله تعالى قال علي عليه السلام فوالذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها وجاءت ولها دوي شديد وقصيـــف كقصيف اجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقت بغصنها الاعلى عليه وببعض اغصانها على منكبي وكنت عـــن يمينه فلما نظر القوم الى ذلك قالوا علوا واستكبارا فمرها فليأتك نصفها

ويبقى نصفها فأمرها بذلك فأقبل نصفها كأعجب اقبال واشده دويا فكادت تلتف برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا كفرا وعتوا فمر هذا النصف فليرجع الى نصفه كما كان فأمره فرجع فقلت انا لا إله الا الله فأنا اول مؤمن بك يا رسول الله واول من اقر بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقا لنبوتك واجلالا لكلمتك فقال القوم كلهم بل ساحر كذاب عجيب السحر خفيف فيه وهل يصدقك في امرك هذا الا مثل هذا يعنونني واوردها الرضي في نهج البلاغة .

(ومنها) حنين الجذع . في اعلام النبوة للماوردي كان صلى الله عليه وآله وسلم يخطب الى جذع كان يستند اليه فلما اتخذ منبرا تحول عن الجذع اليه فحن اليه الجذع حتى ضمه اليه فسكن .

(ومنها) تسبيح الحصى في كفه . في اعلام النبوة للماوردي ان مكرز العامري اتاه فقال هل عندك من برهان نعرف به انك رسول الله فدعا بتسع حصيات فسبحن في يده فسمع نغماتها من جوفها .

(ومنها) شكوى البعير اليه قلة العلف وكثرة العمل . في المناقب لابن شهراشوب عن جابر بن عبد الله الانصاري انه جاء جمل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحرك شفتيه ثم اصغى الى الجمل وضحك ثم قال هذا يشكو من قلة العلف وثقل الحمل يا جابر اذهب معه الى صاحبه فأتني به قلت والله ما اعرف صاحبه قال هو يدلك فخرجت معه الى بني حنظلة واتيت به الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال بعيرك هذا يخبرني بكذا وكذا قال انما كان ذلك لعصيانه ففعلنا به ذلك ليلين فواجهه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال انطلق مع اهلك فكان يتقدمهم متذللا فقالوا يا رسول الله اعتقناه لحرمتك فكان يدور في الاسواق والناس يقولون هذا عتيق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(ومنها) نبوع الماء من بين اصابعه وقع ذلك مرارا كثيرة نذكر بعضها :

١ ــ ما ذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي في الطبقات الكبير ، مسندا عن انس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا بماء فاتي به في قدح رحراح فوضع يده فيه فجعل الماء ينبع من اصابعه كأنه العيون فشربنا فحزرت القوم ما بين السبعين الى الثمانين .

٢ ــ فيه ايضا بسنده عن جابر بن عبد الله قال اصابنا عطش بالحديبية فجهشنا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين يديه تور فيه ماء فنال بأصابعه هكذا فيه وقال خذوا باسم الله فجعل الماء يتخلل من اصابعه كأنها عيون فوسعنا وكفانا فشربنا وتوضأنا .

٣ — في غزوة تبوك نبع الماء من اصابعه حتى شرب القوم وتوضأوا وهم الف واربعمائة وفي رواية الف وخمسمائة ذكره في السيرة الحلبية .

ازواجه

قيل تزوج اثنتي عشرة امرأة عربيات محصنات رواه الحاكم في المستدرك عن الزهري وغيره وقيل خمس عشرة امرأة ست من قريش وواحدة من حلفائهم وسبعة من سائر العرب وواحدة من بني اسرائيل . عن قتادة قال الحاكم وخالفهم ابو عبيدة معمر بن المثنى وقوله أقرب الى الصواب ثم حكي عنه انه عدهن ست عشرة . وقيل ثماني عشرة امرأة روى الحاكم في المستدرك عن ابي عبيد القاسم بن سلاّم انه قال : ثبت وصح عندنا انه صلى الله عليه وآله وسلم تزوج ثماني عشرة امرأة سبع من قريش وواحدة من حلفائهم وتسعة من سائر العرب وواحدة من بني اسرائيل من بني هارون اخي موسى عليهما السلام . فأول أزواجه خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزي بن قصي تزوجها بمكة قبل النبوة كما مر وما تزوج بإمرأة حتى ماتت (ثم) سودة بنت زمعة بن قيس عامرية من بني عامر بن لؤي تزوجها في الاسلام بمكة بعد وفاة خديجة (ثم) عائشة بنت ابي بكر تيمية ولم يتزوج بكرا غيرها تزوجها وسائر نسائه بالمدينة . وقيل عقد عليها قبل الهجرة وبني بها بعد الهجرة بثمانية اشهر (ثم) حفصة بنت عمر عدوية تزوجها سنة اثنتين وقيل على راس ثلاثين شهرا من مهاجرة قبل احد (ثم) زينب بنت خزيمة بن الحارث هلالية من بني هلال ابن عامر بن صعصعة . وكانت تسمى ام المساكين تدعى بذلك في الجاهلية لاحسانها اليهم . لم يعلم عام تزوجها . ولا ريب انه لم يكن قبل اربع من الهجرة (ثم) أم سلمة واسمها هند بنت ابي امية واسمه حذيفة بن المغيرة قرشية مخزومية تزوجها سنة اربع وقيل سنة اثنتين قبل حفصة بعد وقعة بدر (ثم) زينب بنت جحش اسدية وهي ابنة عمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل تزوجها سنة ثلاث (ثم) جويرية بنت الحارث من بني المصطلق خزاعية اسرت في غزاة بني المصطلق فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واعتقها او ادى عنها مال كتابتها او فداها ابوها ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنة خمس (ثم) ام حبيبة واسمها رملة بنت ابي سفيان صخر بن حرب اموية تزوجها سنة ست (ثم) صفية بنت حيي بن اخطب من بني اسرائيل من بني النضير اعتقها وتزوجها سنة سبع (ثم) ميمونة بنت الحارث هلالية من بني هلال بن عامر بن صعصعة اخت زينب بنت خزيمة لأمها تزوجها سنة سبع .

قال ابن عبد البر في الاستيعاب فهؤلاء ازواجه اللواتي لم يختلف فيهن وهن احدى عشرة امراة توفي منهن في حياته خديجة بمكــة وزينب بنت خزيمة بالمدينة وتوفي عن تسع منهن .

(وزاد) ابو عبيدة معمر بن المثنى فاطمة بنت شريح بعد ميمونة وقبل زينب بنت خزيمة (وزاد) هند بنت يزيد بعد زينب بنت خزيمة (ثم) زاد اسماء بنت النعمان طلقها قبل الدخول (ثم) قتيلة بنت قيس اخت الاشعث بن قيس (ثم) سناء بنت الصلت السلمية ماتت قبل ان يدخل بها فهذه ست عشرة . وزاد غيره اثنتين طلقهما قبل الدخول (احداهما) التي راى فــي كشحها بياضا واختلف في اسمها وقبيلتها فقيل العالية بنت ظبيان من بني بكر بن كلاب وقيل غير ذلك (والاخرى) التي تعوذت منه بخديعة عائشــة وحفصة لها وهي زينب بنت ابي الجون قلن لها اذا دخل عليك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقولي اعوذ بالله منك ففعلت فقال لها لقد عذت بمعاذ وفارقها . وذكر بعضهم ريحانة بنت شمعون بعد جويرية وانه اعتقها وتزوجها ولم يذكرها ابن عبد البر ولا ابن هشام .

سراريــه

اولهن : مارية بنت شمعون القبطية ام ولده ابراهيم اهداها له المقوقس ملك الاسكندرية ، واهدى معها اختها سيرين وخصيا يقال له : مابور فوهب سيرين لحسان بن ثابت وولدت مارية لرسول الله صلى الله عليه وآلــه وسلم ابراهيم في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة . ومات ابراهيم بالمدينة وهو ابن ثمانية عشر شهرا . وسلمى وميمونة بنت ســعــد . واميمة . وريحانة بنت زيد بن شمعون من بني النضير وقيل من بني قريظة ، تسرى بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم اعتقها ولحقت باهلها .

قصة زينب بنت جحش

هذه القصة تستحق التمحيص فقد نزل فيها القرآن الكريم واشتملت على عدة احكام خالفت احكام الجاهلية وذكر فيها بعض المفسرين من المسلمين ما يشوهها ويخرجها عن حقيقتها كما ذكروا في قصة يوسف وزليخا وداود وامراة اوريا . مثل ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء الى منزل زوجها زيد وكان غائبا فرآها تغتسل فقال سبحان خالقك او ان الهواء رفع

الستر فرآها نائمة فوقعت في نفسه فقال شبه ذلك وانه لما جاء زيد اخبرته فظن انها وقعت في نفسه فأراد طلاقها ليتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له امسك عليك زوجك ونحو ذلك واستغل ذلك من يريد عيب الاسلام والحقيقة ان زينب كانت بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لان امها اميمة بنت عبد المطلب وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يعرفها طفلة وشابة وهي بمنزلة احدى بناته وهكذا يكذب انه لما رآها وقعت في قلبه ثم هو الذي خطبها على زيد مولاه وساق عنه المهر فلو كان لها هذا الجمال البارع وهذه المكانة من قلبه لخطبها الى اهلها بدلا من ان يخطبها على مولاه ولكان اهلها أسرع الى اجابته من اجابتهم الى تزويجها بمولاه وعتيقة واحتمال انها وقعت في قلبه بعدما تزوجت ولم تقع في قلبه وهي خلية سخيف كما ترى فان دواعي الطبيعة قبل تزوجها اكثر واشد ولكن زينب كانت تستطيل على زيد بقربها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانها ابنة عمته وانها قرشية وهو مولى والعرب ترى التزوج بالموالي عارا وانما زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بزيد كسرا لنخوة الجاهلية ورغما عن آبائها واباء عمها عبد الله حتى نزل فيهما على بعض الروايات «وما كان لمؤمن او مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا» فلم يجدا بدا من اطاعة امر رسول الله صلى الله وآله وسلم وكان تزويجها بزيد عن غير رغبة منها احد اسباب نفورها منه . فاشتكى زيد الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرارا سوء خلقها معه وأراد طلاقها والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول له امسك عليك زوجك . ثم لما طال به الامر طلقها وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد تبناه فكان يقال له زيد بن محمد حتى نزلت ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فقيل زيد بن حارثة وكان اهل الجاهلية يجرون على المتبني احكام الابن النسبي من الميراث وتحريم النكاح فانزل الله تعالى. وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . فلما طلقها اراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يتزوجها ليمحو تلك العادة الجاهلية بالفعل كما محيت بالقول وبقي في نفسه بعض الاحجام لما عسى ان يقوله الناس في مخالفة هذه العادة المتأصلة في نفوسهم فيقولوا تزوج زوجة ابنه فخاطبه الله تعالى مقويا عزيمته بقوله : «وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه» فنفذ ما امره الله تعالى به من ابطال احكام الجاهلية وتزوجها فنزل قوله تعالى: فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين في حرج ازواج ادعيائهم

اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا .

ما نزل في سورة التحريم

(يا أيها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضاة ازواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به واظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير . ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا) .

اختلف المفسرون في الذي حرّمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على نفسه فقيل هو العسل لانه شربه عند زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة اذا دخل عليهن ان يقلن انا نشم منك ريح المغافير اكلت مغافير والمغافير صمغ العرفط كريه الرائحة والعرفط شجر فقال لا بل شربت عسلا عند زينب فقلن اذا جرست نحلة العرفط اي شربته فقال والله لا اطعمه ابدا وحرمه على نفسه ، وقيل مارية القبطية وقع عليها في يوم حفصة فقالت له وقعت عليها في يومي وعلى فراشي اما رأيت لي حرمة قال فهي عليّ حرام وقيل بل وقع عليها في يوم عائشة فعلمت بذلك حفصة فاستكتمها وحرم مارية على نفسه فاخبرت عائشة وهو الحديث الذي أسره النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى بعض ازواجه فان القرآن ناطق بأنه صلى الله عليه وآله وسلم بملك ابويهما من بعده واستكتمهما فاخبرت كل واحدة اباها فعاتبهما في امر مارية وأعرض عن الامر الآخر . ومهما يكن من اختلاف المفسرين في الشيء الذي حرمه وفي الذي اسره الى بعض ازواجه فان القرآن ناطق بأنه صلى الله عليه وآله وسلم حرم على نفسه بعض المباحات ابتغاء مرضاة ازواجه وما فعل ذلك الا لمشقة لحقته منهن وأذى اصابه من غضبهن وان بعض ازواجه افشت سره وان اثنتين منهن قد صغت قلوبهما ومالت عن طريق الطاعة وفعلتا ما يوجب التوبة وانهما تظاهرتا عليه . كل ذلك يدلنا على ان الانبياء حتى سيدهم يصابون من قبل نسائهم بما يصاب به سائر البشر من قبل نسائهم من المشاق والاذايا وارتكاب ما لا يحل الا من عصمها الله . واعتزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نساءه تسعة

وعشرين يوما حتى نزلت آية التخيير : يا ايها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا الآية وروى الطبري في تفسيره روايات كثيرة والبخاري في صحيحه ان المتظاهرتين عائشة وحفصة ثم قال الله تعالى : ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين فبين تعالى ان زوجة النبي لا تنفعها زوجيته مع سوء عملها وزوجة الكافر لا تضرها زوجيته مع حسن عملها لكل امرىء ما عمل ثم بيّن في آية أخرى في سورة الاحزاب ان ذنب الواحدة منهن مضاعف العقاب وطاعتها مضاعفة الثواب بقوله تعالى يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما .

اولاده

١ ــ القاسم وبه كان يكنى عاش حتى مشى ومات بمكة .

٢ ــ عبد الله ويلقب بالطيب والطاهر لولادته بعد الوحي ولد بمكة بعد الاسلام ومات بها .

٣ ــ فاطمة وهي صغرى بناته تزوجها علي عليه السلام بعد الهجرة .

٤ ــ زينب وهي كبراهن تزوجها قبل الاسلام ابو العاص القاسم قال المرزباني في معجم الشعراء وهو الثبت ويقال لقيط ويقال مهشم بن الربيع بن عبد العزي ابن عبد شمس بن عبد مناف وهو ابن اخت خديجة امه هالة بنت خويلد فمحمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم صهره .

٥ ــ رقيـة .

٦ ــ أم كلثوم زوجهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عتبة وعتيبة ابني عمه ابي لهب فلما جاء الاسلام بلغ من عداوة قريش للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ان قالوا فرغتم محمدا من همه بتزويج بناته فقالوا لأبي العاص طلق ابنة محمد ونزوجك بنت من أردت من قريش فأبى وطلبوا مثل ذلك الى عتبة وعتيبة فطلقا زوجتيهما فتزوجهما عثمان واحدة بعد واحدة وام الكل خديجة .

٧ ــ ابراهيم بن مارية القبطية ولد بالمدينة ومات وهو ابن ثمانية عشر

شهرا كما مر .

مشاهير كتابه

في السيرة الحلبية عن جماعة كان كتابه ستة وعشرين كاتبا وقيل اثنين واربعين قال واول من كتب له من قريش بمكة عبد الله بن سعد بن ابي سرح العامري ثم ارتد وكان يقول كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم ونزل فيه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا وامر صلى الله عليه وآله وسلم بقتله يوم الفتح ففر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة ارضعته ام عثمان فغيبه عثمان ثم جاء به واستأمن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسكت طويلا ثم قال نعم فلما انصرف عثمان قال صلى الله عليه وآله وسلم ما صمت عنه الا لتقتلوه قال واول من كتب له من الانصار بالمدينة ابي بن كعب كان في اغلب احواله يكتب الوحي قال وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعامر ابن فهيرة وعبد الله بن ارقم وكان يكتب الرسائل للملوك وغيرهم وثابت بن قيس بن شماس وزيد بن ثابت ومعاوية بن ابي سفيان واخوه يزيد والمغيرة ابن شعبة والزبير بن العوام وخالد بن الوليد والعلاء بن الحضرمي وعمرو بن العاص وعبد الله ابن رواحة ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن عبد الله بن ابي سول ملخصا وكانت كتابة جلهم بالمناوبة وعند الحاجة . وحكى صاحب السيرة الحلبية عن بعضهم كان معاوية وزيد بن ثابت ملازمين للكتابة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الوحي وغيره لا عمل لهما غير ذلك قال ابن حجر في الاصابة قال المدائني كان زيد بن ثابت يكتب الوحي وكان معاوية يكتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما بينه وبين العرب . فقول هذا البعض مع جهالته في الوحي وغيره يراد به كتابة زيد الوحي ومعاوية رسائل العرب والا فلا يعارض قول المدائني وفي الاستيعاب معاوية احد الذين كتبوا لرسول الله (ص) ولو كان يكتب الوحي لذكره ثم قال في الاستيعاب : روى ابو داود الطيالسي قال «نا» هشيم وابو عوانة عن ابي حمزة عن ابن عباس ان رسول الله (ص) بعث الى معاوية يكتب له فقيل انه يأكل ثم بعث اليه فقيل انه يأكل فقال رسول الله (ص) لا اشبع الله بطنه .

البعث

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة في السابع والعشرين

من شهر رجب يوم الاثنين على ما روي عن ائمة اهل البيت عليهم السلام وعمره اربعون سنة . وكان قبيل البعثة يختلي للعبادة في غار في اعلى جبل يقال له حراء على ثلاثة أميال من شمال مكة فبقي على ذلك عدة سنين وفي ذلك الغار نزل عليه الوحي وكان اوله الرؤيا الصادقة روى البخاري ومسلم ان اول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان ياتي حراء فيتحنث فيه (وهو التعبد) الليالي ذوات العدد حتى فاجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال : (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) فرجع بها يرتجف فؤاده حتى دخل على خديجة فقال زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة ما لي واخبرها الخبر وقال قد خشيت علي فقالت له كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق وروى الواحدي في اسباب النزول بسنده عن عكرمة والحسن ان اول ما انزل سورة العلق ثم روى بسنده عن جابر ابن عبد الله الانصاري انه سئل اي القرآن انزل قبل قال يا ايها المدثر قبل او اقرأ باسم ربك فذكر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حدثه قال جاورت بحراء شهرا ثم نزلت فاستبطنت بطن الوادي فنوديت فنظرت امامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي ثم نظرت الى السماء فاذا هو في الهواء يعني جبريل فاخذتني رجفة فاتيت خديجة فامرتهم فدثروني ثم صبوا علي الماء فانزل الله علي (يا ايها المدثر قم فانذر) ثم جمع بين الروايتين بالحديث عن جابر عن النبي (ص) بينما انا امشي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالسا على كرسي بين السماء والارض فجئثت منه رعبا فرجعت فقلت زملوني زملوني فدثروني فانزل الله : يا ايها المدثر قال الطبرسي في مجمع البيان بعد نقل ذلك : وفي هذا ما فيه لان الله تعالى لا يوحي الى رسوله الا بالبراهين النيرة والآيات البينة الدالة على ان ما يوحي اليه انما هو من الله تعالى فلا يحتاج الى شيء سواها ولا يفزع ولا يفرق وقيل انه كان قد تدثر بشملة صغيرة لينام فنزلت وقيل اول ما انزل سورة الفاتحة ففي مجمع البيان ان الحاكم روى بسنده ان رسول الله (ص) قال لخديجة اذا خلوت سمعت نداء فقالت ما يفعل الله بك الا خيرا فوالله انك لتؤدي الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث قالت خديجة فانطلقنا الى ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزي وهو ابن عم خديجة وكان من اهل العلم الاول فاخبره رسول الله (ص) بما رأى فقال له ورقة

اذا اتاك فاثبت له حتى تسمع ما يقول ثم ائتني فاخبرني فلما خلا ناداه يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتـــى بلغ ولا الضالين قل لا إله الا الله فاني ورقة فذكر له ذلك فقال له ابشر ثم ابشر فانا اشهد انك الذي بشر به ابن مريم وانك على مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل وانك سوف تؤمر بالجهاد ولئن ادركني ذلك لاجاهدن معك .

وروي ان ورقة قال في ذلك :

فان بك حقا يا خديجة فاعلمـــي حديثك ايانا فأحمد مرســـل
وجبريل يأتيـــه وميكـــال معهما من الله وحي يشرح الصدر ينزل
يفوز بـــه مـــن فاز عزاً لدينـــه ويشقى به الغاوي الشقي المضلل
فريقان منهم فرقـــة في جنانـــه واخرى باغـــلال الجحيم تغلـــل

(أقول) وفي هذا ايضا ما فيه كما سبق عن مجمع البيان من ان الله تعالي لا يوحي الى رسولهالا بالبراهين النيرة لم يكنورقة أعرفبالله وبآياته منه صلى الله عليه وآله وسلم حتى يأتي اليه ويستثبت منه ويوشك ان تكون هذه الروايات كروايات الغرانيق الآتية وسهوه في الصلاة وشبه ذلك.

احتباس الوحي عن رسول الله

في مجمع البيان : احتبس عنه الوحي خمسة عشر يوما عن ابن عباس وقيل اثني عشر يوما عن ابن جريج وقيل اربعين يوما عن مقاتل قال ابـــن عباس فقال المشركون أن محمدا قد ودعه ربه وقلاه (ودعه) تركه (وقلاه) ابغضه ولو كان امره من الله لتتابع عليه الوحي فنزلت (والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) وروى الواحدي في اسباب النزول عـــن البخاري ومسلم ان امراة من قريش قالت له ما ارى شيطانك الا ودعـك فنزلت وحكى الطبرسي في مجمع البيان ان القائلة له ذلك هي ام جميل بنت حرب زوجة ابي لهب . وروى الواحدي في اسباب النزول انه ابطا جبريل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجزع جزعا شديدا فقالت خديجة قد قلاك ربك لما يرى من جزعك فنزلت (اقول) الصواب ان القائل له ذلك المشركون او ام جميل او الجميع اما خديجة فكانت اعرف بمقـام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ان تقابله بهذا الكلام وكانت عادتها اذا رات منه ما يهمه ان تسليه لا ان تزيد في همه وتجابهه بقولها: قـــد قلاك ربك .

بماذا بعث النبي

فبعث الله تعالى نبيه على حين فترة من الرسل خاتما للنبيين وناسخا شرائع من كان قبله من المرسلين الى الناس كافة لسودهم وابيضهم عربيهم وعجميهم وقد ملئت الارض من مشرقها الى مغربها بالخرافات والسخافات والبدع والقبائح وعبادة الاوثان .

فقام (ص) في وجه العالم كافة ودعا الى الايمان بإله واحد خالق رازق مالك لكل امر وبيده النفع والضر لم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل ولم يتخذ صاحبة ولم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد امرا بعبادته وحده لا شريك له مبطلا عبادة الاصنام والاوثان التي لا تضر ولا تنفع ولا تعقل ولا تسمع ولا تدفع عن انفسها ولا عن غيرها ضرا ولا ضيما متمما لمكارم الاخلاق حاثا على محاسن الصفات آمرا بكل حسن ناهيا عن كل قبيح . قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله .

سهولة الشريعة الاسلامية وسماحتها

واكتفى من الناس بأن يقولوا لا إله الا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويصوموا شهر رمضان ويحجوا البيت ويلتزموا باحكام الاسلام . وكان قول هاتين الكلمتين لا إله الا الله محمد رسول الله موجبا ان يكون لقائلهما ما للمسلمين وعليه ما عليهم على اي حال كان ولو قالهما والسيف على راسه .

القرآن الكريم

وانزل الله تعالى على نبيه حين بعثه بالنبوة قرآنا عربيا مبينا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد اعجز به البلغاء واخرس الفصحاء وتحداهم فيه بالمعارضة وعجزهم فلم يستطيعوا معارضته وهم افصح العرب واليهم تنتهي الفصاحة والبلاغة فحوى من أحكام الدين وأخبار الماضيين وتهذيب الاخلاق والامر بالعدل والنهي عن الظلم وتبيان كل شيء ما لا يزال يتلى على كر الدهور ومر الايام وهو غض طري يحير ببيانه العقول ولا تمله الطباع مهما تكررت تلاوته وتقادم عهده .

العدل والمساواة في الحقوق

الشريعة الاسلامية يتساوى فيها جميع الخلق في الحقوق : الملوك والرعايا والامراء والسوقة والاشراف وغيرهم والاغنياء والفقراء لا يحل مال امرىء الا عن طيب نفسه ولا شفاعة في حد والعدل شامل للكل . وامرت لاعدل بينكم . ان الله يأمر بالعدل والاحسان . اعدلوا هو اقرب للتقوى ، واذا قلتم فاعدلوا ، ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها . واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ، فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين .

القضاء في الشريعة الاسلامية

يجب في القاضي ان يكون عادلا عالما بالقضاء ومن آدابه ان يجلس في وسط البلد وان لا يقضي مع شغل القلب بغضب وجوع وعطش وهم وفرح وغيرها وعليه ان يسوي بين الخصمين في الكلام والسلام والمكان والنظر والانصات والميل القلبي الا ان يخرج من الاختيار وليس له ان يضيف احد الخصمين دون الاخر ولا ان ينظر الى احدهما ويقول له تكلم بل اما ان يسكت حتى يتكلم واحد منهما او ينظر اليهما معا ويقول ليتكلم المدعي او يقول ذلك بدون ان ينظر الى احد ، ويجب العدل في الحكم ويحرم الرشوة وقبول الهدية وان يلقن احد الخصمين ما فيه ضرر على خصمه ولا يجوز ان يتمتع الشاهد بان يداخله في كلامه ما فيه نفع او ضرر المشهود له او لخصمه او يرغبه في الشهادة ويلزم في الشاهد العدالة ولا تقبل شهادة الشريك لشريكه ولا العدو ولا شهادة المتبرع بشهادته قبل ان يسال ويجمع القاضي قضايا كل يوم ويكتب عليها قضايا يوم كذا في شهر كذا في سنة كذا ثم قضايا كل اسبوع ويكتب عليها كذلك ثم قضايا كل شهر ويكتب عليها كذلك ثم قضايا كل سنة ويكتب عليها كذلك حتى يهون عليه استخراج كل قضية عند الحاجة اليها . وخوف النبي (ص) من يدعي ما ليس له بحق فقال : انما اقضي بينكم بالبينات والايمان فمن اقتطعت له قطعة من مال اخيه فكانما اقتطعت له قطعة من نار جهنم .

المحرمات والمناهي في الاسلام

وما حرم الدين الاسلامي الربا والزنا والفواحش وشرب الخمر قليله

وكثيره وكل مسكر والقمار: انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه . والغيبة ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب احدكم ان لحم أخيه ميتا فكرهتموه والنميمة والحسد والكذب الا في الاصلاح بين الناس ورفع الضرر . وحرم كتمان الشهادة ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه . والسرقة وقتل النفس المحرمة وقطع الطريق والغش والخيانة والقاء الفتن والبغي والرشا وخلف العهد واليمين والاسراف وتضييع المال واكل المال بالباطل . ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام ، واكل الميتة والدم ولحم الخنزير والخبائث وكل مضر بالبدن ونهى عن الضرر والضرار وعن التنازع والنابز بالالقاب : ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاثم الفسوق بعد الايمان : قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون . قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفس الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهدالله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون .

ولم يحرم الا ما فيه مفسدة ومضرة ظاهرة للعيان متكرر حصولها في كل وقت واوان . فكم ترى من المفاسد في الربا بذهاب الثروات والحرمان من ثواب القرض . وفي الزنا من اختلاط الانساب وفساد نظام العائلة وقتل النفوس وتفشي الامراض المهلكة . وفي شرب الخمر من زوال العقل وصيرورة المرء اضحوكة للناس ووصوله الى أقصى دركات المهانة والسفالة ومن هلاك النفوس وتلف الاموال والاضرار بالبدن والنسل وضياع العرض والشرف حتى ان دولة الولايات المتحدة حرمته بعد الف وثلاثمائة سنة وزيادة من تحريم الاسلام وقادتها عقولها الى متابعة الاسلام في تحريمه وهي تدين بغيره . وفي القمار من تلف الاموال وهياج الشر وفي الغيبة والنميمة من حصول العداوات والفتن والاخلال بالهيئة الاجتماعية الى غير ذلك ولم يكتف الشرع الاسلامي في جملة من المحرمات بالنهي والتحريم والعقاب في الآخرة حتى فرض عليها التأديب والعقوبة في الدنيا فأوجب حد الزاني والزانية بضرب مائة جلدة وشارب الخمر يضرب ثمانين جلدة والسارق بقطع يده ومخالف العهد واليمين بكفارة مالية وفرض العقوبات التاديبية غير المحدودة

في شتى المواضع .

المباحات في الاسلام

احل الدين الاسلامي الطيبات واباح كل لذة وزينة وتنعم في الدنيا لا تخل بالآداب ولا تضر بالمجتمع الانساني ولا تنافي حق الغير ولا توجب ارتكاب محرم أو ترك واجب : قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق . يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم . فأي أحكام عبادية واجتماعية وسياسية واخلاقية اسمى وارقى وانفع واجمع واصلح وانجع واسهل واعدل واشرف والطف وانزه وارفه واقرب الى تهذيب الاخلاق وسعادة البشر وهناء العيش من هذه الاحكام أم اي أحكام تدانيها في جميع الشرائع والاديان .

المحافظة على حقوق الزوجة

وابطل العادات الجائرة التي سنتها الجاهلية في حق النساء . فكان الرجل اذا زوج ايمه اخذ صداقها دونها . والاعراب ومن ضارعهم يفعلون ذلك الى اليوم . وكان الرجل يزوج آخر اخته ويأخذ اخت الرجل بدون مهر وهو نكاح الشغار او بمهر قليل فنهى الله تعالى عن ذلك وحرم اخذ شيء من المهر الا عن طيب نفس بقوله : وآتوا النساء صدقاتهن (أي مهورهن) نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وقال تعالى : وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا اتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا . وكانوا لا يورثون المراة فانزل الله تعالى : للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا . وكان الرجل اذا مات كان اولياؤه احق بامراته من اهلها ان شاء بعضهم تزوجها وان شاءوا زوجوها وان شاءوا لم يزوجوها . وكان الرجل اذا مات وترك جارية القى عليها حميمة ثوبه فمنعها من الناس فان كانت جميلة تزوجها وان كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها فنهي الله تعالى عن ذلك بقوله : لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها . وكان الرجل منهم تكون له المراة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر فيضربها لتفتدي، فنهى الله تعالى عن ذلك بقوله: ولا تعضلوهن (اي تقهروهن او تمنعوهن بعض حقوقهن) لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة . وهي النشوز فاذا نشزت حل له ان يأخذ منها

الفداء ليطلقها ، واكد النبي (ص) الوصاية بالمراة في مواضع كثيرة ليس هذا محل بيانها،واوجب معاشرتها بالمعروف:وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا . وفي قانون التزويج والمضاجعة والمواقعة والقسم بين الزوجات وغير ذلك في الشرع الاسلامي ما يدل على المحافظة الشديدة على حقوق المراة ومحل ذلك كتب الفقه . ولم يحجر الدين الاسلامي على المراة زيارة اهلها واقاربها وصديقاتها والسفر للحج والزيارة وغيرهما وترويح النفس والاقبال على ما يورث السرور والغناء في الاعراس واستماعه مع عدم سماع الاجنبي كل ذلك مع مراعاة الحشمة والآداب والبعد عما يوجب الظنة والارتياب وعدم الاختلاط بالاجانب ومجانبة ما يوقع في الفساد ، فالاسلام قد اكرم المراة كرامة ليس عليها من مزيد وصانها الصيانة التي تليق بكرامتها .

مفاسد السفور وهتك الحجاب

اما الذين يدعون الى السفور وهتك الحجاب واختلاط الرجال بالنساء في أي زمان كان واي مكان اتفق فهم الذين يريدون ان لا يكون بين بني ادم وحواء وبين البهائم فرق والذين يريدون ان يتخذوا لانفسهم طريقا سهلة ووسيلة قريبة لقضاء شهواتهم والوصول الى لذاتهم ولا يرون في هذا الكون شيئا أهم من ذلك والا فلو نظروا بعين الحقيقة لعلموا ان من لا يستقبح كشف الوجه المصقول والحاجب المزجج والكفل المرتج والخدود والنهود والزنود والشعور والصدور والبطون والظهور والاعناق والخصور الدقاق والرجل والساق والحلي والزينة ولا يستقبح تقبيل الفتى للفتاة ولا مخاصرة الشابة للشاب ولا يرى ذلك منافيا للحشمة ولا موجبا للفتنة ولا مؤديا الى الفساد ولا مخلا بالآداب فحري به ان لا يستقبح كشف العورتين ولا يرى فيه من عيب ولا شين وان لا يستقبح ما وراء التقبيل ولا يرى في ذلك من عبء ثقيل ومثل من يفرق بين هذا وذاك مثل من يقول سب غير المستحق ليس بقبيح ولكن القبيح ضربه او يقول ضربه ليس بقبيح وانما القبيح جرحه او جرحه ليس بقبيح ولكن القبيح قتله فان تفاوت الامور في القبح لا يرفع القبح عن بعضها بل يجعل فيها القبيح والاقبح .

تعدد الزوجات

وأباح الشرع الاسلامي تعدد الزوجات : فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع . فان خفتم ان لا تعدلوا (اي في الحقوق) فواحدة .

واكد الوصاية بالعدل بين الزوجات فقال : ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء (اي في الميل القلبي) ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، فبين ان العدل التام بينهن (حتى في الميل القلبي) غير مستطاع فان لم يكن عدل تام فلا يكن جور تام فالعدل في فان خفتم غير العدل في ولن تستطيعوا . وفي اباحة تعدد الزوجات من الحكم والصالح ما لا ينكره الا مكابر وليس هذا موضع بيانه .

التحكيم

ومن عناية الشرع الاسلامي بالمراة ومحافظته على حفظ نظام العائلة ان سن التحكيم عند وقوع الاختلاف بين الزوجين الذي قد يؤدي الى الشقاق فان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما . كل ذلك يدل على العناية بامر الزوجة والمحافظة على حقوقها عناية ومحافظة لا مزيد عليها .

الطلاق

واباح الشرع الاسلامي الطلاق مع عدم التئام الاخلاق وعدم تمكن الحكمين من الاصلاح والتوفيق : فامساك بمعروف او تسريح باحسان . فأمسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف . وكره الطلاق ونفر منه قال صاحب الشرع ما جعل الله مباحا ابغض اليه من الطلاق او كما قال واقام العراقيل في سبيله فلم يجوزه في طهر المواقعة واجل المسترابة بالحمل ثلاثة اشهر واوجب فيه حضور شاهدين عدلين وجعل المطلقة الرجعية في حكم الزوجة واوجب اسكانها في منزله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فيرجع اليها واباح للمختلعة أن ترجع في البذل قبل انقضاء العدة فيرجع زوجها في الطلاق وهذا الذي ذكرناه هو مذهب ائمة أهل البيت . ولا يتمسك من يعيب الطلاق الا بالمكابرة وهل يسوغ في قانون العدل الزام احد الزوجين بالصبر على اخلاق الآخر التي يكون في الصبر عليها مشقة عظيمة والحكماء تقول اشد الاشياء صحبة من لا يمكنك فراقه ولا توافقك اخلاقه أو الزام الزوج بالصبر على الزوجة العاقر وحرمانه من النسل او الزامها بالصبر على الزوج الذي لا يولد له وحرمانها من رؤية الاولاد .

تاديب المراة

ولم يجعل للرجل على المراة سبيلا واباح تاديبها عند نشوزها وخروجها عن الطاعة وارادتها خرق النظام العائلي وافساده حفظا لنظام العائلة وليمشا

بهناء وسرور لا بنزاع وشقاق ولكن جعل هذا التأديب باللطف واللين والابتداء بالاهون وعدم الانتقال الى الاصعب الا مع عدم نجع الاهون فقال تعالى : واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا فأمر اولا بالوعظ بالكلام فان لم ينجع فبالهجر في المضاجع بأن يوليها ظهره فان لم ينجع فبالضرب بالثوب فان لم ينجع فالاشد فان كانت مطيعة غيرخارقة لنظام العائلة فلا سبيل له عليها .

(محافظة الشرق الاسلامي على العرض والناموس والشرف)

وذلك بتحريم الزنا واللواط وقذف المحصنات والعقاب الشديد على ذلك بالجلد والرجم . وقمعا لمادة الفساد وسدا لباب الافتتان حرم على الرجل لمس بدن المراة الاجنبية وحرم عليها لمس بدن الاجنبي الا لضرورة كتطبيب وانقاذ من غرق وشبه ذلك وحرم صوت المراة على الاجانب من غير حاجة ومعاودة النظر الى وجهها وكفيها والنظر اليهما مع الريبة والنظر الى شعرها واجزاء بدنها الا مع ارادة تزوجها وحرم عليها أن تنظر الى الاجانب وأن تبدي زينتها لغير محارمها وحرم الخلوة بالاجنبية واباح النظر اليها من وراء الثياب بغير ريبة ولا تلذذ : قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولي الاقربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن (الآيات) .

لا رهبانية في الاسلام

وابطل الاسلام الرهبانية واستعاض عنها بالاعتكاف في المساجد اي التخلي للعبادة وتجنب النساء مع الصيام اياما معدودة أقلها ثلاثة لما في الرهبانية من تقليل النسل وخوف الوقوع في الزنا ومن المشقة والاسلام شريعة سهلة سمحة وحث على التزوج لما فيه من كف النفس عن التطلع الى ما لا يحل وتكثير النسل .

دعاؤه بني عبد المطلب الى الاسلام

في تاريخ الطبري : حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة حدثني محمد بن اسحق عن عبد الغفار بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب عن عبدالله بن عباس عن علي بن ابي طالب

قال : لما انزلت هذه الآية على رسول الله (ص) وانذر عشيرتك الاقربين دعاني رسول الله (ص) فقال لي يا علي ان الله امرني ان انذر عشيرتي الاقربين فضقت بذلك ذرعا وعلمت اني متى ابادئهم (ابادرهم) بهذا الامر ار منهم ما اكره فصمت عليه حتى جاءني جبريل فقال يا محمد انك الا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى اكلمهم وابلغهم ما امرت به ففعلت ما امرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ اربعون رجلا يزيدون رجلا او ينقصونه فيهم اعمامه ابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب فلما اجتمعوا اليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله (ص) جذبة من اللحم فشقها بأسنانه ثم القاها في نواحي الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وما ارى الا موضع ايديهم وايم الله الذي نفس علي بيده ان كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما اراد رسول الله (ص) ان يكلمهم بادرهم ابو لهب الى الكلام فقال لشد ما سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله (ص) فقال : الغد يا علي ان هذا الرجل سبقني الى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل ان اكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم الي ففعلت ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالامس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة ثم قال اسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعا ثم تكلم رسول الله (ص) فقال يا بني عبد المطلب اني والله ما اعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به اني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد امرني الله تعالى أن ادعوكم اليه فأيكم يؤازرني على هذا الامر على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم قال فاحجم القوم عنها جميعا وقلت واني لاحدثهم سنا وارمصهم عينا واعظمهم بطنا واحمشهم ساقا انا يا نبي الله اكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد امرك ان تسمع لابنك وتطيع .

ورواه الطبري في تفسيره مثله سندا ومتنا الا الطابعين ــ جريا على الشنشنة الاخزامية ــ فأبدلوا قوله على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم بلفظ على ان يكون اخي كذا وكذا وابدلوا قوله ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم بلفظ ان هذا اخي وكذا وكذا وابقوا قوله فاسمعوا له واطيعوا

وفيه كفاية وما حذفوه وابدلوه هو اشارة الى ما صرح به في التاريخ يقينا لاتحاد السند والمتن فيهما الا في كلمتي (كذا وكذا) . وعلمت ان الدكتور محمد حسين هيكل المصري أثبته في كتابه حياة محمد في الطبعة الاولى وحذفه في الطبعة الثانية نزولا عند ارادة من ضغط عليه فانظر واعجب .

ولما كان تصحيح هذا الحديث من الاهمية بمكان فلا بأس بالاشارة الى جملة ممن رواه من اجلاء علماء المسلمين ليعلم بذلك اشتهاره واستفاضته بينهم فرواه من مشاهير علماء اهل السنة محمد بن جرير الطبري في تاريخه وتفسيره كما سمعت ورواه منهم البغوي كما ستسمع .

ورواه منهم الثعلبي في تفسيره قال : أخبرني الحسين بن محمد بن الحسين : حدثنا موسى بن محمد حدثنا الحسن بن علي بن شعيب العمري حدثنا عبد الله ابن يعقوب حدثنا علي بن هاشم عن صباح بن يحيى المزني عن زكريا بن ميسرة عن ابي اسحق عن البراء قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين جمع رسول الله (ص) بني عبد المطلب وهم اربعون رجلا الرجل منهم يأكل المسنة ويشرب العس فأمر عليا برجل شاة فأدمها ثم قال ادنوا بسم الله فدنا القوم عشرة عشرة فأكلوا حتى صدروا ثم دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعة ثم قال اشربوا باسم الله فشربوا حتى رووا فبدرهم ابو لهب فقال هذا ما سحركم به الرجل فسكت رسول الله (ص) ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ثم أنذرهم فقال يا بني عبد المطلب اني انا النذير اليكم من الله عز وجل والبشير فاسلموا وأطيعوني تهتدوا ثم قال من يواخيني ويوازرني ويكون وليي ووصيي بعدي وخليفتي في اهلي ويقضي ديني فسكت القوم فأعادها ثلاثا كل ذلك يسكت القوم ويقول علي عليه السلام انا فقال في المرة الثالثة انت فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب اطع اينك فقد امر عليك .

واورد هذا الحديث النسائي في الخصائص قال : اخبرنا الفضل بن سهل حدثني ابن عفان بن مسلم حدثنا ابو عوانة عن عثمن بن المغيرة عن ابي صادق عن ربيعة ابن ماجد ان رجلا قال لعلي بن ابي طالب : يا امير المؤمنين لم ورثت دون أعمامك قال جمع رسول الله (ص) او قال دعا رسول الله (ص) بني عبد المطلب فصنع لهم مدا من الطعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس او لم يشرب فقال يا بني عبد المطلب اني بعثت اليكم خاصة والى الناس عامة وقد رأيتم من هذه الآية ما قد رأيتم وأيكم يبايعني على ان يكون اخي ووارثي فلم يقم اليه احد فقمت اليه وكنت اصغر القوم فقال اجلس ثم قال ثلاث مرات كل ذلك اقوم اليه فيقول اجلس حتى اذا كان في

الثالثة ضرب بيده على يدي ثم قال فبذلك ورثت ابن عمي دون عمي (اقول) هذا التعليل في الميراث لا يصح ان اريد ارث المال اما عندنا فلأن الميراث للبنت بالفرض والرد وأما عند غيرنا فلأن الانبياء لا تورث الا ان يراد ارث العلم ولكن ظاهر السياق خلافه .

واورد هذا الحديث صاحب السيرة الحلبية بنحو ما مر عن الطبري الى ان قال يا بني عبد المطلب ان الله قد بعثني الى الخلق كافة وبعثني اليكم خاصة فقال وانذر عشيرتك الاقربين وانا ادعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان شهادة ان لا إله الا الله واني رسول الله فمن يجيبني الى هذا الامر ويؤازرني على القيام به قال علي انا يا رسول الله (قال) وزاد بعضهم في الرواية يكن اخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي فلم يجبه احد منهم فقام علي وقال انا يا رسول الله قال اجلس ثم اعاد القول ثانيا فصمتوا فقام علي وقال انا يا رسول الله فقال اجلس ثم اعاد القول ثالثا فلم يجبه احد منهم فقام علي فقال انا يا رسول الله فقال اجلس فأنت اخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي ، ثم حكى عن ابن تيمية انه قال في الزيادة المذكورة انها كذب وحديث موضوع من له ادنى معرفة في الحديث يعلم ذلك وقد رواه مع زيادته المذكورة ابن جرير والبغوي باسناد فيه ابو مريم الكوفي وهو مجمع على تركه وقال احمد انه ليس بثقة عامة احاديثه بواطيل وقال ابن المديني كان يضع الحديث (اقول) لا شيء اعجب من قدح ابن تيمية المجسم بشهادة ابن بطوطة مشاهدة والذي مات سجينا بيد اهل نحلته على الاقوال والعقائد المنافية لملة الاسلام في الاحاديث المستفيضة عند جميع المسلمين بالهوى والغرض وقوله ان من له ادنى معرفة بالحديث يعلم ذلك مع ان من عنده ادنى معرفة يعلم ان قدح ابن تيمية فيه لم يستند الى معرفة بل الى التحامل على علي واهل بيته والنصب فقد سمعت سند هذا الحديث في رواية الطبري في تاريخه وتفسيره ورواية الثعلبي له في تفسيره وليس فيه ابو مريم الكوفي على فرض صحة ما قاله في رواية البغوي وان في سندها ابو مريم الكوفي وانه ضعيف فهل اذا كان الحديث مرويا بعدة طرق بعضها ضعيف يكون قدحا في سنده بل الرواية الضعيفة ان لم تكن معتضدة ومتقوية بالروايات الصحيحة غيرها لا يكون ضعفها موجبا للقدح في الصحيحة وكل من له ادنى معرفة في الحديث يعلم ذلك .

وروى الطبري في تاريخه وتفسيره بسنده الى ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى

صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فقال يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف فاجتمعوا اليه فقال أرأيتم ان اخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك ما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة تبت يدا ابي لهب وتب الى آخر السورة .

الدعوة العامة لقريش

وروى الطبري انه صلى الله عليه وآله وسلم صعد يوما على الصفا ونادى يا معشر قريش قالت قريش محمد على الصفا يهتف واقبلوا اليه فقالوا مالك قال أرأيتكم لو اخبرتكم ان خيلا بسفح هذا الجبل اكنتم تصدقوني قالوا نعم انت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف يا بني زهرة يا بني تميم يا بني مخزوم يا بني أسد ان الله امرني ان انذر عشيرتي الاقربين واني لا املك من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا لا إله الا الله فقال ابو لهب ما تقدم .

(مجيء قريش الى ابي طالب في أمر رسول الله)

ولما جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعيب الاصنام ويسخر منها ويتلو الآيات في شأنها مشى رجال من اشراف قريش الى ابي طالب وكان مؤمنا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكتم ايمانه وفيهم ابو سفيان بن حرب فقالوا يا ابا طالب ان ابن اخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا وضلل آباءنا فإما ان تكفه عنا واما ان تخلي بيننا وبينه فردهم ابو طالب ردا جميلا ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته ولم يزل الاسلام يفشو ويظهر ثم مشوا الى ابي طالب مرة اخرى . قال ابن سعد لما رأت قريش ظهور الاسلام جاءوا الى ابي طالب فقالوا انت سيدنا وافضلنا في انفسنا وقد رأيت الذي فعل هؤلاء السفهاء مع ابن اخيك من تركهم آلهتنا وتسفيههم أحلامنا . وجاؤوا بعمارة ابن الوليد ابن المغيرة فقالوا جئناك بفتى قريش جمالا ونسبا ونهادة وشعرا يكون لك نصره وميراثه وتدفع الينا ابن اخيك نقتله فقال والله ما انصفتموني تعطوني ابنكم اغذوه لكم واعطيكم ابن اخي تقتلونه اتعلمون ان الناقة اذا فقدت ولدها لا تحن الى غيره.

فلما كان مساء تلك الليلة فقد رسول الله (ص) فجمع ابو طالب فتيان قومه وقال ليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة واتبعوني اذا دخلت المسجد وليجلس كل واحد الى جنب عظيم من عظمائهم فليقتله ان كان محمد قد قتل

ففعلوا ثم اخبره زيد بن حارثة بسلامة النبي (ص) فلما اصبح اخذ بيده فوقف به على اندية قريش ومعه الفتيان فأخبر قريشا بما كان يريد فعله او قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأراهم السلاح فانكسر القوم وكان أشدهم انكسارا ابو جهل .

ثم جاءوا الى ابي طالب مرة ثالثة وقالوا يا ابا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وقد استنهيناك من ابن اخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على شتم آبائنا وتسفيه احلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا او ننازله وإياك حتى يهلك احد الفريقين وعظم على ابي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطلب نفسا باسلام ابن اخيه فأرسل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بمقالة قريش وقال له فابق عليّ وعلى نفسك ولا تحملني من الامر ما لا أطيق فاطرق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال له يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله او اهلك فيه وقام وقد خنقته العبرة فلما رأى ذلك ابو طالب دعاه فقال اذهب يا ابن اخي فقل ما احببت والله لا اسلمك لشيء ابدا وقام بنو هاشم وبنو المطلب بنصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا أبا لهب ونفر غيره .

(مجيء عتبة بن ربيعة الى النبي ليرجع عن دعوته)

ولما رأت قريش امر النبي صلى‌الله عليه وآله وسلم يزداد كل يوم ظهورا وأصحابه يكثرون رغب اليهم عتبة بن ربيعة وهو من رؤسائهم في ان يعرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم امورا لعله يقبل بعضها ويكف عن دعوته فقال له يا ابن اخي انك منا حيث قد علمت من المكان في النسب وقد اتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم فاسمع مني أعرض عليك أمورا لعلك تقبل بعضها . ان كنت انما تريد بهذا الامر مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثر مالا وان كنت تريد تشريفا سودناك علينا فلا نقطع امرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رئيا لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب حتى تبرأ فتلا عليه النبي (ص) سورة السجدة وعتبة منصت فلما انتهى انصرف عنه الى قريش واخبرها انه لا طمع له في مال ولا سلطان وأشار عليهم ان يخلوا بينه وبين العرب فان تغلبت عليه استراحوا منه وان اتبعته فلقريش فخاره فلم يعجبهم ذلك .

ولم تدع قريش وسيلة ترجو منها القضاء على الاسلام واهله والحيلولة دون انتشاره الا توسلت بها ولا سبيلا تأمل الوصول منه الى ذلك الا سلكتها

وبلغت في ذلك جهدها وغاية استطاعتها فأبى الله تعالى الا ان يتم نوره ولو كره المشركون . عمدت اولا الى تكذيبه والحط من قدره باللسان بالذم والتنقيص لتكف الناس عن اتباعه فقالت تارة انه ساحر واخرى انه كاهن ومرة انه شاعر ومرة انه يعلمه بشر واغروا به شعراءهم ابا سفيان بن الحارث وعمرو بن العاص وعبد الله بن الزبعري فلما لم ينجح ذلك فيه وبقي جادا في امره واتباعه يزدادون كثرة كل يوم عمدت الى اذاه وأدى اصحابه باليد فرجمته في داره ووضعت السلاء على ثيابه وسلطت اطفالها عليه يرمونه بالحجارة وفعلت افعالا شبه ذلك وعذبت اصحابه بالحبس والضرب والقتل والالقاء في الرمضاء وغير هذا واضطرتهم بذلك الى الهرب من بلادهم والهجرة الى الحبشة ولم تقنع بذلك حتى ارسلت اليهم من يردهم فما زاد هو في دعوته الا مضاء واصحابه الا كثرة وثبات يقين فعرضت عليه المال والملك وكل ما يطمع الناس فيه عادة فلم يمل الى شيء من ذلك وهددته واهله وانذرتهم بالحرب ومشت الى عمه ابي طالب مرارا لتصده عن نصره وتحمله على ارجاعه عن عزمه بالتهديد وانواع الحيل فلم يجد ذلك شيئا فعمدت الى مقاطعتهم وحصرهم في شعب من شعاب مكة لا يجالسون ولا يكلمون ولا يبايعون ولا يناكحون حتى يموتوا جوعا او يرجع محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن دعوته فصبروا على ذلك ثلاث سنين فلما اعيتها الحيل ائتمرت فيه وعزمت على قتله وبعثت اليه من يهجم عليه ليلا في داره فيقتله فخرج هاربا منهم الى المدينة .

الهجرة الى الحبشة

ولما كثر المسلمون ثار كثير من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم فعذبوهم وسجنوهم وارادوا فتنتهم عن دينهم ومنع الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم منهم بعمه ابي طالب فقال لهم رسول الله (ص) تفرقوا في الارض قالوا اين نذهب فأشار الى الحبشة فهاجروا اليها وذلك في رجب من السنة الخامسة من النبوة وكانوا احد عشر رجلا واربع نسوة منهم من هاجر بزوجته ومنهم من هاجر وحده خرجوا متسللين الى الشعيبة منهم الراكب والماشي فوجدوا ساعة وصولهم سفينتين للتجار حملوهم فيهما الى الحبشة بنصف دينار عن كل نفس وخرجت قريش في طلبهم الى البحر فلم يدركوهم . قالوا وقدمنا ارض الحبشة فجاورنا خير جار امنا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذي ولا نسمع ما نكره وكانت الحبشة على دين النصرانية فأقاموا شعبان وشهر رمضان ثم عادوا الى مكة في شوال لما بلغهم

ان قريش اسلمت فلما قاربوا مكة علموا ان ما بلغهم باطل فلم يدخلها احد منهم الا بجوار غير ابن مسعود فانه مكث يسيرا ثم عاد الى ارض الحبشة فلقوا اذى كثيرا فأذن لهم النبي (ص) بالهجرة ثانيا .

الهجرة الثانية الى الحبشة

وكانوا ثمانين رجلا وثماني عشرة امرأة فيهم جعفر بن ابي طالب ومعه زوجته اسماء بنت عميس فأحسن النجاشي جوارهم وساء ذلك قريشا فارسلوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد الذي أرادت قريش دفعه لأبي طالب عوضا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل كان مع عمرو عبد الله بن ابي ربيعة ليكلموا النجاشي في ردهم واهدوا له ولبطارقته هدايا وكتب عمرو عهدا بين قومه وقوم عمارة ان كلا من القبيلتين بريئة من جناية صاحبها وكانت مع عمرو زوجته وكان عمرو قصيرا دميما وعمارة جميلا وسيما فهويته امرأة عمرو فقال له عمارة مر امرأتك ان تقبلني فقال عمرو الا تستحي وجلس عمرو على جانب السفينة يبول فدفعه عمارة في الماء فجعل يسبح وينادي اصحاب السفينة ويناشد عمارة فأنقذوه وحقد عليه عمرو وقال لزوجته قبلي ابن عمك لتطيب بذلك نفسه فيحتال بعد ذلك في هلاكه ولما دخلا على النجاشي سجدا له ودفعا اليه الهدية فقبلها وكذلك بطارقته فقالا له ان نفرا من قومنا تركوا ديننا ولم يدخلوا في دينك وقد ارسلنا عظماء قراش لتردهم اليهم وكانا اتفقا مع بطارقة النجاشي بعد ان اعطوهما الهدايا على ان يعاونوهما على رد المسلمين الى قريش دون ان يسمع النجاشي كلامهم فأبى النجاشي ان يفعل حتى يسمع ما يقولون وأرسل اليهم فقال بعضهم لبعض ما تقولون له ؟ قال جعفر نقول له ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويكون ما يكون فدخلوا عليه ولم يسجدوا له فقال عمرو الا ترى ايها الملك انهم لم يسجدوا لك فقال النجاشي ما منعكم ان تسجدوا لي فقال جعفر انا لا نسجد الا لله عز وجل فقال ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني فقال جعفر ايها الملك كنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فبعث الله فينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فأمرنا ان نعبد الله وحده ونخلع ما كنا نعبد من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام وصدق الحديث واداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات فصدقناه وآمنا

به فعدا علينا قومنا ليردونا الى عبادة الاصنام واستحلال الخبائث فلما قهرونا وظلمونا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا ان لا نظلم عندك . قال النجاشي هل عندك شيء مما جاء به ؟ قال نعم ! فقرا عليه من سورة مريم حتى انتهى الى قوله تعالى : فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا. فبكى النجاشي وبكى اساقفته وقال النجاشي ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة . فنزلت واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع بما عرفوا من الحق (وفي رواية) ان جعفر رضوان الله عليه قال للنجاشي سلهما أعبيد نحن ام احرار قال عمرو بل احرار كرام قال فهل ارقنا دما بغير حق قال لا قال لهم علينا دين قال ليس لنا عليهم دين قال النجاشي : انطلقا فوالله لا اسلمهم اليكما ابدا ورد الهدية عليهما فلما كان الغد عاد ابن العاص الى النجاشي فقال له انهم ليقولون في عيسى قولا عظيما فارسل اليهم فسلهم عما يقولون فيه فلما دخلوا عليه قال له جعفر نقول فيه الذي جاء به نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول فأخذ النجاشي عودا وخط به على الارض وقال ليس بين دينكم وديننا اكثر من هذا الخط . ولما يئس عمرو من مساعدة النجاشي له على ردهم توجه الى ما كان قصد له من اعمال الحيلة في هلاك عمارة فقال له عمرو وقد اطمأن اليه وظن انه قد زال ما في نفسه : انت رجل جميل والنساء يحببن الجمال فتعرض لزوجة النجاشي لعلها تشفع لنا عنده فتعرض لها واخبر عمرا بذلك فقال ان كنت صادقا فلتعطك من طيب الملك فأعطته فاخبر عمرو النجاشي وأراه الطيب فقال لولا انه جاري لقتلته ولكن سأفعل به ما هو شر من القتل فدعا بساحر فنفخ في احليله فهام مع الوحش وجاء ابن عم له في خلافة عمر في طلبه وكمن له حتى امسكه فقال ارسلني والا امت الساعة فلم يرسله فمات في يده فأراد قومه المطالبة بدمه فأظهر عمرو كتاب البراءة بين العشيرتين .

وكتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى النجاشي مع عمرو بن امية الضمري يدعوه الى الاسلام فأسلم وكتب اليه ان يزوجه ام حبيبة ابنة ابي سفيان وكانت مع زوجها عبد الله بن جحش فتنصر ومات فزوجه اياها واصدقها عنه اربعمائة دينار . ولما هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة رجع من بأرض الحبشة من المسلمين ورجع جعفر وذلك

يوم فتح خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما ادري بأيهما انا اشد فرحا بفتح خيبر او برجوع جعفر .

حصار الشعب وامر الصحيفة

ولما بلغ قريشا فعل النجاشي بجعفر وأصحابه واكرامه اياهم ورأوا عدم وصولهم الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقيام عمه ابي طالب دونه كتبوا كتابا على بني هاشم ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم او يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وختم عليها اربعون خاتما وكتبها منصور بن عكرمة فشلت يده ، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة وحصروهم في شعب ابي طالب اول المحرم سنة سبعة من البعثة فدخل بنو هاشم الشعب مسلمهم وكافرهم عدا ابي لهب وابي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب لشدة عداوتهما للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وابو سفيان اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وانحاز اليهم بنو المطلب بن عبد مناف فكانوا اربعين رجلا وحصن ابو طالب الشعب وكان يحرسه ليلا ونهارا واخافتهم قريش فكانوا لا يخرجون ولا يأمنون الا من موسم الى موسم ، موسم العمرة في رجب وموسم الحج في ذي الحجة وقطعوا عنهم الميرة الا ما كان يحمل اليهم سرا وهو شيء يسير لا يمسك ارماقهم حتى بلغ بهم الجهد وسمع اصوات صبيانهم من وراء الشعب وذلك اشد ما لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته بمكة وكان هشام بن عمرو احد بني عامر بن لؤي يأتي بالبعير بعد العبير قد اوقره طعاما او تمرا الى فم الشعب فينزع عنه خطامه ويضربه على جنبيه فيدخل الشعب فبقوا في الشعب سنتين او ثلاث سنين وارسل الله تعالى على الصحيفة الارضة فلحستها الا باسمك اللهم فاخبر الله تعالى نبيه بذلك فذكره لعمه ابي طالب فقال لقريش ان ابن اخي اخبرني ان الله قد سلط على صحيفتكم الارضية فأكلتها غير اسم الله فان كان صادقا نزعتم عنه سوء رايكم وان كان كاذبا دفعته اليكم قالوا قد انصفتنا ففتحوها فاذا هي كما قال فقالوا هذا سحر ابن اخيك وتلاوم رجال من قريش على ما صنعوا ببني هاشم فمشى هشام بن عمرو الى زهير ابن ابي امية المخزومي وزهير ختن ابي طالب على ابنته عاتكة وقال أرضيت ان يكون اخوالك هكذا قال فما اصنع وأنا رجل واحد قال وجدت ثانيا قال ابغنا ثالثا فما زالوا كذلك حتى صاروا خمسة فيهم غير هشام وزهير مطعم بن عدي وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود فأقبلوا الى اندية قريش

فقال زهير يا اهل مكة أناكل الطعام ونشرب الشراب ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة فقال ابو جهل كذبت والله لا تشق فقال زمعة انت والله اكذب فقال ابو البختري صدق والله زمعة وقال مطعم وهشام مثل ذلك فقال ابو جهل هذا امر قضي بليل وقام مطعم الى الصحيفة فشقها وخرج بنو هاشم من حصار الشعب في السنة العاشرة او التاسعة من النبوة الى مساكنهم (وتوفيت) خديجة وأبو طالب وفي تاريخ وفاتهما اختلاف كثير فقيل توفيا في عام واحد توفي ابو طالب بعد البعثة بست سنين وثمانية اشهر واربعة وعشرين يومـــا وتوفيت خديجة بعده بثلاثة ايام فسمى رسول الله (ص) ذلك العام عام الحزن وقيل ماتت خديجة قبل الهجرة بسنة حين خرج رسول الله (ص) من الشعب ومات ابو طالب بعدها بسنة (وكما) اوصى عبد المطلب ابنه ابا طالب بنصر النبي (ص) فقام به احسن قيام كذلك اوصى ابو طالب ابنيه عليا وجعفرا واخويه حمزة وعباسا بنصره صلى الله عليه وآله وسلم فقاموا به احسن قيام لاسيما علي وحمزة وجعفر .

وقال رسول الله (ص) ما زالت قريش كاعّة عني حتى مات ابو طالب فلما توفي نالت قريش من رسول الله (ص) واجترأت عليه فخرج الـــى الطائف يعرض نفسه على القبائل ومعه زيد بن حارثة بعد ثلاثة اشهر من موت خديجة فأغروا به صبيانهم وسفهاءهم يسبونه ويصيحون به ويرمونه بالحجارة حتى ادموا رجليه وزيد يقيه بنفسه حتى شج في راسه ففرّ منهم الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة فدخله ورجعوا عنه وجلس الى ظـــل شجرة فأرسل عتبة وشيبة غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس بعنب فـــي طبق فوضعه بين يديه فقال باسم الله واكل منه فعجب عداس من ذلـــك وقال هذا كلام لا يقوله اهل هذه البلاد فسأله عن بلده وعن دينه فأخبره انه نصراني من اهل نينوى فقال أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى قال وما يدريك به قال ذلك اخي كان نبيا وانا نبي فأكب عداس عليه يقبل راسه ويديه وقدميه واسلم فعجب ابنا ربيعة من ذلك وقالا لا يصرفنك هذا الرجل عن دينك فهو خير من دينه وعاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى مكة في جوار مطعم بن عدي وجعل يعرض نفسه على قبائل العرب فـــي المواسم وفي منازلها وعمه ابو لهب واسمه عبد العزي يتبعه ايان ذهب يحرض الناس على ان لا يستمعوا له .

وفي السنة العاشرة من النبوة جاءه صلى الله عليه وآله وسلم جـــن نصيبين واسلموا وخبرهم مذكور في القرآن الكريم .

الاسراء والمعراج

قيل كانا في ليلة واحدة . اسري به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ببيت المقدس كما نطق به الكتاب العزيز صلى المغرب في المسجد الحرام ثم اسري به ثم عرج به الى السماء من صخرة المسجد الاقصى ثم عاد فصلى الصبح في المسجد الحرام وهو قول الطبرسي في مجمع البيان ثم اختلف في تاريخ ذلك فقيل كان ذلك سنة اثنتي عشرة من البعثة قبل الهجرة بسنة او سنة احدى عشرة من البعثة قبل الهجرة بسنتين او قبل الهجرة بستة اشهر في السابع عشر من شهر رمضان ليلة السبت او بعد النبوة بسنتين ليلة الاثنين في شهر ربيع الاول او ليلة سبع عشرة من ربيع الاول او ليلة سبع وعشرين منه او ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر او ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان او ليلة تسع وعشرين منه او ليلة سبع وعشرين من رجب على اختلاف الاقوال والروايات . وحمل من المسجد الحرام على البراق وهو دابة بيضاء بين الحمار والبغلة في فخذيها جناحان وكان مركب الانبياء قبله حتى انتهى الى بيت المقدس فوقف في موقفه الذي كان يقف فيه وهو المسمى بالبراق اليوم عند حائط المسجد الغربي وخلفه مبكى اليهود فصلى بالانبياء موسى وعيسى وابراهيم عليهم السلام وقيل كانا في وقتين مختلفين والمعراج بعد الإسراء في ليلة اخرى وقيل كان المعراج قبل الاسراء وكان نهارا لا ليلا من مكة لا من بيت المقدس وهو قول ابن سعد في الطبقات حيث ذكر المعراج اولا فقال (ذكر المعراج وفرض الصلوات) ثم روى انه صلى الله عليه وآله وسلم كان سأل ربه ان يريه الجنة والنار فلما كان ليلة السبت لسبع عشرة خلت من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نائم في بيته ظهرا آتاه جبرائيل فقالا انطلق الى ما سألت الله فانطلقا به الى ما بين المقام وزمزم فاتي بالمعراج فاذا هو احسن شيء منظرا فعرجا به الى السماوات سماء سماء فلقي فيها الانبياء وانتهى الى سدرة المنتهى ورأى الجنة والنار وفرضت عليه الصلوات الخمس ثم قال (ذكر ليلة اسري به صلى الله عليه وآله وسلم الى بيت المقدس) وروي انه اسري به صلى الله عليه وآله وسلم ليلة سبع عشرة من ربيع الاول قبل الهجرة بسنة من شعب ابي طالب الى بيت المقدس .

وكان الاسراء ببدنه يقظة لا بروحه ولا بالمنام كما زعم بعضهم . ولما اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قريشا بالاسراء كذبوه فقال مررت

بعير بني فلان وقد أضلوا بعيرا لهم وهم في طلبه وفي رحلهم قعب مملوء ماء فشربت الماء ثم غطيته كما كان ومررت بعير بني فلان فنفر بكر فلان فانكسرت يده قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم وبيّن لهم احمالها وهيآتها وقال يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان ويطلع عليكم عند طلوع الشمس فكان كما قال .

واقام رسول الله (ص) بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة منها ثلاث سنين مستخفيا ثم اعلن دعوته في الرابعة فدعا الناس الى الاسلام عشر سنين يوافي الموسم كل عام يتبع الحاج في منازلهم بمنى والموقف يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة ويسأل عن منازلهم ويأتي اليهم في أسواق المواسم عكاظ ومجنة وذي المجاز وكانت العرب اذا حجت تقيم بعكاظ شهر شوال ثم بسوق مجنة عشرين يوما ثم بسوق ذي المجاز الى ايام الحج فكان يتبعهم في منازلهم ليدعوهم الى ان يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ويقول يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ووراءه ابو لهب واسمه عبد العزي يكذبه فلم يستجب له احد منهم .

وجاء الى مكة سعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس من الخزرج فعرض عليهما رسول الله (ص) الاسلام فاسلما وهما أول من اسلم من الانصار ثم رجعا الى المدينة فاسلم ابو الهيثم بن التيهان ويقال اول من اسلم من الانصار رافع بن مالك ومعاذ بن عفراء خرجا الى مكة معتمرين فعرض (ص) عليهما الاسلام فاسلما ثم اسلم ثمانية أو ستة من الانصار مر عليهم (ص) وهم نزول بمنى فعرض عليهم الاسلام فاسلموا وطلب منهم ان يمنعوا ظهره ليبلغ رسالة ربه فاعتذروا بما بينهم من العداوة ووعدوه موسم العام المقبل ويقال انه لقيهم عند العقبة وان هذه بيعة العقبة الاولى وقال ابن سعد انها غيرها .

العقبة الاولى

والعقبة هي التي تضاف اليها الجمرة فيقال جمرة العقبة والجمرة عن يسار الطريق لقاصد منى من مكة وعندها مسجد يقال له مسجد البيعة فلما كان العام المقبل من الذي لقي فيه رسول الله (ص) النفر الستة أو الثمانية كما مر لقيه اثنا عشر رجلا من الخزرج . والاوس والخزرج قبيلتان بالمدينة كان جداهما اخوين ثم وقعت بينهما حروب كان آخرها قبل الهجرة فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء ثم رجعوا الى المدينة وكان سعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن اسلم وكتب الاوس والخزرج الى النبي (ص) ابعث الينا من يقرئنا القرآن فبعث اليهم مصعب بن عمير العبدري فروى انه كان يجمع

بهم وفشا الاسلام في المدينة فاسلم كثير من اهلها .

العقبة الثانية

وهم السبعون الذين بايعوا رسول الله (ص) عند العقبة فانه لما حضر الحج مشى من اسلم بالمدينة بعضهم الى بعض يتواعدون المسير الى الحج وموافاة رسول الله (ص) وهم سبعون يزيدون رجلا أو رجلين فخرجوا مع الاوس والخزرج وهم خمسمائة حتى قدموا على رسول الله (ص) مكة فوعدهم منى ليلة النفر الاول اذا هدأت الرجل ان يوافوه بأسفل العقبة على يمين القادم من منى حيث المسجد المعروف بمسجد البيعة وأمرهم ان لا ينبهوا غائبا فخرجوا بعد هداة يتسللون الرجل والرجلان فتوافى السبعون ومعهم امرأتان فوجدوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعمه العباس فقال يا معشر الخزرج انكم دعوتم محمدا وهو اعز الناس في عشيرته يمنعه والله من كان على قوله ومن لم يكن للحسب والشرف وقد أبى الناس كلهم غيركم فان كنتم اهل قوة وجلد وبصر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة فارتأوا رأيكم فاجابوا بأحسن الجواب وتلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن ثم دعاهم الى الله ورغبهم في الاسلام فقال البراء بن معرور وقيل ابو الهيثم بن التيهان وقيل سعد بن زرارة ابسط يدك يا رسول الله فكان اول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم ضرب السبعون كلهم على يده وبايعوه على ان يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم وعلى السمع والطاعة وبايعه المرأتان من غير مصافحة ثم قال لهن اخرجوا لي اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس وصاح الشيطان على العقبة بأبعد صوت سمع يا أهل الاخاشب هل لكم في محمد والصباة معه قد اجمعوا على حربكم فقال رسول الله (ص) انفضوا الى رحالكم وبلغ قريشا ذلك فجاؤوا الى الخزرج يعاتبونهم فحلف لهم المشركون من الخزرج ما شعروا بشيء وبحثت قريش عن الخبر فوجدته حقا فجعلت تطلبهم فادركوا سعد بن عبادة فجعلوا يده الى عنقه بتسعة وجعلوا يضربونه حتى ادخلوه مكة فخلصه منهم مطعم بن عدي والحارث ابن اميه بن عبد شمس .

مؤاخاة النبي بين اصحابه قبل الهجرة

في السيرة الحلبية قبل الهجرة آخى النبي (ص) بين المهاجرين على الحق والمواساة بين ابي بكر وعمر وبين حمزة وزيد بن حارثة وبين عثمان

وعبد الرحمن ابن عوف وبين الزبير وابن مسعود وبين عبادة بن الحارثة وبلال وبين مصعب ابن عمير وسعد بن ابي وقاص وبين ابي عبيدة بن الجراح وسالم مولى ابي حذيفة وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله وبين علي نفسه صلى الله عليه وآله وسلم وقال اما ترضى ان اكون اخاك قال لي يا رسول الله رضيت قال فانت اخي في الدنيا والآخرة . وانكر ابن تيمية على عادته المؤاخاة بين المهاجرين سيما مؤاخاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي قال لان المؤاخاة بين المهاجرين والانصار انما جعلت لارفاق بعضهم ببعض ولتألف قلوب بعضهم ببعض فلا معنى لمؤاخاة مهاجري لمهاجري . قال الحافظ بن حجر وهذا رد للنص بالقياس (واقول) كان المهاجرين لا يطلب ارفاق بعضهم ببعض وتألف قلوب بعضهم ببعض (انها لا تعمى الابصار ولكن ...) وفي ذلك يقول صفي الدين الحلي من قصيدة :

انت سر النبي والصنو وابن الـ ـعم والصهر والاخ المستجاد
لو رأى مثلك النبي لآخا ه والا فاخطأ الانتقاد

وآخى (ص) بعد الهجرة بين المهاجرين والانصار ويأتي ذكر ذلك ان شاء الله .

الهجرة الى المدينة

لما صدر السبعون من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طابت نفسه وقد جعل الله له منعة وقوما اهل حرب وعدة ونجدة جعل البلاء يشتد على المسلمين من المشركين فاذن لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الهجرة الى المدينة فهاجروا ونزلوا على الانصار في دورهم فآووهم ونصروهم وآسوهم ولم يبق منهم بمكة الا قليل .

قصة الغار ومبيت علي على الفراش

ولما راى ذلك المشركون اجتمعوا في دار الندوة ليأتمروا في رسول الله (ص) واسروا ذلك بينهم (فقال) العاص بن وائل وامية بن خلف نبني له بنيانا نستودعه فيه فلا يخلص اليه أحد ولا يزال في رنق من العيش حتى يذوق طعم المنون (فقال قائل) وقيل انه ابليس تصور بصورة شيخ نجدي : بئس ما رأيتم لئن صنعتم ذلك ليسمعن الحميم والمولى الحليف ثم لتأتين المواسم والاشهر الحرم بالامن فلينتزعن من ايديكم (فقال) عتبة وابو سفيان نرحل بعيرا صعبا ونوثق محمدا عليه ثم نقصع البعير باطراف الرماح فيقطعه اربا

اربا (فقال) صاحب رايهم ارايتم ان خلص به البعير سالما الى بعض الافاريق فاخذ بقلوبهم بسحره وبيانه فصبا القوم اليه واستجابت القبائل له فيسيرون اليكم بالكتائب والمقانب فلتهلكن كما هلكت اياد (فقال ابو جهل) لكني ارى لكم رايا سديدا وهو ان تعمدوا الى قبائلكم العشر فتنتدبوا من كل قبيلة رجلا نجدا ثم تسلحوه حساما عضبا حتى اذا غسق الليل اتوا ابن ابي كبشة فقتلوه فيذهب دمه في قبائل قريش .فلا يستطيع بنو هاشم وبنوا المطلب مناهضة قريش فيرضون بالدية فقال صاحب رايهم أصبت يا ابا الحكم هذا هو الراي فلا تعدلوا به رايا وكموا في ذلك افواهكم فسبقهم الوحي بما كان من كيدهم وهو قوله تعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا عليه السلام واخبره بذلك وقال له اوحى الي ربي ان اهجر دار قومي وانطلق الى غار ثور تحت ليلتي هذه وان آمرك بالمبيت على مضجعي ليخفي بمبيتك عليهم امري فقال علي عليه السلام او تسلمن بمبيتي هناك يا نبي الله قال نعم فتبسم علي ضاحكا واهوى الى الارض ساجدا شكرا لله لما بشره صلى الله عليه وآله وسلم بسلامته وكان اول من سجد لله شكرا واول من وضع وجهه على الارض بعد سجدته من هذه الامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما رفع راسه قال له امض فيما امرت فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي ومرني بما شئت قال ارقد على فراشي واشتمل ببردي الحضرمي وكان له برد حضرمي احمر وقيل اخضر ينام فيه ثم اني اخبرك ان الله تعالى يمتحن اولياءه على قدر ايمانهم ومنازلهم من دينه فاشد الناس بلاء الانبياء ثم الاوصياء ثم الامثل فالامثل وقد امتحنك يا ابن عم وامتحنني فيك بمثل ما امتحن خليله ابراهيم والذبيح اسماعيل فصبرا صبرا فان رحمة الله قريب من المحسنين ثم ضمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى صدره وبكى وجدا به فبكى علي جزعا لفراق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واوحى الله الى جبريل وميكائيل اني قد آخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من عمر صاحبه فأيكما يؤثر اخاه فكلاهما كره الموت فاوحى الله اليهما الا كنتما مثل وليي علي بن ابي طالب آخيت بينه وبين نبيي فآثره بالحياة على نفسه اهبطا الى الارض فالفظاه من عدوه فجلس جبريل عند راسه وميكائيل عند رجليه وقال جبريل بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب والله يباهي بك الملائكة فانزل الله عز وجل في علي : (ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد) وامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابا بكر وهند بن ابي هالة وهو

ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امه خديجة امالمؤمنين ان يقعدوا له بمكان ذكره لهما في طريقه الى الغار ولبث مع علي يوصيه ويأمره بالصبر حتى صلى العشاءين ثم خرج في فحمة العشاء الآخرة والرصد من قريش قد اطافوا بداره فيهم ابو جهل والحكم بن ابي العاص وعقبة بن ابي معيط والنصر بن الحارث وامية بن خلف وابن الغيطلة وزمعة بن الاسود وطعيمة ابن عدي وابولهب وابي بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وخالد بن الوليد بن المغيرة ينتظرون الى ان ينتصف الليل وتنام الاعين فخرج وهو يقرأ ﴿وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ واخذ بيده قبضة من تراب فرمى بها على رؤوسهم فما شعر القوم بـه حتى تجاوزهم ومضى حتى اتى الى ابي بكر وهند فنهضا معه حتى وصلوا الغار وهو غار بثور جبل بأسفل مكة سمي باسم ثور بن عبد مناة ابن ادابن طابخة لانه ولد عنده فقيل جبل ثور ويسمى أيضا اطحل فدخلا الغار ورجع هند الى مكة لما امره به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما أغلق الليـل ابوابـه وانقطع الاثر اقبل القوم على علي يقذفونه بالحجارة ولا يشكون انه رسول الله حتى اذا قرب الفجر هجموا عليه وكانت دور مكة يومئذ لا ابواب لهـا فلما بصر بهم علي عليه السلام قد انتضوا السيوف واقبلوا بها اليه امامهم خالد ابن الوليد وثب علي فهمز يده فجعل خالد يقمص قماص البكر ويرغو رغاء الجمل واخذ سيف خالد وشد عليهم به فأجفلوا امامه اجفال النعم الى ظاهر الدار وبصروه فاذا هو علي فقالوا انا لم نردك فما فعل صاحبك قال لا علم لي به فأذكت قريش عليه العاون وركبت في طلبه الصعب والذلول وامر الله العنكبوت فنسجت على باب الغار وامر حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار وباضتا فلمّا قربوا منه قال بعضهم ان عليه العنكبوت قبل ميلاد محمد ورأى اولهم الحمامتين فرجعوا وامهل علي حتى اذا اعتم من الليلة القابلـة انطلق هو وهند بن ابي هالة حتى دخلا على رسول الله (ص) في الغار فأمر رسول الله (ص) هندا ان يبتاع له ولصاحبه بعيرين فقال صاحبه قد اعددت لي ولك يا نبي الله راحلتين فقال اني لا آخذهما ولا احداهما الا بالثمن قال فهما لك بذلك فأمر عليا فاقبضه الثمن . هذه رواية الشيـخ ابي جعفـر محمد بن الحسن الطوسي بسنده في اماليه وكذا جل ما في هذه القصـة وروى ابن سعد في الطبقات انه قال فخذ بأبي انت وامي احدى راحلتـي هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالثمن وكان ابـو بـكر اشتراها بثماني مئة درهم من نعم بني قشير فأخذ احداهما وهي القصواء . وروى ابن هشام عن ابن اسحق انه قال له اني لا اركب بعيرا ليس لـي

فأخذها بثمنها الذي ابتاعها به (وسئل) ابن ابي رافع أكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجد ما ينفقه هكذا فقال أين يذهب بك عن مال خديجه وكان صلى الله عليه وآله وسلم يفك من مالها الغارم والاسير ويحمل العاجز ويعطي في النائبة ويعطي فقراء اصحابه اذ كان بمكة ويحمل من اراد منهم الهجرة وكانت طائفة من العير في رحلتي الشتاء والصيف لخديجة وكانت اكثر قريش مالا وكان ينفق من مالها ما شاء في حياتها وورثها هو وولدها بعد مماتها ثم وصى عليا عليه السلام بحفظ ذمته واداء أمانته وكانت قريش تدعو محمداً صلى الله عليه وآله وسلم في الجاهلية الامين وتودعه اموالها وكذلك من يقدم مكة من العرب في الموسم وجاءته النبوة والامر كذلك فأمر عليا ان يقيم مناديا بالابطح غدوة وعشية الا من كانت له قبل محمد امانة فليأت لتؤدي اليه أمانته وقال أنهم لن يصلوا اليك بما تكرهه حتى تقدم علي فاد اماناتي على اعين الناس ظاهرا واني مستخلفك على فاطمة ابنتي ومستخلف ربي عليكما وأمره ان يبتاع رواحل له وللفواطم ومن اراد الهجرة معه من بني هاشم وغيرهم وقال له اذا قضيت ما أمرتك فكن على اهبة الهجرة الى الله ورسوله وانتظر قدوم كتابي اليك ولا تلبث بعده . واقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الغار ثلاث ليال وفي ذلك يقول علي عليه السلام شعرا :

وقيت بنفسي خير من وطىء الحصى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
محمد لما خاف ان يمكروا به فوقاه ربي ذو الجلال من المكر
وبت لراعيهم متى ينشرونني وقد وطنت نفسي على القتل والاسر
وبات رسول الله في الغار آمنا هناك وفي حفظ الاله وفي ستر
أقام ثلاثا ثم زمت قلائص قلائص يفرين الحصى أينما يفري

ثم استأجروا دليلا من بني الدئل هاديا خريتا يقال له عبدالله ابن اريقط الليثي وهو على الكفر ولكنهما امناه فلما مضت الثلاث اتاهما الدليل ببعيرهما وبعير له واتتهما اسماء بنت ابي بكر بسفرتهما في جراب ونسيت ان تجعل لها عصاما فحلت نطاقها وجعلته عصاما وعلقتها به فسميت ذات النطاق وقيل قطعت منه قطعة او كث بها الجراب واخرى جعلتها عصاما وقيل شقت نطاقها باثنين فعلقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر فسميت ذات النطاقين ثم ارتحلا ومعهما عامر بن فهيرة غلام ابي بكر اردفه خلفه ودليلهم واخذ بهم الدليل على طريق السواحل وجعلت قريش مائة ناقة لمن رده عليهم وارسلت الى أهل السواحل ان من قتله او اسره فله مائة ناقة (قال ابن سعد) كان خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الغار ليلة الاثنين لاربع

خلون من ربيع الاول فقال يوم الثلاثاء بقديد (محل قرب رابغ) فلما راحوا منها عرض لهم سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له وكان نازلا بقديد فسمع رجلا من قومه يقول رايت ركبة ثلاثة مروا علي آنفا اني لاراهم محمدا واصحابه فلبس سلاحه وركب فرسه ولحقهم طمعا في أخذ الجعل الذي جعلته قريش لما سمع به . وفي السيرة الحلبية عن ابي بكر قلت : يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا وبكيت قال لم تبكي قلت ما على نفسي ابكي ولكن ابكي عليك فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرسخت قوائم فرسه فقال يا محمد ادع الله أن يطلق فرسي فارجع عنك ففعل واطلق فرجع وقيل انه فعل ذلك مرتين ومروا بخيمتي ام معبد الخزاعية واسمها عاتكة وكان منزلها بقديد فسألوها تمرا أو لحما يشترون فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك واذا القوم مرملون مسنتون فقالت والله لو كان عندنا شيء ما اعوزكم القرى فنظر صلى الله عليه وآله وسلم الى الشاة في كسر الخيمة فقال ما هذه الشاة يا ام معبد قالت هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم قال هل بها لبن قالت هي اجهد من ذلك قال اتأذنين لي ان احلبها قالت نعم بابي انت وامي ان رأيت بها حلبا فدعا بها فمسح ضرعها وسمى الله وقال اللهم بارك لها في شاتها فتفاحجت (أو فتفاجت) ودرت واجترت فدعا بأناء كبير فحلب فيه فسقاها وسقى اصحابه حتى رويت ورووا وشرب آخرا وقال ساقي القوم آخرهم ثم حلب فيه ثانيا حتى امتلأ وتركه عندها وارتحلوا فقل ما لبثت حتى جاء زوجها ابو معبد قيل اسمه اكثم بالمثلثة وقيل خنيس وقيل عبدالله يسوق اعنزا حيلا عجافا فلما راى اللبن عجب وقال من اين لكم هذا ولا حلوبة في البيت قالت لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت قال اني لاراه صاحب قريش الذي يطلب ، صفيه لي ثم هاجرت ام معبد واسلمت ويقال بل اسلمت يومئذ وبايعت وهاجر زوجها واسلم .

ولم يزل صلى الله عليه وآله وسلم سائرا حتى قارب المدينة فقال من يدلنا على الطريق الى بني عمرو بن عوف فلا يقرب المدينة فنزل فيهم بقبا لاحدى عشرة او لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وكان التاريخ من ذلك اليوم ثم رد الى محرم واراده صاحبه على دخول المدينة فقال ما انا بداخلها حتى يقدم ابن عمي وابنتي يعني عليا وفاطمة وكان المسلمون من المهاجرين والانصار يغدون كل يوم الى حرة العصبة يتحينون قدومه فاذا علت الشمس عادوا الى منازلهم فلما كان يوم قدومه رآه يهودي فأخبرهم فسمعت الرجة في بني عمرو بن عوف والتكبير ويقال انه استقبله من الانصار زهاء خمسمائة

فمال بهم الى قبـا .

ثم كتب رسول الله (ص) الى علي مع ابي واقد الليثي يأمره بالمسير اليه وكان قد ادى اماناته وفعل ما أوصاه به فلما أتاه الكتاب ابتاع ركائب وتهيأ للخروج وامر من كان معه من ضعفاء المؤمنين ان يتسللوا ليلا الى ذي طوى وخرج علي عليه السلام بالفواطم فاطمة بنت رسول الله (ص) وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب وزاد بعض المؤرخين فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب وتبعهم ايمن بن ام ايمن مولى رسول الله (ص) وابو واقد الليثي فجعل ابو واقد يسوق بالرواحل سوقا حثيثا فقال علي عليه السلام ارفق بالنسوة يا ابا واقد انهن من الضعائف قال اني أخاف ان يدركنا الطلب قال اربع عليك فان رسول الله (ص) قال لي انهم لن يصلوا اليك بما تكرهه ثم جعل علي يسوق بهن سوقا رفيقا وهو يقول :

ليس الا الله فارفع ظنـكا   يكفيك رب الناس ما اهمكا

فلما قارب ضجنان أدركه الطلب وهو ثمانية فرسان ملثمون معهم مولى لحرب ابن امية اسمه جناح فقال علي عليه السلام لايمن وابي واقد انيخـا الابل واعقلاها وتقدم فأنزل النسوة ودنا القوم فاستقبلهم علي عليه السـلام منتضيا سيفه فقالوا ظننت انك يا غدار ناج بالنسوة ارجع لا ابا لك قال فان لم أفعل قالوا لترجعن راغما أو لنرجعن بأكثرك شعرا وأهون بك من هالك ودنوا من المطايا ليثوروها فحال علي عليه السلام بينهم وبينها فأهوى لـه جناح بسيفه فراغ عن ضربته وضرب جناحا على عاتقه فقده نصفين حتى وصل السيف الى كتف فرسه والظاهر ان جناحا لما أهوى له بالسيف انحنى لان الفارس لا يمكنه ان يضرب الراجل الا وهو منحن فضربه علي وهو منحن على عاتقه ولو لم يكن منحنيا لم تصل ضربته الى عاتقه وشد على أصحابه وهو على قدميه شدة ضيغم وهو يقول :

خلوا سبيل الجاهد المجاهد   آليت لا اعبـد غير الواحد

فتفرق القوم عنه وقالوا : احبس نفسك عنا يا ابن ابي طالب قال : فاني منطلق الى اخي وابن عمي رسول الله (ص) فمن سره أن افري لحمه وأريق دمه فليدن مني ثم أقبل على ايمن وابي واقد وقال لهما : اطلقا مطاياكما ثم سار ظافرا قاهرا حتى نزل ضجنان فلبث بها يومه وليلته ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين فيهم أم ايمن مولاة رسول الله (ص) وبات ليلتـه تلك هو والفواطم طورا يصلون وطورا يذكرون الله قياما وقعـودا وعـلى جنوبهم حتى طلع الفجر فصلى بهم صلاة الفجر ثم سار لا يفتر عن ذكر الله هو ومن معه حتى قدموا المدينة وقد نزل الوحي بما كان مـن شأنهم قبـل

قدومهم بقوله تعالى « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم (الى قوله) فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب » وتلا (ص) « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد » . وفي سيرة ابن هشام اقام علي بن ابي طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى ادى عن رسول الله (ص) الودائع ثم لحق به بقبا فأقام بها ليلة او ليلتين . وفي السيرة الحلبية عن الامتناع : لما قدم علي عليه السلام من مكة كان يسير الليل ويكمن النهار حتى تفطرت قدماه فاعتنقه النبي (ص) وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل في يديه وامرهما على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك . واقام رسول الله (ص) بقبا الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسس مسجده وخرج يوم الجمعة . وقيل مكث اربع عشرة ليلة ولعله الاقرب الى الاعتبار وركب ناقته وحشد المسلمون حوله عن يمينه وشماله بالسلاح وادركته الجمعة في بني سالم ابن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن وادي رانوناء ومعه مائة من المسلمين فكانت اول جمعة صلاها بالمدينة واراده بنو سالم بن عوف على الاقامة عندهم في العدد والعدة والمنعة ، فقال : خلوا سبيلها فانها مأمورة لناقته وجعل كلما مر بحي من احياء الانصار يدعونه للاقامة عندهم في العدد والعدة والمنعة فيجيبهم بمثل ذلك حتى بركت على باب مسجده وهو يومئذ مربد ليتيمين وهما سهل وسهيل ابنا عمرو في حجر معاذ بن عفراء فجعل الناس يكلمون رسول الله (ص) في النزول عليهم فاحتمل ابو ايوب رحله فوضعه في بيته فقال رسول الله (ص) المرء مع رحله ونزل عليه وسأل عن المربد فاخبره معاذ بخبره وقال سأرضي صاحبيه فاتخذه مسجدا فأمر ان يبني مسجدا وكان في موضعه قبور للمشركين فامر النبي (ص) بها فنبشت عظامها والقيت وبني المسجد في موضعها وعمل فيه رسول الله (ص) والمهاجرون والانصار وقال قائلهم :

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل

قال ابن هشام في سيرته : وارتجز علي بن ابي طالب يومئذ :

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائما وقاعدا
ومن يرى عن الغبار حائدا

فاخذها عمار بن ياسر فجعل يرتجز بها فلما اكثر ظن رجل من اصحاب رسول الله (ص) انه انما يعرض به فيما حدثنا زياد بن عبدالله البكائي عن

ابن اسحق وقد سمى ابن اسحق الرجل فقال قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا ابن سمية والله اني لاراني ساعرض هذه العصا لانفك وفي يده عصا فغضب رسول الله (ص) ثم قال : مالهم ولعمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار . ان عمارا جلدة ما بين عيني وانفي (الحديث) وما في السيرة الحلبية : من ان الرجل الذي ظن ان عمارا يعرض به هو عثمان بن مظعون غير صحيح ولو كان هو لما كتم ابن هشام اسمه واقتصر على قوله : وقد سمى ابن اسحق الرجل بل ممن يحتشم من التصريح باسمه وكان لابسا ثيابا بيضاء ويحيد عن الغبار ، فبنى حائطه اولا بالحجارة ثم باللبن الى ان جعل بقدر قامة وجعل له سواري من جذوع النخل وجعل فوقها عريش وبنى بجانبه مساكن له ولاصحابه واقام في منزل ابي ايوب سبعة اشهر حتى بنى مسجده ومساكنه (واما) في طبقات ابن سعد : انه (ص) بعث من منزل ابي ايوب زيد بن حارثة وابا رافع الى مكة واعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم فقدما عليه بفاطمة وام كلثوم ابنتيه وسودة بنت زمعة زوجته مخالف لما عليه عامة الرواة وللاعتبار . وبقي في المدينة عشر سنين ثم قبض (ص) .

المؤاخاة بين المهاجرين والانصار بعد الهجرة

قد عرفت انه (ص) آخى بين المهاجرين قبل الهجرة وآخى بين علي ونفسه (ص) ثم انه (ص) آخى بين المهاجرين والانصار في السنة الاولى من الهجرة وفي رواية ابن سعد في الطبقات انه (ص) لما قدم المدينة آخى بين المهاجرين بعضهم لبعض وآخى بين المهاجرين والانصار على الحق والمواساة ويتوارثون بعد الممات دون ذوي الارحام قال وكانوا تسعين رجلا خمسة واربعون من المهاجرين وخمسة واربعون من الانصار ويقال كانوا مائة وخمسون من المهاجرين وخمسون من الانصار فلما كانت وقعة بدر وانزل الله تعالى واولو الارحام بعضهم أولى ببعض الآية . فنسخت هذه الآية ما كان قبلها وانقطعت المؤاخاة في الميراث ورجع كل انسان الى نسبه وورثه ذوو رحمه . ويظهر ان هذه المؤاخاة كانت اولا بين مهاجري ومهاجري ثم بين المسلمين عموما فقد تكون بين مهاجري ومهاجري وبين مهاجري وانصاري وبين انصاري وانصاري ففي السيرة الحلبية انه آخى بعد الهجرة بين ابي بكر وخارجة بن زيد وبين عمر وعتبان بن مالك وبين ابي رويم الخثعمي وبلال وبين اسيد بن حضير وزيد ابن حارثة وبين ابي عبيدة وسعد بن معاذ وبين عبد الرحمن ابن عوف وسعد بن الربيع وبين حمزه وزيد بن حارثة وبين جعفر بن ابي طالب وهو غائب بالحبشة ومعاذ بن جبل وبين

ابي ذر الغفاري والمنذر بن عمر وبين حذيفة ن اليمان وعمار بن ياسر وبين مصعب بن عمير وابي ايوب وبين سلمان وابي الدرداء قال ثم اخذ بيد علي بن ابي طالب وقال هذا اخي فكان رسول الله (ص) وعلي اخوين قال وفي رواية لما آخى رسول الله (ص) بين اصحابه جاء علي تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين اصحابك ولم تؤاخ بيني وبين احد فقال له رسول الله (ص) انت اخي في الدنيا والآخرة .

وعن ابن اسحق اخي رسول الله (ص) بين اصحابه من المهاجرين والانصار فقال تآخوا في الله اخوين . وهذا من اقوى السياسات الاسلامية وجاء في القرآن الكريم انما المؤمنون اخوة بصيغة الحصر .

وقد ذكر الدكتور محمد حسين هيكل المصري خبر المؤاخاة في كتابه (حياة محمد) (ص) فقال كان أول ما انصرف اليه تفكيره (ص) تنظيم صفوف المسلمين وتوكيد وحدتهم للقضاء على كل شبهة في ان تثور العداوة القديمة بينهم ولتحقيق هذه الغاية دعا المسلمين ليتآخوا في الله اخوين فكان هو وعلي بن ابي طالب اخوين وعمه حمزة ومولاه زيد اخوين وابو بكر وخارجة بن زيد اخوين وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك الخزرجي اخوين . فترام كيف ذكر مؤاخاة النبي (ص) لعلي كأمر عادي لا يزيد على المؤاخاة بين باقي الصحابة بعضهم مع بعض ولم يشر الى ما في هذه المؤاخاة من مغزى كما هو مبنى كتابه ولا أعارها جانبا من الاهمية وتركها غفلا كسائر الامور العادية وهي اولى بأن تكون رمزا الى الميزة على سائر الناس وانه لا كفؤ لمؤاخاته سواه والى الوزارة التي اثبتها قبل ذلك .

الآذان والاقامة

في السيرة الحلبية وغيرها انه في السنة الاولى من الهجرة شرع الاذان والاقامة (وفيها) عن الموطأ ان المؤذن جاء عمر يؤذن بصلاة الصبح فوجده نائما فقال الصلاة خير من النوم فأمره عمر ان يجعلها في نداء الصبح وفي السيرة الحلبية ايضا: نقل عن ابن عمر وعن علي بن الحسين انهما كانا يقولان في اذانهما بعد حي على الفلاح : حي على خير العمل . وروى البيهقي في سننه بسنده عن جعفر بن محمد عن ابيه ان علي بن الحسين كان يقول في اذانه اذا قال حي على الفلاح : حي على خير العمل ويقول هو الأذان الاول ونقل في الروض عن التحرير بعدة اسانيد في مسند ابن ابي شيبة عن عبد الله بن عمر انه كان يقول في اذانه حي على خير العمل وروى البيهقي عن عبد الله بن عمر مثله بعدة اسانيد وروى المحب الطبري الشافعي في

كتاب احكام الاحكام عن صدقة بن يسار عن سهل بن حنيف انه كان اذا اذن قال حي على خير العمل وحكى في الروض النضير عن سعد الدين التفتازاني في حاشية شرح العضد على مختصر الاصول ان حي على خير العمل كان ثابتا على عهد رسول الله (ص) وان عمر هو الذي امر ان يكف الناس مخافة ان يثبط الناس عن الجهاد ويتكلوا على الصلاة وما في طبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام من ان سبب وضع الاذان والاقامة رؤيا رآها بعض الانصار باطل لا يلتفت اليه فان الاحكام الشرعية ما كان يشرعها (ص) بالمنامات ان هو الا وحي يوحي . وفي السيرة الحلبية عن محمد بن الحنيفة انكار ذلك أشد الانكار .

تحويل القبلة الى الكعبة المشرفة وذلك بالمدينة في السنة الثانية من الهجرة

روى ابن سعد في الطبقات ان رسول الله (ص) كان يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه ولما هاجر الى المدينة صلى الى بيت المقدس ستة عشر شهرا او سبعا عشر شهرا وكان يحب ان يصرف الى الكعبة وجعل اذا صلى الى بيت المقدس يرفع راسه الى السماء فنزلت قد نرى تقلب وجهك في السماء (الآية) وكان قد صلى ركعتين من الظهر في مسجده ثم امر ان يوجه الى المسجد الحرام فاستدار اليه ودار معه المسلمون ويقال بل كان ذلك في بني سليم فسمي المسجد مسجد القبلتين .

وفادات العرب على رسول الله

جعلت قبائل العرب بعد ظهور الاسلام ترسل وفودها الى النبي (ص) بالمئات والعشرات والجماعة والآحاد بعضها مسلمة وبعضها على شركها فمنها من يسلم فورا ومنها بعد مدة ومنها يبقى على شركه وهو القليل ومن يسلم يعود الى قومه فيسلمون كلهم او بعضهم او يبقون على شركهم ومنهم من يبايع على قومه ولهم اخبار حسان يعرف منها كثير من اخلاق العرب وعاداتهم ووفائهم ويعرف من سيرته (ص) معهم فضيلة الاسلام وشيء كثير من السياسة الاسلامية الباهرة التي اوجبت انتشار الاسلام بسرعة فيهم وفي غيرهم فكان (ص) يكرمهم ويوسع لرؤسائهم في المجالس ويجلسهم بجانبه ويؤنسهم بالحديث ويسألهم عن اهاليهم وبلادهم ويغير اسماءهم بأحسن كعبد العزي بعبد الله وغوي براشد ويدعو لهم ويحلم عن جاهلهم ويعفو عن

مسيئهم ويطلق لهم اسراهم ويضيف كثيرا منهم ويعطيهم الجوائز ويتالفهم مهما امكن ويزجر من تعدى طوره منهم بما يخالف الشريعة الاسلامية ويامر برسله لقبض زكاتهم ان يأخذها من اغنيائهم فيردها على فقرائهم وقد ذكرهم وذكر اخبارهم محمد بن سعد كاتب الواقدي في الطبقات .

(فأول) من وفد على رسول الله (ص) وفد مزينة سنة خمس . اربعمائة رجل فقال لهم انتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا الى اموالكم فرجعوا الى بلادهم . وفيه من الحكمة وحسن السياسة ما لا يخفى وبايعه رجل منهم اسمه خزاعي على قومه فلم يجدهم كما ظن فلم يرجع فقال رسول الله (ص) لحسان اذكر خزاعيا ولا تهجه فقال ابياتا اولها :

الا ابلغ خزاعيا رسولا   بان الذم يغسله الوفاء

فقال يا قوم قد خصكم شاعر الرجل فاسلموا وفيه من الدعاء الى سبيل الله بالحكمة ومن مزية الشعر ما هو ظاهر .

ووفد جهينة لما قدم المدينة وفيهم عبد العزي بن بدر فسماه عبد الله واخوه لأمه ابو روعة فقال له رعت العدو «انش» وقال من انتم قالوا بنو غيان قال انتم بنو رشدان وكان اسم واديهم غوى فسماه رشدا وخط لهم مسجدهم وهو اول مسجد خط بالمدينة .

ووافد بني سعد بن بكر في رجب سنة خمس ارسلوا وافدا اليه (ص) فأغلظ في المسالة ساله عمن ارسله وبما ارسله عن شرائع الاسلام فاجابه عن ذلك كله فرجع مسلما فما امسى في حاضره رجلا ولا امراة الا مسلما وبنوا المساجد واذنوا .

ووفد اشجع سنة خمس ، مائة وقيل سبعمائة وقيل بعدما فرغ من بني قريظة نزلوا شعب سلع فخرج اليهم (ص) وامر لهم باحمال التمر وودعهم ثم اسلموا .

ووفد ثعلبة سنة ثمان . اربعة نفر فامر لهم بضيافة واجازهم .

ووفد بني قشير بن كعب سنة ثمان بعد حنين فاسلموا فاقطع بعضهم واعطى بعضهم وكساه بردا وولاه صدقات قومه واسمه قرة بن هبيرة فقال:

حباها رسول الله اذ نزلت بـه   وامكنها من نائـل غير منفد
فاضحت بروض الخضر وهي حثيثة   وقد انجحت حاجاتها من محمد
عليها فتى لا يردف الذم خلفـه   تروك لأمر العاجـز المتردد

ووافد باهله بعد الفتح سنة ثمان فاسلم واخذ لقومه امانا آخر منهم فاسلم وكتب له ولمن اسلم من قومه كتابا فيه شرائع وكتب له رسول الله (ص) كتابا فيه فرائض الصدقات وقدم عليه الاسلام .

ووفد اسد اول سنة تسع وكانوا عشرة قال له بعضهم : أتيناك نتدرع الليل البهم في سنة شهباء ولم تبعث الينا بعثا فنزل فيهم : يمنون عليك ان اسلموا .

وفد تميم سنة تسع . تسعون او ثمانون من رؤسائهم فيهم عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم والاقرع بن حابس وعمرو بن الاهتم وغيرهم وكان (ص) ارسل رجلا على صدقات بني كعب من خزاعة فاستنكر ذلك بنو تميم وارادوا المحاربة فقدم المصدق على النبي (ص) فأخبره فأرسل اليهم خمسين فارسا من العرب فأسروا منهم وسبوا فجاء رؤساؤهم اليه (ص) في فكاك اسراهم فنادوا يا محمد اخرج الينا فنزلت : ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون فقال الاقرع بن حابس يا محمد ائذن لي فوالله ان مدحي لزين وان ذمي لشين فقال كذبت ذاك الله تبارك وتعالى وخطب خطيبهم عطارد ابن حاجب فقال (ص) لثابت بن قيس بن شماس اجبه فأجابه ثم قالوا يا محمد ائذن لشاعرنا فأذن له فقام الزبرقان بن بدر فأنشد فقال (ص) لحسان اجبه فأجابه فقالوا والله لخطيبه ابلغ من خطيبنا وشاعره اشعر من شاعرنا وهم احلم منا وقال (ص) في قيس بن عاصم هذا سيد اهل الوبر ورد عليهم الاسرى والسبي وأجازهم .

ووفد عبس تسعة قالوا له اخبرنا قراؤنا انه لا اسلام لمن لا هجرة له ولنا اموال ومواش هي معاشنا فان كان كذلك بعناها وهاجرنا فقال (ص) اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم من اعمالكم شيئا وسألهم عن خالد بن سنان فقالوا لا عقب له فقال نبي ضيعه قومه .

ووفد فزارة سنة تسع . بضعة عشر رجلا سأل (ص) راس وفد مرة اين ترك اهله فأخبره قال وكيف البلاد قال والله انا لمسنتون فادع الله لنا فدعا لهم فسقوا .

ووفد محارب سنة عشر . عشرة نفر فأنزلهم دار رملة بنت الحارث واضافهم فأسلموا وتكفلوا اسلام من وراءهم فأجازهم .

ووفد كلاب سنة تسع . ثلاثة عشر رجلا فأنزلهم دار رملة بنت الحارث ورحب بهم كعب بن مالك احد الصحابة وذهب معهم الى رسول الله (ص) فسلموا عليه بسلام الاسلام واخبروه ان الذي ارسله اليهم سار فيهم بالكتاب والسنة كما امره واخذ الصدقة من اغنيائهم فردها على فقرائهم .

ووافد بني رؤاس بن كلاب واسمه عمرو بن مالك جاءه (ص) فأسلم ودعا قومه الى الاسلام فقالوا حتى نصيب ثارنا من بني فلان فحاربوهم وقتل عمرو رجلا منهم ثم ندم وغل يده الى عنقه وخرج يريد النبي (ص) فأتاه عن

يمينه فأعرض عنه فأتاه عن يساره فأعرض عنه فأتاه من قبل وجهه وقال يا رسول الله ان الرب ليترضى فيرضى فارض عني رضي الله عنك قال : رضيت عنك .

ووفد عقيل بن كعب سبعة في عدة دفعات منهم ثلاثة فبايعوا واسلموا وبايعوه عمن وراءهم من قومهم فأعطاهم العقيق ارضا فيها عيون ونخل وكتب لهم به كتابا في اديم أحمر ما اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وسمعوا وأطاعوا ولم يعطهم حقا لمسلم ووفد عليه منهم لقيط بن عامر فاعطاه ماء يقال له النظيم وبايعه على قومه . وقدم عليه منهم ابو حرب بن خويلد فقرا عليه القرآن فقال اما ايم الله لقد لقيت الله او لقيت من لقيه وانك لتقول قولا لا نحسن مثله وضرب قداحه على الاسلام والكفر فخرج عليه سهم الكفر وقدم اخوه عقال على رسول الله (ص) فقال له أتشهد ان محمدا رسول الله؟ فقال اشهد ان هبيرة بن النفاضة نعم الفارس يوم كذا ثم قال أتشهد ان محمدا رسول الله فقال اشهد ان الشريح تحت الرغوة ثم قال له الثالثة فأسلم . فيه فضل الحلم وعدم اليأس .

ووفد بني البكاء سنة تسع . ثلاثة نفر فأمر لهم بمنزل وضيافة واجازهم وقال له احدهم وعمره مائة سنة اني اتبرك بمسك وابني هذا بربي فامسح وجهه ففعل واعطى الابن اعنزا عفرا وبرك عليهن فقال حفيده من ابيات :

وابي الذي مسح الرسول براسه ودعا لـه بالخير والبركات

ووفد كنانه وفد عليه (ص) واثلة بن الاسقع الليثي من بني كنانة وهو يتجهز الى تبوك فقال اتيتك لاؤمن بالله ورسوله فبايع على ما احببت وكرهت فبايعه ورجع الى اهله فأخبرهم فحلف ابوه لا يكلمه واسلمت اخته وجهزته فرجع فوجد النبي (ص) قد خرج الى تبوك فقال من يحملني وله سهمي فحمله رجل وبعثه رسول الله (ص) مع من بعث الى اكيدر فغنم وجاء بسهمه للذي حمله فأبى ان ياخذه وقال انما حملتك لله .

ووفد سليم قدم عليه (ص) قيس بن نسيبة من بني سليم وسأله عما شاء فأجابه ودعاه الى الاسلام فأسلم ورجع الى قومه فقال لهم قد سمعت ترجمة الروم وهينمة فارس وأشعار العرب وكهنة الكاهن وكلام مقاول حمير فما يشبه كلام محمد شيئا من كلامهم فلما كان عام الفتح خرج منهم سبعمائة الى رسول الله (ص) فلقوه بقديد واسلموا وكانوا في مقدمته . واعطى راشد بن عبد ربه ارضا يقال لها رهاط فيها عين يقال لها عين الرسول. وكان راشد يسدن صنما لبني سليم فراى ثعلبين يبولان عليه فقال

اربِ يبول الثعلبان برأســه لقد ذل مــن بالت عليه الثعالب

ثم شد عليه فكسره واتى النبي (ص) فقال له ما اسمك فقال غاوي بن عبد العزي فقال انت راشد بن عبد ربه فاسلم .

ووفد عليه (ص) منهم قدر بن عمار فأسلم وعاهده ان يأتيه بألف منهم على الخيل فخرج معه تسعمائة وخلف مائة في الحي فمات في الطريق فامر على كل ثلثمائة اميرا وقال ائتوا هذا الرجل حتى تقضوا العهد الذي في عنقي فسألهم (ص) عن المائة العاشرة فقالوا خلفها في الحي مخافة حرب كان بيننا وبين كنانة فقال ابعثوا اليها فلا بأس عليكم فبعثوا اليها فجاءت.

ووفد هلال بن عامر وفد عليه (ص) قبيصة بن المخارق من بني هلال بن عامر فقال اني حملت عن قومي حمالة فأعني فيها قال هي لك في الصدقات ان جاءت .

ووفد عليه منهم زياد بن عبد الله وهو شاب وكانت ميمونة بنت الحارث زوجة النبي (ص) خالته فأمه غرة بنت الحارث فلما رآه (ص) عندها غضب ورجع فقالت هذا ابن اختي فرجع واخذه معه الى المسجد ودعا له ومسح على رأسه ووجهه الى طرف انفه فقال بعض الشعراء في ابنه علي :

يا ابن الذي مسح النبي برأسه ودعا له بالخير عنــد المسجد
ما زال ذاك النور في عرنينــه حتــى تبوأ بيته في الملحــد

ووفد عامر بن صعصعة فسلموا عليه فقال من انتم قالوا بنو عامر ابن صعصعة قال مرحبا بكم انتم مني وأنا منكم . وهذا حسن خلق لا مثيل له وكان فيهم عامر بن الطفيل فقال يا محمد مالي ان أسلمت قال لك مــا للمسلمين وعليك ما عليهم قال اتجعل لي الامر من بعدك قال ليس ذلك لك قال افتجعل لي الوبر ولك المدر قال لا ولكني اجعل لك اعنة الخيل فانك امرؤ فارس قال أوليست لي لأملأنها عليك خيلا ورجالا فدعا عليه فهلك ، اصابه داء في رقبته فمال الى بيت امرأة من سلول . وقال غدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية . طلب ما لا يمكن فلم يجبه (ص) ولم يُويسه بــل عرض عليه ما هو قريب من مطلوبه ومن الغاية التي يتوخاها وهي الرياسة بأن يكون امير الجيش وذلك سياسة كبرى وحكمة بالغة . وفيهم ايضا عبد الله بن الشخير فقال يا رسول الله انت سيدنا وذو الطول علينا فقال السيد الله لا يستهوينكم الشيطان . هذا تواضع منه (ص) وقدم عليه منهم علقمة بن علاثة وعمر جالس الى جانب النبي فقال له (ص) : اوسع لعلقمة فأوسع له فجلس الى جنبه (ص) فقص عليه شرائع الاسلام وقرأ عليه قرآنا فقال يا محمد ان ربك لكريم وقد آمنت بك . ولعل احترامه واجلاسه له

الى جانبه كان معينا على اسلامه .

كتبه الى الملوك يدعوهم الى الاسلام

روى ابن سعد في الطبقات ان رسول الله (ص) لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست ارسل الرسل الى الملــوك يدعوهم الى الاسلام وكتب اليهم كتبا ، فقيل : يا رسول الله ان الملوك لا يقرؤن كتابا الا مختوما، فاتخذ يومئذ خاتما من فضة فصه منه نقشة ثلاثة اسطر محمد رسول الله ، فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد وذلك في المحرم سنة سبع .

١ ــ « كتابه الى النجاشي ملك الحبشة »

فكان اول رسول بعثه رسول الله (ص) عمرو بن اميــة الضمري الى النجاشي يدعوه الى الاسلام ويتلو عليه القرآن وكتب اليه .

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول اللــه الى النجاشي ملك الحبشة ! سلام انت فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن واشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى حملته من روحه ونفخه كمـا خلق آدم بيده واني ادعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وان تتبعني وتوقن بالذي جاءني فاني رسول الله واني ادعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى .

قال ابن سعد : فأخذ الكتاب فوضعه على عينيه ونزل من سريره على الارض تواضعا ثم اسلم ، وقال : لو استطعت ان آتيه لاتيته قال وكتب اليه كتابا آخر ان يزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان ، وكانت هاجرت مع زوجها عبدالله بن جحش الاسدي فتنصر هناك ومات . وامره ان يبعث اليه بمن قبله من المسلمين ويحملهم ففعل فزوجه ام حبيبة واصدقها عنه واربعمائة دينار وامر بجهاز المسلمين وحملهم في سفينتين مع عمرو بن امية الضمري ودعا بحق من عاج فجعل فيه كتابي رسول الله (ص) ، وقال : لن تــزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين اظهرها وكتب الى رسول الله (ص) باسلامه على يدي جعفر بن ابي طالب فقال رسول الله (ص) لما بلغه ذلـك ثبت ملكهم . وظاهر كلام ابن سعد انه هو الذي هاجر اليه المسلمون جعفر واصحابه وفي السيرة الحلبية اختلف فيه انه هو او غيره .

٢ ــ « كتابه الى جيفر وعبد ابني الجلندي في عمان باليمن »

وهما من الازد والملك منهما جيفر ارسله مع عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان وفيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد بن عبدالله الى جيفر وعبد ابني الجلندي سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني أدعوكما بدعاية الاسلام اسلما تسلما اني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وانكما ان اقررتما بالاسلام وليتكما وان أبيتما ان تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما . وختم الكتـاب .

قال عمرو فخرجت حتى انتهيت الى عمان فعمدت الى عبد وكان احلم الرجلين واسهلهما خلقا فقلت اني رسول الله (ص) اليك فقال اخي المتقدم بالسن والملك وانا اوصلك اليه ثم سأله عن ابيه العاص ما صنع ثم قال له في جملة كلامه فاخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه قلت يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهي عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب فقال ما أحسن هذا الذي يدعو اليه لو كان أخي يتبعني لآمنا به ولكنه اضن بملكه من ان يدعه ويصير ذنبا ثم ادخله على اخيه فدفع اليه الكتاب وقرأه ثم دفعه الى اخيـه فقرأه وجعل يسأله عن قريش ما صنعت ثم قال له اني فكرت فيما دعوتني اليه فاذا أنا أضعف العرب ان ملكت رجلا ما في يدي قال عمـرو فقلت انا خارج غدا فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه فأصبح وقد اسلم هو واخـوه وخليا بيني وبين الصدقة .

حروبه وغزواته وسراياه

روى ابن سعد في الطبقات الكبير ان عدد مغازي رسول الله (ص) التي غزاها بنفسـه كانت سبعا وعشرين غزوة وسراياه التي بعث بها سبعا واربعين سرية وما قاتل فيه من المغازي تسع غزوات .

غزوة سفوان

بفتح السين المهملة والفاء آخره نون ويقال لها غزوة بدر الاولى وكانت في ربيع الاول على رأس ثلاثة عشر شهرا من الهجرة ولواؤه مع علي بن ابي طالب وهو لواء ابيض وسببها ان كرز بن جابر الفهري اغار على سرح المدينة فاستاقه فطلبه رسول الله (ص) حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر ففاته ولذا يقال لها غزوة بدر الاولى فرجع وبعضهم يقول انها بعد غـزوة العشيرة .

غزوة بدر الكبرى

ويقال بدر القتال فالكبرى مقابل الصغرى وهي غزوة سفوان المتقدمة وبدر القتال لان الاولى لم يقع فيها قتال وكانت في رمضان يوم تسعة عشر او سبعة عشر منه على راس تسعة عشر شهرا من مهاجره (ص) وبدر اسم بئر كانت لرجل يدعى بدرا وسببها ان رسول الله (ص) كان قد عرض لعير قريش التي فيها تجارتهم وهي ذاهبة الى الشام مع ابي سفيان بن حرب واصحابه على راس ستة عشر شهرا من مهاجره (ص) ففاتته كما مر فلما رجعت العير ندب اصحابه اليها فخف بعضهم وثقل بعضهم فخرجوا لا يريدون الا ابا سفيان والركب ولا يرون الا انها غنيمة لهم ولم يظنوا ان رسول الله (ص) يلقى حربا ولا كيدا وكان في العير اربعون راكبا من قريش وهي اول غزوات رسول الله (ص) المهمة وبها تمهدت قواعد الدين واعز الله الاسلام واذل جبابرة قريش وقتلت فيها رؤساؤهم ووقعت الهيبة من المسلمين في قلوب العرب واليهود وغيرهم وانزل الله تعالى فيها سورة الانفال اكثرها وغيرها من السور فخرج (ص) في ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا ومعهم فرسان وسبعون بعيرا فكان الرجلان منهم والاكثر يتعاقبان بعيرا واحدا حتى ان النبي (ص) لم يختص ببعير وحده فكان يتعاقب هو وعلي ابن ابي طالب ومرثد بن ابي مرثد على بعير لمرثد وكان كثير من اصحابه كارهين للخروج خوفا من قريش وكثرتها كما قال تعالى (كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعدما تبين لهم كأنما يساقون الى الموت) ووعد الله تعالى رسوله احدى الطائفتين العير او النفير وكانوا يودون العير وان لا تكون حرب حبا بالعاجل وهو قوله تعالى (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم وبلغ خروجهم ابا سفيان واصحابه فارسلوا ضمضم بن عمرو الغفاري يستصرخ قريشا بمكه ورات عاتكة بنت عبد المطلب قبل مجيء ضمضم بثلاث في منامها راكبا اقبل حتى وقف بالابطح فصرخ باعلى صوته يا آل غدر انفروا الى مصارعكم في ثلاث فصرخ بها ثلاثا فاجتمع الناس اليه ثم دخل المسجد وهم يتبعونه اذ مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها ثلاثا ثم مثل به بعيره على راس ابي قبيس فصرخ بمثلها ثلاثا ثم اخذ صخرة من ابي قبيس فارسلها فاقبلت تهوي حتى اذا كانت في اسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة الا دخلته منها فلذة وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما رضيتم يا بني عبد المطلب بان تتنبأ رجالكم حتى تنبأت نساؤكم فلما كان اليوم الثالث والعباس يخاصم ابا جهل في ذلك اذ جاء ضمضم وهو يقول يا

معشر قريش يا آل لؤي بن غالب اللطيمة اللطيمة العير العير قد عرض لها محمد في اصحابه الغوث الغوث والله ما أرى أن تدركوها وقد جدع اذني بعيره وشق قميصه قبلا ودبرا وحول رحله وهذه كانت علامة المستصرخ وشبيهها باق في عرب الحجاز الى اليوم فتجهز الناس ومن لم يخرج ارسل رجلا مكانه واشفقت قريش لرؤيا عاتكة وسر بنو هاشم ولم يخرج ابو لهب معهم وهذا هو العير والنفير الذي يقال فيه فلان لا في العير ولا في النفير وخرجت قريش بالقيان والدفوف في تسعمائة وخمسين او عشرين مقاتلا وقادوا مائتي فرس وقيل اربعمائة والابل سبعمائة بعير وبات ابو سفيان من وراء بدر وارسل رسول الله (ص) رجلين يتجسسان الاخبار وهما بسبس وعدي فاناخا بعيريهما قريبا من الماء ثم استقيا منه فسمعا جاريتين من جهينة تلزم احداهما صاحبتها في درهم لها عليها وصاحبتها تقول انما العير غدا او بعد غد قد نزلت فقال رجل صدقت فلما سمعا ذلك رجعا الى النبي (ص) واخبراه وأصبح ابو سفيان ببدر قد تقدم العير وهو خائف فسأل رجلا اسمه مجدي هل احسست احدا قال لا الا اني رايت راكبين اتيا هذا المكان فاناخا به واستقيا ثم انصرفا فجاء ابو سفيان مناخهما ففت البعر فاذا فيه نوى فقال هذه والله علائف يثرب هذه عيون محمد واصحابه ما اراهم الى قريبا فضرب وجه عيره فساحل بها وانطلق سريعا واقبلت قريش تنزل المباهل وتنحر الجزر وتخلف عتبة واخوه شيبة في الطريق وترددا وهما بالرجوع فحمسهما ابو جهل فمضيا كارهين ورجعت بنو زهرة وبنو عدي ابن كعب وارسل ابو سفيان الى قريش ان يرجعوا والا فليردوا اللقيان فاراد عتبة الرجوع فأبى ابو جهل وقومه وردوا القيان من الجحفة وكأنه أراد برد القيان ان لا يقعوا في اسر المسلمين وبلغه اباؤهم فقال واقوماه وهذا يدل على وقوع الهيبة من المسلمين في قلبه بما رأي من جراتهم وبان له من احوالهم مع انه لم يسبق لقومه معهم حرب وقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم بها ثلاثا ونطعمهم الطعام ونسقي الخمور ونعزف علينا القيان وننحر الجزور وتسمع العرب بمسيرنا فلا تزال تهابنا وكانت بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام ولما وصل رسول الله (ص) قريب بدر اخبر بمسير قريش فأخبره الناس بذلك واستشارهم فنهاه بعض المهاجرين عن المسير وقال انها قريش وخيلاؤها ما آمنت منذ كفرت وقال المقداد والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لنبيها اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون فقال له رسول الله (ص) خيرا ودعا له ثم قال اشيروا علي وانما يريد الانصار

لظنه انهم لا ينصرونه الا في الدار لشرطهم ان يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم فاجابه سعد بن عبادة وسعد بن معاذ عنهم بالسمع والطاعة فقال رسول الله (ص) سيروا على بركة الله فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني انظر الى مصارع القوم وعقد رسول الله (ص) ثلاثة الوية وبات الفريقان قريبا ولا يعلم احدهما بالآخر وارسل رسول الله (ص) عليا والزبير وجماعة يتجسون على الماء فوجدوا روايا قريش فيها سقاؤهم فاسروهم وافلت بعضهم فأخبر قريشا فاستاؤوا وباتوا يتحارسون الا ابا جهل فانحاز بقومه بدون حرس وجاءوا بالسقاء والنبي (ص) يصلي فسألوهم فقالوا نحن سقاء قريش فكرهوا ذلك واحبوا ان يكونوا سقاء ابي سفيان فضربوهم فقالوا نحن سقاء ابي سفيان فامسكوا عنهم فسلم رسول الله (ص) وقال ان صدقوكم ضربتموهم وان كذبوكم تركتموهم ثم قال لهم اين قريش قالوا خلف هذا الكثيب قال كم عددهم قالوا لا ندري وهم كثير قال كم ينحرون كل يوم قالوا يوما عشرة اباعر ويوما تسعة فقال هم ما بين الالف والتسعمائة وقال (ص) هذه مكة قد القيت اليكم افلاذ كبدها وغشيهم النعاس ليلة بدر فناموا وبعث الله المطر تلك الليلة فأصاب المسلمين ما لبد الارض وأصاب قريشا ما آذاهم وبينهم مسافة قليلة وهو قوله تعالى: اذ يغشيكم النعاس امنة «امانا» منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان « جناية الاحتلام » وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام . وارسل رسول الله (ص) عمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود فطافا بالقوم ثم رجعا فأخبرا بأنهم مذعورون فزعون وبني لرسول الله (ص) عريش من جريد وقام سعد بن معاذ متوشحا سيفه على بابه فدخله النبي (ص) وابو بكر . وصف رسول الله(ص) أصحابه فطلعت قريش وهو يصفهم وقد ملؤوا حوضا كانوا يضعون فيه الماء من السحر ومتح فيه علي بن ابي طالب كثيرا وقذفت فيه الآنية ودفع رسول الله (ص) رايته الى علي بن ابي طالب وتسمى العقاب ولواء المهاجرين الى مصعب ابن عمير ولواء الخزرج الى الحباب بن المنذر ولواء الاوس الى سعد ابن معاذ هذا هو الصواب وما في الطبعة الاولى من انه اعطى رايته مصعب ابن عمير خطأ محض في السيرة الحلبية جاء عن ابن عباس ان النبي (ص) اعطى عليا الراية يوم بدر وهو ابن عشرين سنة . وفي السيرة النبوية لدحلان عقد (ص) وسلم يوم بدر لواء ابيض ودفعه لمصعب ابن عمير وكان امامه (ص) رايتان سوداوان احداهما مع علي بن ابي طالب والاخرى مع سعد بن معاذ وقيل مع الحباب ابن المنذر. وفي السيرة الحلبية ان النبي (ص) دفع اللواء يوم بدر وكان ابيض الى مصعب بن عمير وكان

امامه رايتان سوداوان احداهما مع علي بن ابي طالب ويقال لها العقاب وفيها ايضا عن الامتاع ان النبي (ص) عقد الالوية يوم بدر وهي ثلاثة لواء يحمله مصعب بن عمير ورايتان سوداوان احداهما مع علي والاخرى مع رجل من الانصار . وذكرنا في غزوة احد ان الراية هي العلم الاكبر واللواء دونها وان ما يتوهم من كلام بعض أهل اللغة من اتحاد الراية واللواء ليس بصواب كما ان ما يحكى عن ابن اسحق وابن سعد من ان الرايات حدثت يوم خيبر مردود بهذه الرايات فتحصل مما مر ان الراية وهي العلم الاكبر كانت مع علي عليه السلام يوم بدر وان مصعب بن عمير وهو مهاجري كان معه لواء المهاجرين هذه حال المهاجرين . اما الانصار فالظاهر ان لواء الخزرج كان مع الحباب ابن المنذر ولواء الاوس مع سعد بن معاذ . وفي السيرة الحلبية عن الهدى التصريح بذلك ولا ينافي ذلك ما ذكر في وقعة بدر من ان سعد بن معاذ كان واقفا بالسلاح على باب العريش لجواز ان يكون حمل اللواء في الطريق فقط وحينئذ فتكون الالوية ثلاثة والراية واحدة وهو الموافق للاعتبار فان الراية العظمى يجب أن تكون بيد علي عليه السلام لانها لا تعطى الا لمتميز في الشجاعة وعلي وان كان من المهاجرين الا ان كونه صاحب الراية يجعله الرئيس على الجميع فاستحسن أن يكون للمهاجرين لواء أيضا فأعطي لمصعب بن عمير وهو الذي اعطي اللواء يوم احد لانه من بني عبد الدار لان لواء المشركين كان مع بني عبد الدار فقتل مصعب واعطي علي اللواء مع الراية وجعل للانصار لواءان احدهما للخزرج مع الحباب والآخر للاوس مع سعد واستقبل رسول الله (ص) المغرب وجعل الشمس خلفه واقبل المشركون فاستقبلوا الشمس ونزل بالعدوة الدنيا من الوادي ونزلوا بالعدوة القصوى ونظرت قريش الى قلة المسلمين فقال ابو جهل ما هم الا اكلة راس لو بعثنا اليهم عبيدنا لاخذوهم اخذا باليد فقال عتبة ابن ربيعة اترى لهم كمينا او مددا فبعثوا عمير ابن وهب الجمحي وكان فارسا شجاعا فجال بفرسه حول عسكر رسول الله (ص) ثم رجع فقال القوم ثلثمائة ان زادوا قليلا معهم سبعون بعيرا وفرسان ليس لهم كمين ولا مدد ولكن الولايا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت النافع قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم الا ترونهم خرسا لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الافاعي ما ارى انهم يولون حتى يقتلوا ولا يقتلون حتى يقتلوا بعددهم فقال له ابو جهل كذبت وجبنت فأنزل الله تعالى « وأن جنحوا للسلم فاجنح لها » فبعث اليهم رسول الله (ص) ان ارجعوا فلأن يلي هذا الامر مني غيركم احب الي فقال عتبة مارد هذا قوم قط فأفلحوا ثم ركب جملا له احمر فنظر اليه رسول الله (ص) وهو يجول

بين المسكرين وينهى عن القتال فقال عند احد خير فمند صاحب الجمل الاحمر وان يطيعوه يرشدوا وخطب عتبة فقال في خطبته يا معشر قريش اطيموني اليوم واعصوني الدهر ان محمدا له آل وذمة وهو ابن عمكم فخلوه والعرب فان يك صادقا فانتم اعلا عينا به وان يك كاذبا كفتكم ذؤبان العرب امره ، وتحمل عتبة دم الحضرمي الذي قتله المسلمون بنخلة على ان يراجعوا فابى ابو جهل وقال لعتبة جننت فانتفخ سحرك فقال يا مصفر استه مثلي يجبن واصطفوا للقتال فقام رسول الله (ص) يستغيث الله تعالى ويدعو ويقول : اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض وهو قوله تعالى : اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بالف من الملائكة مردفين . واقسم الاسود بن عبد الاسد المخزومي ليردن حوضهم أو ليهدمنه أو ليموتن دونه فشد حتى دنا من الحوض واستقبله حمزة بن عبد المطلب فضربه فأطن قدمه فزحف حتى وقف في الحوض فهدمه برجله الصحيحة وشرب منه وقتله حمزة في الحوض وكان شعار النبي (ص) يا منصور امت .

وبرز عتبة بن ربيعة واخوه شيبة وابنه الوليد من الصف ودعوا الى المبارزة فبرز اليهم فتيان ثلاثة من الانصار وهم بنو عفراء معاذ ومعوذ وعوف بنو الحارث فقالوا ارجعوا فما لنا بكم من حاجة ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قومنا فقال النبي (ص) لعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ولحمزة بن عبد المطلب ولعلي بن ابي طالب قوموا فقاتلوا بحقكم الذي بعث به الله به نبيكم اذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله ويأبى الله الا ان يتم نوره فبرزوا فقال عتبة تكلموا نعرفكم فان كنتم اكفاءنا قاتلناكم وكان عليهم البيض فلم يعرفوهم فقال حمزة انا حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله فقال عتبة كفو كريم وانا اسد الحلفاء اي الاحلاف او الحلفاء اي الاجمة ومن هذان معك قال علي بن ابي طالب وعبيدة ابن الحارث بن المطلب قال كفوان كريمان فبارز علي الوليد وكانا اصغر القوم وعمر علي خمس وعشرون أو سبع وعشرون فاختلفا ضربتين اخطأت ضربة الوليد عليا عليه السلام وضربه علي على حبل عاتقه الايسر فأخرج السيف من ابطه قال علي اخذ الوليد يمينه بيساره فضرب بها هامتي فظننت ان السماء وقعت على الارض ثم ضربه ضربة اخرى فصرعه . وبارز حمزة عتبة فتضاربا بالسيفين حتى انثلما واعتنقا وقيل لم يمهله حمزة ان قتله . وبارز عبيدة شيبة وهما اسن القوم ولعبيدة سبعون سنة فاختلفا ضربتين فضربه عبيدة على رأسه ضربة فلقت هامته وضربه شيبة على ساقه فقطعها وسقطا جميعا وقيل ان حمزة بارز شيبة وعبيدة بارز عتبة وصاح المسلمون يا علي اما ترى

الكلب قد بهر عمك حمزة وكان حمزة اطول من عتبة فقال يا عم طأطىء راسك فادخل حمزة راسه في صدر عتبة فضرب علي عتبة فطرح نصفه وكر حمزة وعلي على شيبة فاجهزا عليه وحملا عبيدة فالقياه بين يدي رسول الله (ص) وان مسخ ساقه ليسيل فاستعبر وقال رسول الله الست شهيدا قال بلى قال لو كان ابو طالب حيا لعلم اني احق بما قال .

ونزلت فيهم هذه الآية (هذان خصمان اختصموا في ربهم) الآية وحمل عبيدة من مكانة فمات بالصفراء وذلت قريش بمقتل هؤلاء الثلاثة واستفتح ابو جهل فقال اللهم اقطعنا للرحم وآتانا بما لا يعلم فأحنه الغداة فنزلت (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) الآية . وبرز حنظلة بن ابي سفيان الى علي عليه السلام فلما دنا منه ضربه علي ضربة بالسيف فسالت عيناه ولزم الارض واقبل العاص بن سعيد بن العاص يبحث للقتال فلقيه علي عليه السلام فقتله ، وروي المفيد في الارشاد عن ابي الهذلي عن الزهري عن صالح بن كيسان ان ابنه سعيد بن العاص دخل على عمر في خلافته فجلس ناحية قال سعيد فنظر الى عمر وقال مالي اراك كأن في نفسك علي شيئا أتظن اني قتلت اباك والله لوددت اني كنت قتلته ولو قتلته لم اعتذر من قتل كافر ولكني مررت به يوم بدر فرأيته يبحث للقتال كما يبحث الثور بقرنه فهبته ورغت عنه فقال الى اين يا بن الخطاب وصمد له علي فتناوله فوالله ما رمت مكاني حتى قتله وكان علي حاضرا في المجلس فقال اللهم غفرا ذهب الشرك بما فيه ومحا الاسلام ما تقدم فمالك تهيج الناس علي فكف عمر فقال سعيد اما انه ما كان يسرني ان يكون قاتل ابي غير ابن عمه علي بن ابي طالب ، واسر امية بن ابي خلف اسره عبد الرحمن بن عوف فبصر به بلال وهو يعجن عجينا له فترك العجين وقال لا نجوت ان نجوت وكان يعذبه بمكة يخرجه الى الرمضاء اذا حميت فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع بحرارتها على صدره ويقول لا تزال هكذا او تفارق دين محمد فيقول بلال احد احد فأحاطوا به فقتلوه . قال الواقدي (ولما) رات بنو مخزوم مقتل من قتل قالت ابو الحكم لا يخلص اليه (يعنون ابا جهل) فان ابني ربيعه (يعنون عتبة وشيبة) عجلا وبطرا فأحدقوا به والبسوا لامته عبدالله بن المنذر فصمد له علي فقتله وهو يراه ابا جهل ومضى وهو يقول انا ابن عبد المطلب ثم البسوها ابا قيس بن الفاكه بن المغيرة فصمد له حمزه وهو يراه ابا جهل فضربه فقتله وهو يقول خذها وانا ابن عبد المطلب ثم البسوها حرملة ابن عمرو فصمد له علي فقتله ثم ارادوا ان يلبسوها خالد بن الاعلى فابى قال معاذ بن عمرو ابن الجموح فصمدت لابي جهل وضربته ضربة طرحت رجله

من الساق فشبهتها النواة تنزو من تحت المراضخ فضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي من العاتق وبقيت جلدة فذهبت اسحبها بتلك الجلدة فلما اذتني وضعت عليها رجلي ثم تمطيت عليها فقطعتها وامر رسول الله (ص) ان يلتمس ابو جهل قال ابن مسعود فوجدته في آخر رمق فوضعت رجلي على عنقه فقلت الحمد لله الذي اخزاك فقال انما اخزى الله العبد بن ام عبد لقد ارتقيت يارويعي الغنم مرتقى صعبا لمن الدبرة قلت لله ولرسوله قال فاقلع بيضته عن قفاه وقلت اني قاتلك قال لست بأول عبد قتل سيده اما ان اشد ما لقيته اليوم لقتلك اياي وان لا يكون ولي قتلي رجل من الاحلاف او من المطيبين فضربه عبدالله ضربة وقع راسه بين يديه ثم سلبه واقبل بسلاحه فوضعه بين يدي رسول الله (ص) فقال أبشر يا نبي الله بقتل عدو الله ابي جهل فقال لهو احب الي من حمر النعم . وقال رسول الله (ص) اللهم اكفني نوفل بن العدويه وهو نوفل بن خويلد من بني اسد بن عبد العزي فأسره جبار بن صخر وراى عليا مقبلا نحوه فقال لجبار من هذا واللات والعزى اني لارى رجلا يريدني قال هذا علي بن ابي طالب فصمد له علي فضربه فنشب سيفه في حجفته فنزعه وضرب به ساقيه فقطعهما ثم اجهز عليه فقتله فقال رسول الله (ص) من له علم بنوفل بن خويلد قال علي انا قتلته فكبر رسول الله (ص) وقال الحمد لله الذي اجاب دعوتي فيه (وروى) محمد بن اسحق ان طعيمة بن عدي قتله علي بن ابي طالب عليه السلام شجره بالرمح وقال والله لا تخاصمنا في الله بعد اليوم (واخذ) رسول الله (ص) كفا من البطحاء فرماهم بها وقال شاهت الوجوه اللهم ارعب قلوبهم وزلزل اقدامهم فانهزم المشركون لا يلوون على شيء والمسلمون يتبعونهم يقتلون ويأسرون وجعلت قريش تطرح الدروع والمسلمون يتبعونهم ويلقطون ما طرحوا .

غزوة بني سليم

في السيرة الحلبية انه (ص) لما قدم المدينة من بدر لم يقم الا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم فلما بلغ ماء من مياههم يقال له الكدر لان به طيرا في الوانها كدرة فاقام (ص) على ذلك ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق حربا وكان لواؤه ابيض حمله علي بن ابي طالب . ومن ان غزاة بدر كانت في السابع عشر من رمضان على راس تسعة عشر شهرا من الهجرة فتكون هذه في الرابع والعشرين منه ولم يذكرها ابن سعد في الطبقات بل ذكر غزوتين اخريين لبني سليم احداهما غزوة قرقرة الكدر للنصف من المحرم على راس ثلاثة وعشرين شهرا من الهجرة والاخرى غزوة بني سليم ببحران

في جمادي الاولى على راس سبعة وعشرين شهرا من الهجرة وبمقتضى اختلاف هذه التواريخ يكون له ثلاث غزوات لبني سليم كما في السيرة الحلبية وغزوتان كما في الطبقات واحتمل بعضهم ان يكون الثلاثة غزوة واحدة ولا وجه له .

غزوة بني قينقاع

بضم النون وفتحها وكسرها والضم اشهر وكانت يوم السبت للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة وكان بالمدينة ثلاثة ابطن من اليهود بنو النضير وقريظة وقينقاع وكان بينهم وبين رسول الله (ص) عهد ومدة وكان بنو قينقاع حلفاء لعبد الله بن ابي بن سلول وكانوا اشجع اليهود وكانوا صاغة فوادعوا النبي(ص) فلما كانت وقعت بدر اظهروا البغي والحسد كذا في طبقات بن سعد وفي السيرة الحلبية ان امراة من العرب كانت زوجة لبعض الانصار فقدمت بجلب وهو ما يجلب ليباع من ابل وغنم وغيرهما فباعته بسوق بني قينقاع فجلست الى صائغ منهم فجعل جماعة منهم او دونها عن كشف وجهها فابت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فخاطه بشوكة الى ظهرها وهي لا تشعر فلما قامت انكشف سؤتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وشدت اليهود على المسلم فقتلوه قل بن سعد فانزل الله تعالى على نبيه (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين) فسار اليهم ولواؤه مع حمزة بن عبد المطلب وهو لواء ابيض قال ولم تكن الرايات يومئذ فحاصرهم خمس عشرة ليلة الى هلال ذي القعدة اشد الحصار وكانوا اول من غدر من اليهود وقذف الله في قلوبهم الرعب وكانوا اربعمائة حاسر وثلثمائة دارع فنزلوا على حكم رسول الله (ص) ان يخلي سبيلهم وان يجلوا من المدينة ولهم النساء والذرية ولرسول الله (ص) الاموال ومنها السلاح ولحقوا باذرعات .

غزوة احد

نتقلها من المنقول عن كتاب الواقدي ومن طبقات بن سعد وتاريخ الطبري وسيرة بن هشام والسيرة الحلبية وارشاد المفيد والمستدرك للحاكم وغيرها من كتب السير والآثار والحديث المشهورة المعتمدة .

وكانت في شوال لسبع خلون منه وقيل للنصف منه يوم السبت سنة ثلاث من الهجرة على راس اثنين وثلاثين شهرا من مهاجره (ص). واحد جبل من جبال المدينة على نحو ميلين او ثلاثة منها وورد فيه عنه (ص) ان احدا

هذا جبل يحبنا ونحبه .

وكان السبب فيها انه لما اصاب قريشا يوم بدر ما أصابها ورجع من حضرها منهم الى مكة وجدوا العير التي قدم بها ابو سفيان والتي كانت وقعة بدر بسببها موقوفة في دار الندوة لم تعط لاربابها فمشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية وغيرهم من اشراف قريش ممن أصيب آباؤهم وابناؤهم واخوانهم يوم بدر الى ابي سفيان والى من كان له من قريش تجارة في تلك العير فقالوا : يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارنا بمن أصاب منا ونحن طيبوا النفوس ان تجهزوا بربح هذا العير جيشا الى محمد فقال ابو سفيان انا اول من اجاب الى ذلك وبنو عبد مناف معي وكانت لعير الف بعير فباعوا اموالها فصارت ذهبا خمسين الف دينار فجعلوا لذلك ربح المال فقط وسلموا لاهلها رؤوس اموالهم وكانوا يربحون في تجارتهم الدينار دينارا فكان ربحها خمسة وعشرين الف دينار وكان متجرهم من الشام غزة لا يعدونها وفيهم نزلت (ان الذين ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون) وارسلت قريش رسلها يسيرون في العرب يدعونهم الى نصرهم فأوعبوا . قال الواقدي : كانوا اربعة عمرو بن العاص وهبيرة بن وهب وابن الزبعري وابا غرة الجمحي وقال غيره كان فيهم من الشعراء ابو غرة عمرو بن عبدالله الجمحي ومسافع بن عبدالله الجمحي وكان ابو غرة اسر يوم بدر فمن عليه رسول الله (ص) فقال له صفوان بن امية انك شاعر فأعنا بلسانك ولك علي ان رجعت ان اغنيك وان اصبت ان اجعل بناتك مع بناتي فقال ان محمدا قد من علي واخذ علي عهدا ان لا اظاهر عليه احدا قال بلى فأعنا بلسانك فلم يزالوا به حتى قبل فخرج ابو غرة يسير في تهامة ويدعو بني كنانة ويحضهم بشعره وخرج مسافع الى بني مالك بن كنانة يحرضهم بشعره ويذكرهم الحلف مع قريش ثم ظفر رسول الله (ص) بأبي غرة بحمراء الاسد. وقال بن سعد اسر يوم احد ولم يأخذ اسير غيره فأمر بضرب عنقه فقال من علي يا محمد فقال (ص) ان المؤمن لا يلدغ من حجر مرتين لا ترجع الى مكة تمسح عارضيك تقول سخرت بمحمد مرتين فقتل وتألب من كانوا مع قريش من العرب وحضروا .

واختلفت قريش بينها في اخراج الظعن (اي النساء) معها ليذكرنهم قتلى بدر ويثرن حفائظهم ويحرضنهم على القتال وعدم الهزيمة فأشار به صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وعمرو بن العاص ولم يرض به نوفل

بن معاوية الدئلي فجاء الى ابي سفيان فقال له ذلك فصاحت هند بنت عتبة انك والله سلمت يوم بدر فرجعت الى نسائك نعم نخرج فنشهد القتال فقال ابو سفيان لست أخالف قريشا فخرجوا بالظعن وهن خمسة عشرة امراة من قريش مع أزواجهن منهن هند بنت عتبة زوجة ابي سفيان وام حكيم بنت الحارث بن هشام زوجة عكرمة بن ابي جهل وسلافة بنت سعد زوجة طلحة بن ابي طلحة فقتل زوجها واربعة اولاد لها وريطة بنت منبه بن الحجاج زوجة عمر بن العاص وخناس بنت مالك مع ابنها ابي عزيز بن عمير وكان ابنها مصعب بن عمير مع المسلمين فقتل وعمرة بنت الحارث الكنانة زوجة غراب ابن سفيان وهي التي رفعت لواء قريش حين سقط حتى تراجعت قريش الى لوائها وفيها يقول حسان :

ولولا لواء الحارثية اصبحوا يباعون في الاسواق بالثمن البخس

وخرج جماعة غير هؤلاء بنسائهم وتجهزت قريش بأحابيشها ومن والاها من قبائل كنانة وأهل تهامة .

فلما اجمعوا على المسير كتب العباس بن عبد المطلب الى النبي (ص) كتابا يخبره بذلك ويذكر له عددهم واستعدادهم وأرسله مع رجل استأجره من بني غفار وشرط عليه ان يأتي المدينة في ثلاثة ايام ففعل ووجد النبي(ص) بقبا على باب المسجد فدفع اليه الكتاب فقرأه عليه ابي بن كعب فاستكتم ابيا ودخل منزل سعد بن الربيع فقال افي البيت احد قال لا فأخبره واستكتمه فقال والله اني لارجو ان يكون في ذلك خير فلما خرج قالت له امرأته ما قال لك رسول الله (ص) قال مالك ولذلك لا ام لك قالت كنت استمع عليكم واخبرته الخبر فاسترجع واخذ بيدها ولحقه (ص) فأخبره خبرها وقال خفت ان يفشو الخبر فترى اني انا المفشي له فقال خل عنها وارجفت يهود المدينة والمنافقون وقالوا ما جاء محمدا شيء يحبه وشاع الخبر في الناس بمسير قريش .

وكان رجل من الاوس من رؤسائهم يكني ابا عامر وكان يسمى في الجاهلية الراهب لزهده واسمه عبد عمرو وقيل عمرو بن صيفي خرج من المدينة حين دخلها النبي (ص) في خمسين وقيل في سبعين رجلا من قومه الى مكة يحرضهم ويعلمهم انهم على حق وما جاء به محمد باطل فسماه رسول الله (ص) ابا عامر الفاسق فلما سارت قريش الى بدر لم يسر معها فلما سارت الى احد سار معها بالخمسين او السبعين الذين معه وكان يمني قريشا نصرة قومه فلم يفعلوا وهو والد حنظلة غسيل الملائكة المقتول مع المسلمين بأحد (يخرج الحي من الميت) .

ودعا جبير بن مطعم بن عدي غلاما له حبشيا يقال له وحشي بن حرب يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطيء فقال اخرج مع الناس فان انت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة فانت عتيق وكان عمه قتل يوم بدر قتله حمزة . وكانت هند بنت عتبة كلما مرت بوحشي او مر بهـا قالت ويها ابا دسمة (وهي كنيته) اشف واشتف وخرجت قريش بحدها وجدها وقائدها ابو سفيان بن حرب وكانوا مع من انضم اليهم ثلاثة الاف رجل ومعهم مائتا فرس قد جنبوها وثلاثة الاف بعير وفيهم سبعمائة دارع والظعن خمس عشرة امراة وخرجوا بعدة وسلاح كثير .

فساروا حتى اتوا الابواء الموضع الذي فيه قبـر آمنة ام النبـي (ص) فارادوا نبش قبرها اشارت بذلك هند بنت عتبة فمنع منه ذوو الراي منهم وقالوا لو فعلنا نبشت بنو بكر وخزاعة موتانا عند مجيئهم وكانوا حلفاء رسول اللـه (ص) .

وساروا حتى نزلوا مقابل المدينة بذي الحليفة وهو ميقات اهل المدينة الذي يحرمون منه وذلك في يوم الخميس لخمس مضين من شوال صبيحة عشر من مخرجهم من مكة فرعوا زروع اهل المدينة يوم الخميس فلما امسوا جمعوا الابل وقصلوا عليها وقصلوا على خيولهم ليلة الجمعة فلما اصبحـوا يوم الجمعة خلوا ظهرهم وخيلهم في الزرع حتى تركوا العـرض ليس بـه خضراء وبعث رسول الله (ص) ليلة الخميس عينين له انسا ومؤنسا ابني فضالة الظفريين فاعترضا لقريش بالعقيق فسارا معهم حتى نزلوا فأتـوه بخبرهم وانهم خلوا ابلهم وخيلهم في الزرع الذي بالعريض حتى تركوه ليس به خضراء فلما نزلوا بعث الحباب بن المنذر بن الجموح اليهم سرا وقال لـه اذا رجعت فلا تخبرني بين الناس الا ان ترى فيهم قلة فذهب حتى دخـل بينهم وحزرهم ونظر الى جميع ما يريد ورجع فأخبره خاليا وقال حزرتهم ثلاثة الاف يزيدون قليلا او ينقصون قليلا والخيل مائتي فرس ورأيت دروعا ظاهرة (اي فرق الثياب) حزرتها سبعمائة فقال لا تذكر من شانهم حرفـا حسبنا الله ونعم الوكيل اللهم بك احول وبك اصول وباتت وجـوه الاوس والخزرج سعد ابن معاذ واسيد بن حضير وسعد بن عبادة ليلـة الجمعـة وعليهم السلاح في المسجد بباب رسول الله (ص) حتى اصبحوا خوفا مـن تبييت المشركين وحرست المدينة تلك الليلة فلما كان الصباح صعد النبي(ص) المنبر وقال رأيت البارحة في منامي اني دخلت يدي في درع حصينة ورأيت بقرا تذبح ورأيت في ذباب سيفي ثلما واني اردفت كبشا واولتها اما الدرع الحصينة فالمدينة واما البقر فناس من اصحابي يقتلون واما الثلم فرجل من

اهل بيتي يقتل واما الكبش فكبش الكتيبة يقتله الله فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان اقاموا اقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها فانا اعلم بها منهم وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فهي كالحصن فكان راي رسول الله (ص) ان لا يخرج من المدينة لهذه الرؤيا فاحب ان يوافق على رأيه فاستشار اصحابه في الخروج فأشار عليه عبدالله بن ابي سلول ان لا يخرج فقال يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج فوالله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط الا اصاب منا ولا دخلها الا اصبنا منه فدعهم يا رسول الله فان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم الصبيان بالحجارة من ورائهم وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا . وكان ذلك رأي اكابر المهاجرين والانصار .

وقال رجال غالبهم فتيان احداث لم يشهدوا بدرا وفيهم بعض الشيوخ اخرج بنا الى اعدائنا لا يرون انا جبنا عنهم والله لا تطمع العرب في ان تدخل علينا منازلنا . وقال اويس بن اوس من بني عبد الاشهل : اني يا رسول الله لا احب ان ترجع قريش الى قومها فتقول حصرنا محمدا في صياصي يثرب وآطامها فتكون هذه جراة لقريش وقد وطئوا سعفنا فاذا لم نذب عن عرضنا فلم ندرع وقد كنا يا رسول الله في جاهليتنا والعرب يأتوننا فلا يطمعون بهذا منا حتى نخرج اليهم بأسيافنا فنذبهم عنا فنحن اليوم احق اذا مدنا الله بك وعرفنا مصيرنا لا نحصر انفسنا في بيوتنا .

وقام خيثمة ابو سعد بن خيثمة وكان شيخا كبيرا قتل ابنه سعد ببدر فقال يا رسول الله ان قريشا مكثت حولا تجمع الجموع وتستجلب العرب في بواديها ثم جاؤنا قد قادوا الخيل وامتطوا الابل حتى نزلوا بساحتنا فيحصروننا في بيوتنا وصياصينا ثم يرجعون وافرين لم يكلموا فيجرؤهم ذلك علينا مع ما قد صنعوا بحروثنا وتجترىء علينا العرب حولنا حتى يطمعوا فينا اذا رأونا لم نخرج اليهم فنذبهم عن حريمنا وعسى الله ان يظفرنا بهم فتلك عادة الله عندنا أو تكون الاخرى فهي الشهادة لقد اخطأتني وقعة بدر وكنت عليها حريصا لقد بلغ من حرصي اني ساهمت ابني في الخروج فخرج سهمه فرزق الشهادة الى آخر كلامه . كل ذلك ورسول الله (ص) كاره للخروج فلم يزالوا به حتى وافق عليه (اقول) وذلك لانه رأى المصلحة في الموافقة لكونه رأي الاكثر وان كانت المصلحة من جهة اخرى في الاقامة . فصلى الجمعة بالناس ثم وعظهم وامرهم بالجد والجهاد واخبرهم ان النصر لهم ما صبروا وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ففرح الناس بالشخوص ثم صلى بهم العصر وقد حشدوا وحضر اهل العوالي وقد مات رجل من الانصار

يقال له مالك بن عمرو من بني النجار فصلى عليه ثم دخل منزله وصف الناس له ينتظرون خروجه فقال لهم سعد ابن معاذ واسيد بن حضير استكرهتم رسول الله (ص) على الخروج فردوا الامر اليه وخرج رسول الله (ص) وقد تعمم ولبس لامته وظاهر بين درعين واظهر الدرع وحزم وسطها بمنطقة من آدم من حمائل سيفه وتقلد السيف وتنكب القوس والقى الترس في ظهره وقد ندم الناس فقالوا يا رسول الله استكره هناك ولم يكن ذلك لنا فان شئت فاقعد فقال ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل . واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم على الصلاة ودعا بثلاثة رماح وعقد ثلاثة الوية لواء المهاجرين بيد علي بن ابي طالب ولواء الاوس بيد اسيد بن حضير ولواء الخزرج بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة .

وركب (ص) فرسه واخذ بيده قناة زجها من شبه وخرج في الف من اصحابه فيهم مائة دارع ومعهم فرسان فرس لرسول الله (ص) وفرس لابي بردة بن نيار والظاهر انهم خرجوا مشاة هكذا ذكر الطبري وغيره انه كان معهم فرسان ولكنه ذكر بعد ذلك كما يأتي انه امر الزبير على الخيل ومعه المقداد وبعثه وقال استقبل خالدا فكن بازائه وامر بخيل اخرى فكانوا من جانب آخر وهو صريح في انه كان معهم عدة خيول . وخرج السعدان امامه يعدوان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة والناس عن يمينه وشماله فلما انتهى الى رأس الثنية التفت فنظر الى كتيبة خشناء لها زجل خلفه فقال ما هذه قيل حلفاء بن ابي من اليهود فقال لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك فرجعت . ومضى حتى اتى الشيخين وهما اطمان كانا في الجاهلية فيهما شيخ اعمى وعجوز عمياء يهوديان يتحدثان فسمي الاطمان الشيخين فعرض عسكره بالشيخين فرد غلمانا استصغرهم منهم عبدالله بن عمر وزيد بن ثابت واسامة بن زيد والنعمان بن بشير وزيد بن ارقم والبراء بن عازب وعرابة بن اوس .

وابو سعيد الخدري وسمرة بن جندب ورافع بن خديج فقيل له ان رافعا رام قال رافع فجعلت اتطاول وعلي خفان لي فأجازني رسول الله (ص) فقال سمرة بن جندب لزوج امه مري بن سنان يا ابه اجاز رسول الله (ص) رافعا وردني وانا اصرعه فقال يا رسول الله رددت ابني واجزت رافعا وابني يصرعه فقال تصارعا فصرعه سمرة فأجازه . وفرغ رسول الله (ص) من عرض الجيش وغابت الشمس فأذن بلال بالمغرب ثم العشاء فصلى بهم النبي (ص) وباب هناك ورسول الله (ص) نازل في بني النجار واستعمل على الحرس محمد بن مسلمة في خمسين رجلا يطيفون بالعسكر وقام ذكوان بن

عبد القيس يحرس رسول الله (ص) تلك الليلة فلما كان السحر ادلج رسول الله فحانت صلاة الصبح بالشوط حائط اي بستان بين المدينة واحد فأذن بلال وصلى باصحابه صفوفا ومن ذلك المكان انخزل عبدالله بن ابي بن سلول ومن معه من اهل النفاق وهم ثلثمائة وهو يقول عصاني واطاع الولدان ومن لا رأي له سيعلم . ما ندري علام نقتل انفسنا ارجعوا ايها الناس فرجعوا فبقي رسول الله (ص) في سبعمائة وتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر بن عبدالله وكان في الخزرج كعبدالله بن ابي من رؤسائهم يقول : يا قوم اذكركم الله ان تخذلوا قومكم ونبيكم وقد شرطتم له ان تمنعوه مما تمنعون منه انفسكم واولادكم ونساءكم فقال بن ابي مخادعة واستهزاء ما ارى انه يكون بينهم قتال وان اطعتني يا ابا جابر لترجعن فلما ابوا ودخلوا ازقة المدينة قال لهم ابعدكم الله ان الله سيغني النبي والمؤمنين عن نصركم ورجع يركض فلما اصيب اصحاب رسول الله (ص) سرا بن ابي واظهر الشماتة ولما رجع بن ابي بمن معه اختلفت طائفتان من الانصار بينهم وهما بنو حارثة من الاوس وبنو سلمة من الخزرج قالت احدهما نقتلهم وخالفتها الاخرى فنزلت (فمالكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا) وقيل لما رأى بنو سلمة وبنو حارثة بن ابي قد خذل هموا بالانصراف وكانوا جناحين من العسكر ثم عصمهما الله فنزلت(اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا) الآية . وسار رسول الله (ص) من الشوط فقال من يدلنا على الطريق ويخرجنا على القوم من كثب فقال ابو حثمه الحارثي انا يا رسول الله فسلك بهم في بني حارثة ثم اخذ في الاموال حتى مر بحائط مربع بن قيظي وكان اعمى البصر منافقا فقام يحثو التراب في وجوه المسلمين ويقول ان كنت رسول الله فلا تدخل حائطي فلا احله لك واخذ حفنة من تراب وقال والله لو اعلم اني لا اصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك فضربه سعد بن زيد الاشهلي بقوس في يده فشجه في رأسه وارادوا قتله فقال (ص) دعوه فانه اعمى البصر اعمى القلب فغضب له بعض بني حارثة فأجابه اسيد بن حضير فنهاهم النبي (ص) عن الكلام فاسكتوا ومضى رسول الله (ص) فبينما هو في مسيره اذ ذب فرس ابي بردة بن نيار بذنبه فأصات كلاب سيفه فسله فقال (ص) يا صاحب السيف شم سيفك فاني اخال السيوف ستسل اليوم فيكثر سلها وكان (ص) يحب الفال ويكره الطيرة . ولبس (ص) من الشيخين درعا واحدا حتى انتهى الى احد فلبس درعا اخرى ومغفرا وبيضة فوق المغفر فلما نهض من الشيخين زحف المشركون على تعبية وجعل رسول الله (ص) احدا خلف ظهره واستقبل المدينة واقبل المشركون فاستدبروا المدينة

في الوادي واستقبلوا احدا وصفوا صفوفهم واستعملوا على الميمنة خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن ابي جهل ولهم مجنبتان مائتا فرس مائة في الميمنة ومائة في الميسرة وجعلوا على الخيل صفوان بن امية ويقال عمرو بن العاص وعلى الرماة عبدالله بن ابي ربيعة وكانوا مائة رام ودفعوا اللواء الى طلحة بن ابي طلحة واسم ابي طلحة عثمان من بني عبد الدار لان لواء قريش كان لهم في الجاهلية لا يحمله غيرهم وصاح ابو سفيان يا بني عبد الدار نحن نعرف انكم احق باللواء منا وانما اتينا يوم بدر من اللواء وانما يؤتى القوم من قبل لوائهم فالزموا لواءكم وحافظوا عليه او خلوا بيننا وبينه يحرضهم بذلك على القتال فغضبت بنو عبد الدار وقالوا نحن نسلم لواءنا لا كان هذا ابدا فقال ابو سفيان فنجعل لواء آخر قالوا ولا يحمله الا رجل من بني عبد الدار لا كان غير ذلك ابدا .

وعبى رسول الله (ص) اصحابه وجعل ميمنة وميسرة وجعل يمشي على رجليه يسوي الصفوف ويبوىء اصحابه مقاعد للقتال يقول تقدم يا فلان وتأخر يا فلان حتى انه ليرى منكب الرجل خارجا فيؤخره فهو يقومهم كما تقوم القداح فلما استوت الصفوف سأل من يحمل لواء المشركين قيل بنو عبد الدار قال نحن احق بالوفاء منهم وكان اللواء مع علي عليه السلام فاعطاه مصعب بن عمير لانه من بني عبد الدار فلما قتل مصعب رده الى علي عليه السلام قال المفيد : كانت راية رسول الله (ص) في هذه الغزاة بيد امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام كما كانت بيده يوم بدر ثم صار اللواء اليه فكان صاحب الراية واللواء جميعا والراية هي العلم الاكبر واللواء دونها في المصباح المنير لواء الجيش علمه وهو دون الراية . ويأتي في سيرة امير المؤمنين عليه السلام زيادة على هذا في امر الراية واللواء ووقف النبي (ص) تحت راية الانصار وفيه من السياسة وحسن التدبير ومعرفة الحق لاهله ما لا يخفى . قال الطبري وامر الزبير على الخيل ومعه يومئذ المقداد بن الاسود الكندي وخرج حمزة بالجيش بين يديه واقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ومعه عكرمة بن ابي جهل فبعث رسول الله الزبير (ص) وقال استقبل خالد بن الوليد فكن بازائه حتى اوذنك وامر بخيل اخرى فكانوا من جانب آخر وقال لا تبرحن حتى اوذنكم . وهذا ينافي ما مر من انه لم يكن معه (ص) غير فرسين .

وارسل ابو سفيان الى الانصار يقول خلوا بيننا وبين ابن عمنا فننصرف عنكم فلا حاجة لنا الى قتالكم فردوا عليه ما يكره .

وجعل رسول الله (ص) الرماة خلف العسكر على جبل هناك عند فم

الشعب وكانوا خمسين رجلا وامر عليهم عبدالله بن جبير وقال انضح الخيل عنا بالنبل لا يؤتوننا من خلفنا فان الخيل لا تقدم على النبل واثبت مكانك ان كانت لنا او علينا فانا لا نزال غالبين ما مكنتم مكانكم (وفي رواية) ان رايتمونا قد غنمنا فلا تشركونا وان رايتمونا نقتل فلا تنصرونا (وفي اخرى) ان رايتمونا قد هزمناهم حتى ادخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان وان رايتموهم قد هزمونا حتى ادخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا مركزكم اهو منه يعلم كيف بالغ النبي (ص) في ايصائهم بعدم اخلاء مراكزهم غاية المبالغة وما في ذلك من التدبير الحربي العظيم وكيف كانت المصيبة العظمي يوم احد بسبب مخالفتهم النبي (ص) ولولا ذلك لتمت لهم النصرة على المشركين .

ثم انه (ص) قام فخطب الناس خطبة اقتصرنا منها على ماله علاقة بالحرب فقط فقال : ايها الناس اوصيكم بما اوصاني به الله في كتابه من العمل بطاعته والتناهي عن محارمه انكم اليوم بمنزل اجر وذخر لمن ذكر الذي عليه ثم وطن نفسه على الصبر واليقين والجد والنشاط فان جهاد العدو شديد شديد كريه قليل من يصبر عليه الا من عزم له على رشده ان الله مع من اطاعه وان الشيطان مع من عصاه فاستفتحوا اعمالكم بالصبر على الجهاد والتمسوا بذلك ما وعدكم الله وعليكم بالذي آمركم به فاني حريص على رشدكم ان الاختلاف والتنازع والتثبيط من امر العجز والضعف وهو مما لا يحبه الله ولا يعطي عليه النصر والظفر والمؤمن من المؤمن كالراس من الجسد اذا اشتكى تداعى عليه سائر الجسد والسلام عليكم .

واخرج (ص) سيفا مكتوبا في احدى صفحتيه .

في الجبن عار وفي الاقبال مكرمة   والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

وقال من يأخذ هذا السيف بحقه فقام جماعة فلم يعطه لهم فقام ابو دجانة الانصاري فقال وما حقه يا رسول الله قال تضرب به في وجه العدو حتى ينحني قال انا آخذه بحقه فدفعه اليه وكان يختال عند الحرب فقال (ص) انها لمشية يبغضها الله الا في هذا الموطن .

وجعلت هند ومن معها من نساء المشركين قبل ان يلتقي الجمعان يقفن امام صفوف المشركين يضربن بالطبول والدفوف ثم يرجعن الى مؤخر الصف حتى اذا دنوا من المسلمين تأخر النساء فقمن من خلف الصفوف وكلما ولى رجل حرضه وذكرته قتلى بدر وهند تقول وهي ومن معها يضربن بالطبول والدفوف خلف الصفوف :

نحن بنات طارق   يمشي على النمارق

وفي لسان العرب عن ابن بري ان الشعر لهند بنت بياضة ابن رباح بن

طارق الايادي قالته يوم احد تحض على الحرب وهو قولها نحن بنات طارق.

واول من انشب الحرب بينهم ابو عامر الراهب طلع في خمسين من قومه معه عبيد قريش فنادى بالاوس قال انا ابو عامر قالوا لا مرحبا بك ولا اهلا يا فاسق قال لقد اصاب قومي بعدي شر فتراموا بالحجارة والسهام هم والمسلمون ثم ولى ابو عامر واصحابه . ثم دنا القوم بعضهم من بعض والرماة يرشقون خيل المشركين بالنبل فترجع .

وبرز طلحة بن ابي طلحة صاحب لواء المشركين فصاح من يبارز فبرز اليه علي بن ابي طالب عليه السلام فبدره علي بضربة على راسه فمضى السيف حتى فلق هامته الى ان انتهى الى لحيته فوقع وفي رواية تأتي ان عليا ضربه على فخذيه فقطعهما فسقط وانصرف علي عليه السلام فقيل له هلا دففت عليه فقال انه لما صرع استقبلني بعورته فعطفتني عليه الرحم وقد علمت ان الله سيقتله هو كبش الكتيبة (يشير الى رؤيا النبي (ص) المتقدمة) فلما قتل طلحة سر رسول الله (ص) وكبر تكبيرا عاليا وكبر المسلمون ثم شد اصحاب رسول الله (ص) على كتائب المشركين حتى انتقضت صفوفهم وفي كيفية قتله روايات اخر تأتي في سيرة علي عليه السلام «انش» وفي ترتيب اسماء من اخذ اللواء بعد طلحة وعددهم ومن قتلهم بفض الاختلاف بين المؤرخين لكنهم اتفقوا على ان طلحة قتله علي بن ابي طالب . وقد اغرب الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد في هذا المقام فذكر ان طلحة قتله حمزة مع اتفاق من راينا كلامهم من المؤرخين على انه قتله علي عليه السلام ثم انه لم يأت على ذكر علي في هذا المقام اصلا ونسب انهزام المشركين الى قتال حمزة وابي دجانة مع انك ستعرف ان انهزامهم بقتل طلحة الذي قتله علي وقتل اصحاب اللواء كلهم على اصح الروايات ثم استمر على عدم ذكر علي بشيء . حتى ذكر امر الهزيمة فقال وكان اكبرهم كل مسلم ان ينجو بنفسه الا من عصم الله من امثال علي بن ابي طالب فساواه بغيره مع ان الحق الذي لا يرتاب فيه انه لم يكن له مماثل واحد فضلا عن امثال ثم لم يذكر لعلي أثرا غير ذلك سوى أنه اسرع الى النبي (ص) لما وقع في الحفرة التي حفرها ابو عامر فأخذ بيده ورفعه طلحة ثم ذكر أنه كان حول النبي (ص) جماعة وعد منهم علي بن ابي طالب غير مميز له بشيء ومسدلا الستر على مميزاته وخصائصه التي انفرد بها في تلك الوقعة مساويا له بمن لا يساويه ولا يدانيه .

قال الواقدي ، ثم حمل لواء المشركين بعد طلحة اخوه عثمان بن ابي طلحة وقال :

ان على رب اللـواء حقــا ان تخضب الصعدة او يندقـا

فتقدم باللواء والنسوة خلفه يحرضن ويضربن بالدفوف فحمل عليـه حمزة بن عبد المطلب فضربه بالسيف على كاهله فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤزره فبدا سحره (اي رئته) ورجع فقال انا بن ساقي الحجيج .

ثم حمل اللواء اخوهما ابو سعد او ابو سعيد بن ابي طلحة فرماه سعد بن ابي وقاص فاصاب حنجرته فأدلع لسانه فقتله . قال سعد : واخـذت سلبه ودرعه فنهض الى سبيع بن عبد عوف ونفر معه فمنعوني وكان اجود سلب رجل من المشركين درع فضفاضة (اي واسعة) ومغفر وسيف جيد ولكن حيل بيني وبينه . قال ابن ابي الحديد شتان بين علي وسعد هـذا يداحش على السلب ويتاسف على فواته وذلك يقتل عمرو بن عبد وديـوم الخندق وهو فارس قريش وصنديدها مبارزة فيعرض عن سلبه فيقال له كيف تركت سلبه وهو انفس سلب فقال كرهت ان ابز السري ثيابـه فكان حبيبا عناه بقوله :

ان الاسود اسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

ثم حمل لواء المشركين بعد ابي سعد مسافع بن طلحـة بن ابي طلحـة فرماه عاصم بن ثابت بن ابي الاقلح فقتله فنذرت أمه سلافـة وكانت مـع النساء أن تشرب في قحف رأس عاصم الخمر وجعلت لمن جاءها به مائة من الابل فلما قتله المشركون يوم الرجيع ارادوا ان يأخذوا راسه فيحملوه الـى سلافة فحمته الدبر يومه ذلك فتركوه الى الليل لظنهم ان الدبر لا تحميه ليلا فجاء سيل عظيم فذهب براسه وبدنه اتفق على ذلك المؤرخون .

ثم حمله أخوه الحارث بن طلحة بن ابي طلحة فرمـاه عاصم بـن ثابت فقتله ثم حمله اخوهما كلاب بن طلحة بن ابي طلحة فقتله الزبير بن العـوام وقال ابن الاثير قتله عاصم بن ثابت ثم حمله اخوهم الجلاس بن طلحة بن ابي طلحة فقتله طلحة ابن عبيدالله .

ثم حمله ارطاة بن شرحبيل فقتله علي بن ابي طالب . ثم حمله شريح بن قارظ او قارط بن شريح بن عثمان بن عبد الدار ويروي قاسط بالين والطاء المهملتين فقتل قال الواقدي لا يدري من قتله وقال البلاذري قتله علي بن ابي طالب .

ثم حمله غلام لهم اسمه صواب فقتله علي بن أبي طالب فسقط اللواء فلم يزل مطروحا حتى اخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لقريش فلاثـوا به . وفي ارشاد المفيد بسنده الآتي عن بن مسعود ان الذي اخذ اللواء بعـد طلحة اخ له يقال له مصعب فرماه عاصم بن ثابت بسهم فقتله ثم اخذه اخ له

يقال له عثمان فرماه عاصم ايضا بسهم فقتله فأخذه عبد لهم يقال له صواب وكان من أشد الناس فضربه علي عليه السلام على يده فقطعها فأخذ اللـواء بيده اليسرى فضربه علي(ع) على يده اليسرى فقطعها فأخذ اللواء على صدره وجمع يديه وهما مقطوعتان عليه فضربه علي عليه السلام عـلى أم رأسـه فسقط صريعا .

هذا ولكن الطبري روى ما يدل على ان الذي قتل أصحاب الالوية هـو علي ابن ابي طالب . قال حدثنا ا بو كريب حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا حبان بن علي عن محمد بن عبيدالله بن ابي رافع عن أبيه عن جده قال لما قتل علي بن ابي طالب اصحاب الالوية بصر رسول الله (ص) جماعة من المشركين فقال لعلي احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جمعهم وقتل عمرو بن عبدالله الجمحي ثم أبصر(ص) جماعةمن المشركين فقال لعلي احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جماعتهم وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤي فقال جبريل يا رسول اللـه ان هذه للمؤاساة فقال رسول الله (ص) انه مني وانا منه فقال جبريل وانـا منكما قال فسمعوا صوتا :

لا سيف الا ذو الفقا ر ولا فتى الا عـلي

وبعدما رأينا اختلاف المؤرخين فيمن عدا طلحة بن ابي طلحة من اصحاب اللواء في عددهم وفيمن قتلهم وترتيب قتلهم بحيث لا يكاد يتفق اثنان منهم كابن سعد والطبري والواقدي وابن الاثير وغيرهم كما عرفت وستعـرف لا نستبعد أن يكون التحامل على علي بن ابي طالب الذي هو فاش في الناس في كل عصر حمل البعض على نقل ما ينافي قتله جميع اصحاب اللواء ومـا علينا الا ان نأخذ بالرواية المتقدمة عن الباقر عليه السلام انه عليـه السلام قتل اصحاب اللواء التسعة لصحة سندها .

قال ابن الاثير وبرز عبد الرحمن بن ابي بكر وكان مع المشركين وطلب المبارزة فأراد ابو بكر ان يبرز اليه فقال له رسول اللـه (ص) شم سيفـك وامتعنا بك .

وقال ابو سفيان لخالد بن الوليد وهو في مائتي فارس : اذا رأيتمونـا قد اختلطنا بهم فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا من ورائهم وكان خالد بن الوليد كلما اتى من قبل يسرة النبي (ص) ليجوز حتى يأتيهم مـن قبل السفح رده الرماة حتى فعل وفعلوا ذلك مرارا قال الطبري واقتتـل الناس حتى حميت الحرب وقاتل ابو دجانة حتى امعن في الناس وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن ابي طالب في رجال من المسلمين فأنزل الله عز وجـل عليهم نصره وصدقهم وعدهم فحسوهم بالسيـوف حتى كشفوهم وكانت

الهزيمة لا شك فيهم . فلما قتل اصحاب اللواء انكشف المشركون منهزمين لا يلوون على شيء وانتقضت صفوفهم ونساؤهم يدعين بالويل بعد الفرح وضرب الدفوف . قال الزبير والله لقد رايتني انظر الى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون اخذهن قليل ولا كثير وقال البراء حتى رأيت النساء قد رفعن عن سوقهن وبدت خلاخيلهن قال الواقدي وقالوا ما ظفر الله تعالى نبيه في موطن قط ما ظفره واصحابه يوم احد حتى عصوا الرسول(ص) ولما انهزم المشركون تبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاءوا حتى اخرجوهم عن المعسكر ووقعوا ينتهبونه ويأخذون ما فيه من الغنائم فلما رآهم الرماة قال بعضهم لبعض لم تقيمون هاهنا في غير شيء قد هزم الله العدو وهؤلاء اخوانكم ينتهبون عسكرهم فادخلوا عسكر المشركين فاغنموا معهم فقال بعضهم الم تعلموا ان رسول الله (ص) قال لكم احموا ظهورنا وان غنمنا فلا تشركونا فقال الآخرون لم يرد رسول الله هذا وقد اذل الله المشركين وهزمهم فلما اختلفوا خطبهم اميرهم عبدالله بن جبير وامرهم بطاعة الرسول (ص) فعصوه وانطلقوا فلم يبق معه الا نفر ما يبلغون العشرة منهم الحارث بن انس يقول يا قوم اذكروا عهد نبيكم اليكم واطيعوا اميركم فأبوا وذهبوا الى عسكر المشركين ينهبون وخلوا الجبل وذلك قوله تعالى (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين) فنظر خالد بن الوليد الى خلاء الجبل وقلة اهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة فانطلقا الى موضع الرماة فحملوا عليهم فراماهم القوم حتى اصيبوا ورا ماهم عبدالله بن جبير حتى فنيت نبله ثم طاعن بالرمح حتى انكسر ثم كسر جفن سيفه فقاتل حتى قتل . ولما راى المشركون خيلهم تقاتل رجعوا من هزيمتهم وكروا على المسلمين من امامهم وهم غارون آمنون مشتغلون بالنهب وجعلوا المسلمين في مثل الحلقة وانتقضت صفوف المسلمين وجعل يضرب بعضهم بعضا من العجلة والدهش حتى قتل اليمان ابو حذيفة قتله المسلمون خطأ وابنه يصيح ابي ابي فلم يسمعوه وكان رسول الله (ص) خلفه بالمدينة هو وثابت بن وقس لانهما شيخان كبيران فقال احدهما للاخر افلا نأخذ اسيافنا ثم نلحق برسول الله (ص) فجاءا حتى دخلا من قبل المشركين اما ثابت فقتله المشركون واما اليمان فقتله المسلمون وهم لا يعرفونه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين وقتل المسلمون قتلا ذريعا حتى قتل منهم سبعون رجلا بعدد من قتل المشركين يوم بدر او اكثر وتفرقوا في كل وجه وتركوا

ما انتهبوا فأخذه المشركون وتركوا ما بايديهم من أسراء المشركين ونادى ابليس قد قتل محمد وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله (ص) ومعه لواؤه حتى قتل، قتله بن قميئة الليثي وهو يظنه رسول الله (ص) فرجع الى قريش وهو يقول قتلت محمدا فجعل الناس يقولون قتل محمد . فلما قتل مصعب ابن عمير اعطى رسول الله (ص) اللواء الى علي بن ابي طالب وتفرق اكثر اصحاب رسول الله (ص) عنه وقصده المشركون وجعلوا يحملون عليه يريدون قتله وثبت رسول الله (ص) ما يزول يرمي عن قوسه حتى تكسرت قال ابن الاثير وقاتل رسول الله (ص) يوم أحد قتالا شديدا فرمى بالنبل حتى فنى نبله وانكسرت سية قوسه وانقطع وتره . قال المفيد فيما رواه بسنده عن ابن مسعود وثبت معه امير المؤمنين علي بن ابي طالب وابو دجانه وسهل بن حنيف يدفعون عنه (ص) ففتح عينيه وكان قد اغمي عليه مما ناله فقال يا علي ما فعل الناس قال نقضوا العهد وولوا الدبر قال اكفني هؤلاء الذين قد قصدوا قصدي فحمل عليهم علي فكشفهم وعاد اليهم وقد حملوا عليه من ناحية اخرى فكر عليهم فكشفهم وابو دجانة وسهل ابن حنيف قائمان على رأسه بيد كل واحد منهما سيف ليذب عنه . واتى بن قميئة الحارثي احد بني الحارث بن عبد مناف فرمى رسول الله (ص) بحجر فكسر انفه ورباعيته السفلى وشق شفته وشجه في وجهه فأثقله وعلاه بالسيف فلم يطق ان يقطع وكلم رسول الله (ص) في وجنتيه حتى دخل فيهما من حلق المغفر وفي جبهته في رسول شعره وجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى الله عز وجل . قال الطبري وتفرق عن رسول الله (ص) أصحابه ودخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل الى الصخرة فقاموا عليها وفشا في الناس ان رسول الله (ص) قد قتل فقال بعض أصحاب الصخرة ليت لنا رسول الى عبدالله بن ابي فيأخذ لنا امنة من أبي سفيان يا قوم ان محمدا قد قتل فارجعوا الى قومكم قبل ان يأتوكم فيقتلوكم . وهذا يدل على ان القائل من الهاجرين . قال الطبري فقال الله عز وجل للذين قالوا هذا القول (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم) الآية .

قال الطبري وغيره : وفر عثمان بن عفان ومعه رجلان من الانصار حتى بلغوا الجلعب جبلا بناحية المدينة مما يلي الاغرض فأقاموا به ثلاثا فقال لهم رسول الله (ص) لقد ذهبتم فيها عريضة . وفي رواية الواقدي أنهم انتهوا الى مكان يسمى الاغرض فقال (ص) لهم ذلك .

وكانت هند بنت عتبة جعلت لوحشي جعلا على ان يقتل رسول‌الله (ص) او علي بن ابي طالب او حمزة فقال اما محمد فلا حلة لي فيه لان أصحابه يطيفون به واما علي فانه اذا قاتل كان أحذر من الذئب واما حمزة فاني اطمع فيه لانه اذا غضب لم يبصر بين يديه . قال وحشي والله اني لانظر الى حمزة يهد الناس بسيفه ما يلقى أحدا يمر به الا قتله فهززت‌حربتي فرميته فوقعت في ابيته حتى خرجت من بين رجليه واقبل نحوي فغلب فوقع فأمهلته حتى اذا مات جئت فأخذت حربتي ثم تنحيت الى العسكر . وجاء وحشي بعد فتح مكة الى رسول الله (ص) فأظهر الاسلام فعفا عنه رسول الله (ص) وقال له لا ترني وجهك قال بن هشام سكن حمص وغلبت عليه الخمرة وقال ايضا بلغني انه لم يزل يجد في الخمر حتى خلع من الديوان .

وقتل التقي حنظلة بن ابي عامر الفاسق المقدم ذكره قال الطبري : فقال رسول الله (ص) ان صاحبكم يعني حنظلة لتغسله الملائكة فسلوا أهله ما شأنه فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهائعة . وصار يسمى حنظلة الغسيل .

قال الطبري : حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة حدثني محمد بن اسحق حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار قال انتهى انس بن النضر عم أنس بن مالك الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيدالله في رجال من المهاجرين والانصار وقد القوا بأيديهم فقال ما يجلسكم قالوا قتل محمد رسول الله قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه ثم قاتل حتى قتل .

وقال ابن الاثير وكانت أم أيمن حاضنة رسول الله (ص) ونساء من الانصار يسقين الماء فرماها حفانه بن العرقة بسهم فأصاب ذيلها فضحك فدفع النبي (ص) سهما الى سعد بن ابي وقاص وقال ارمه فرماه فأصابه فضحك النبي (ص) .

قال الطبري ووقعت هند وصواحبها على القتلى من اصحاب رسول الله (ص) يمثلن بهم يجدعن الآذان والانوف حتى اتخذت هند من آذان الرجال وآنافهم خدما وقلائد واعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها . وقطعت أنفه وأذنيه وجعلت ذلك كالسوار في يديها وقلائد في عنقها حتى قدمت مكة .

قال ومر الحليس بن زبان بأبي سفيان وهو يضرب في شدق حمزة بزج الرمح وهو يقول ذو عقق (أي يا عاق) فقال الحليس يا بني كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه كما ترون لحما فقال اكتمها فانها زلة .

واصعد رسول الله (ص) في الجبل مع جماعة من اصحابه فيهم علي بن

ابي طالب . قال بن هشام وقع رسول الله (ص) في حفرة من الحفر التي عملها ابو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فشجت ركبته فأخذ علي بن ابي طالب بيده ورفعه طلحة بن عبيدالله حتى استوى قائما وانطلق رسول الله (ص) حتى انتهى الى اصحاب الصخرة فلما راوه لم يعرفوه واراد رجل ان يرميه بسهم فقال انا رسول الله فعرفوه واراد ان يعلو الصخرة وقد ظاهر بين درعين فلم يستطع فجلس تحته طلحة بن عبيدالله فنهض حتى استوى عليها واقبل ابي بن خلف الجمحي وقد حلف ليقتلن النبي (ص) بل انا أقتله وشد ابي عليه بحربة فاخذها رسول الله (ص) منه وقتله بها وروي انه طعنه فجرح جرحا خفيفا فجزع جزعا شديدا فقيل له ما يجزعك فقال اليس قال لاقتلنك فمات بعد يوم أو بضع يوم من ذلك الجرح .

قال بن هشام لما انتهى رسول الله (ص) الى فم الشعب خرج علي بن ابي طالب حتى ملأ درقته ماء من المهراس فجاء به الى رسول الله (ص) ليشرب منه فوجد له ريحا فعافه ولم يشرب منه وغسل وجهه الدم وصب على رأسه وقال ابن الاثير لما جرح (ص) جعل علي ينقل له الماء في درقته من المهراس ويغسله فلم ينقطع الدم فأتت فاطمة وجعلت تعانقه وتبكي واحرقت حصيرا وجعلت على الجرح من رماده فانقطع . واشرف ابو سفيان على المسلمين فقال أفيكم محمد فلم يجيبو فظن انه قتل فقيل له انه يسمع كلامك فعلم انه حي وان بن قميئة كاذب في دعوى قتله فقال اعل هبل فقال رسول الله (ص) الله اعلى واجل فقال ابو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله (ص) الله مولانا ولا مولى لكم ثم قال ابو سفيان هذا يوم بيوم بدر والحرب سجال وانصرف .

فلما انصرف ابو سفيان ومن معه بعث رسول الله(ص) علي بن ابي طالب عليه السلام فقال اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون فان كانوا قد اجتنبوا الخيل وامتطوا الابل فانهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فهم يريدون المدينة فوالذي نفسي بيده لئن ارادوها لاسيرن اليهم فيها ثم لاناجزنهم قال علي فخرجت في آثارهم فرأيتهم اجتنبوا الخيل وامتطوا الابل .

وفرغ الناس لقتلاهم فقال رسول الله (ص) من ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع وهو من بني الحارث بن الخزرج افي الاحياء هو ام في الاموات فقال رجل من الانصار انا انظر لك يا رسول الله ما فعل فنظر فوجده جريحا في القتلى وبه رمق فقال له ان رسول الله (ص) امرني ان انظر له في الاحياء انت ام في الاموات قال انا في الاموات فأبلغ رسول الله عني السلام وقل

له ان سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله خير ما جزي نبي عن امته وابلغ
عني قومك السلام وقل لهم ان سعد بن الربيع يقول لكم عند الله ان خلص
الى نبيكم وفيكم عين تطرف ثم تنفس فخرج منه دم الجزور ومات فجاء
الانصاري الى رسول الله (ص) فاخبره فقال (ص) رحم الله سعداً نصرنا
حيا واوصى بنا ميتا ثم قال مر له بعمي حمزة فقال الحارث بن الصمة انا
اعرف موضعه فجاء حتى وقف عليه فكره ان يرجع الى رســـول الله (ص)
فيخبره فقال رسول الله (ص) لعلي عليه السلام اطلب عمك فكره ان يرجع
اليه فخرج رسول الله (ص) بنفسه حتى وقف عليه فوجده ببطن الوادي قد
بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع انفه واذناه فلما راى ما فعل به بكى ثم
قال لن اصاب بمثلك ما وقفت موقفا قط اغيظ علي من هذا الموقف وقال
رحمه الله عليك فانك كنت ما علمتك فعولا للخيرات وصولا للرحم ثم قال:
لولا ان تحزن صفية أو تكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في اجواف
السباع وحواصل الطير ولئن اظهرني الله على قريش لامثلن بثلاثـين وفي
رواية بسبعين رجلا منهم وقال المسلمون لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها احد من
العرب فانزل الله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم
لهو خير للصابرين فعفا رسول الله (ص) وصبر ونهى عن المثلة . وفي السيرة
الحلبية عن بن مسعود ما راينا رسول الله (ص) باكيا اشد من بكائه عـلى
حمزة وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشق اي شهق
حتى بلغ به الغشي يقول يا عم رسول الله واسد الله واسد رسول الله يـا
حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا حمزة يا ذاب يا مانع
عن وجه رسول الله والقى على حمزة بردة كانت عليه فكانت اذا مدها على
راسه بدت رجلاه واذا مدها على رجليه بدا راسه فمدها على راسه والقى
على رجليه الحشيش . واقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر الى حمزة وكان
اخاها لابيها وامها فقال رسول الله (ص) لابنها الزبير بن العوام القها فارجعها
لا ترى ما باخيها فلقيها الزبير واعلمها بأمر رسول الله (ص) فقالت ولم وقد
بلغني انه مثل باخي وذلك في الله قليل فما ارضانا بما كان من ذلك لاحتسبن
ولاصبر فقال خل سبيلها .

قال محمد بن اسحق واحتمل ناس من المسلمين قتلاهم الى المدينـــة
فدفنوهم بها ثم نهى رسول الله (ص) عن ذلك وقال ادفنوهم حيث صرعــوا
قال ابن الاثير وامر ان يدفن الاثنان والثلاثة في القبر الواحد وان يقدم الى
القبلة اكثرهم قرآنا وصلى عليهم فكان كلما اتى بشهيد جعل حمـزة معـه
وصلى عليهما وقيل كان يجمع تسعة من الشهداء وحمزة عاشرهم فيصلي

عليهم . وقال بن سعد في الطبقات كان كلما اتى بشهيد وضع الى جنب حمزة فصلى عليه وعلى الشهيد حتى صلى عليه سبعين مرة وفي خطبة لامير المؤمنين عليه السلام انه خصه رسول الله (ص) بسبعين تكبيرة وعليه فيمكن ان يكون صلى عليه اربع عشرة مرة وكبر في كل مرة خمس مرات كما هو مذهب أهل البيت عليهم السلام ولعل رواية انه صلى عليه سبعين مرة وقع فيها اشتباه بين سبعين مرة وسبعين تكبيرة ثم امر بدفنه وامر ان يدفن عمرو بن الجموح وعبدالله بن حرام في قبر واحد وكانا متصافيين في الدنيا فلما دفن الشهداء انصرف الى المدينة فلقيته ابنة عمته حمنة ابنة جحش اخت زينب بنت جحش ام المؤمنين وكانت امها اميمة بنت عبد المطلب بن هاشم فقال لها احتسبي قالت من يا رسول الله قال اخاك عبدالله فاسترجعت واستغفرت له وهنأته الشهادة ثم قال لها احتسبي قالت من يا رسول الله قال خالك حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له وهنأته الشهادة ثم قال لها احتسبي قالت من يا رسول الله قال زوجك مصعب بن عمير فقالت واحزناه وولولت وصاحت فقال ان زوج المراة منها لبمكان ما هو لاحد . قال الطبري : ومر (ص) بدار من دور الانصار فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم فذرفت عيناه فبكى وقال لكن حمزة لا بواكي له فرجع سعد بن معاذ واسيد بن خضير الى دور بني عبد الاشهل فامر نساءهم ان يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على حمزة. وفي السيرة الحلبية ان يذهبن الى بيت رسول الله (ص) يبكين حمزة فلما رجع (ص) من صلاة المغرب سمع البكاء فقال ما هذا قيل نساء الانصار يبكين حمزة فقال رضي الله عنكن وعن اولادكن وامر بردهن الى منازلهن (وفي رواية) فقال لهن ارجعن رحمكن الله لقد واسيتن معي رحم الله الانصار فان المواساة فيهم كما علمت قديمة. وقال ابن سعد في الطبقات فهن الى اليوم اذا مات الميت من الانصار بدأ النساء فبكين على حمزة ثم بكين على ميتهن (وروى الطبري) انه (ص) مر بامراة من بني دينار وقد أصيب زوجها واخوها وابوها مع رسول الله (ص) بأحد فلما نعوهم لها قالت فما فعل رسول الله (ص) قالوا بحمد الله هو كما تحبين قالت ارونيه حتى انظر اليه فلما راته قالت كل مصيبة بعدك جلل (قال الطبري) فلما انتهى رسول الله (ص) الى اهله ناول سيفه ابنته فاطمة وقال اغسلي عن هذا دمه يا بنية وناولها علي عليه السلام سيفه فقال وهذا فاغسلي عنه فوالله لقد صدقني اليوم قال وزعموا ان علي بن ابي طالب حين أعطى فاطمة عليهما السلام سيفه قال :

غزوة بني النضير

في ربيع الاول سنة اربع على رأس سبعة وثلاثين شهرا من مهاجره وقد عرفت ان اليهود الذين كانوا بنواحي المدينة ثلاثة ابطن بنو النضير وقريظة وقينقاع وكان بينهم وبين رسول الله(ص) عهد ومدة فنقضوا عهدهم وكان سبب ذلك في بني النضير في نقض عهدهم ان ابا براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة سيد بني عامر بن صعصعة قدم على رسول الله (ص) فأهدى له هدية فأبى ان يقبلها حتى يسلم فلم يسلم ولم يبعد واعجبه الاسلام وطلب من النبي (ص) ان يرسل جماعة الى اهل نجد في جواره يدعونهم للاسلام فارسل معه سبعين راكبا فقتلهم عامر بن الطفيل ببئر معونة استصرخ عليهم القبائل ونجا منهم عمرو بن امية الضمري اطلقه بعدما جز ناصيته فخرج عمرو ونزل معه رجلان من بني عامر في ظل شجرة وكان معهما عقد وجوار من رسول الله (ص) لم يعلم به عمرو فلما ناما قتلهما بمن قتله بنو عامر عند بئر معونة فلما بلغ ذلك رسول الله (ص) عزم على ان يديهما فانطلق الى بني النضير يستلفهم في ديتهما ومعه نفر من اصحابه فقالوا نعم يا ابا القاسم وجلس الى جانب جدار من بيوتهم وتآمروا على قتله فقالوا من يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة يقتله بها ويريحنا منه ونهاهم سلام بن مشكم وقال ليخبرن بما هممتم به وانه نقض للعهد فلم يقبلوا فانتدب لذلك رجل وصعد ليلقي الصخرة فجاءه (ص) الوحي بذلك فنهض سريعا كأنه يريد حاجة فتوجه الى المدينة ولحقه اصحابه فقالوا اقمت ولم نشعر قال همت يهود بالغدر واخبرني الله بذلك فقمت وارسل اليهم محمد بن مسلمة فقال اذهب الى يهود فقل لهم اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد اجلتكم عشرا فمن رئي بعد ذلك ضربت عنقه فقالو نتحمل فارسل اليهم عبدالله ابن ابي سلول لا تفعلوا فان معي من العرب ومن قومي الفين يدخلون معكم وقريظة وحلفاؤكم من غطفان يدخلون معكم فطمع حيي بن اخطب سيد بني النضير في ذلك ونهاه سلام بن مشكم احد رؤسائهم وقال ان ابن ابي يريد ان يورطكم في الهلكة ويجلس في بيته الا تراه وعد بني قينقاع مثل ما وعدكم وهم حلفاؤه فلم يف لهم فكيف يفي لنا ونحن حلفاء الاوس فلم يقبل حيي وارسل الى(ص) انا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك فكبر (ص) وكبر المسلمون وقال حاربت يهود وتجهز لحربهم واستخلف على المدينة بن ام مكتوم وكان اعمى فلذلك كان كثيرا ما يستخلفه على المدينة لانه لا يقدر على القتال ويقال انه كان يستخلفه على الصلاة فقط بناء على عدم جواز قضاء الاعمى ولم يثبت

واعطى رايته علي بن ابي طالب عليه السلام واعتزلتهم قريظة فلم تعنهم وخذلهم بن ابي وحلفاؤهم من غطفان وذلك قوله تعالى (الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لتخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرتكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون) وقوله (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين) وسار (ص) بالناس حتى نزل بهم فصلى العصر بفنائهم وقد تحصنوا وقاموا على حصنهم يرمون بالنبل والحجارة . قال صاحب السيرة الحلبية وامر بلالا فضرب القبة وهي من خشب عليها مسوح وكان رجل من يهود اسمه عزور أو غزول وكان اعسر راميا يبلغ نبله ما لا يبلغه نبل غيره فوصل نبله تلك القبه فامر بها فحولت . وفقد علي قرب العشاء فقال الناس يا رسول الله ما نرى عليا فقال دعوه فانه في بعض شأنكم فعن قليل جاء براس غزول كمن له على حين خرج يطلب غرة من المسلمين ومعه جماعة فشد عليه فقتله وفر من كان معه فأرسل رسول الله (ص) مع علي ابا دجانة وسهل بن حنيف في عشرة فادركوهم وقتلوهم وذكر بعضهم ان اولئك الجماعة كانوا عشرة وانهم اتوا برؤوسهم فطرحت في بعض الابار قال وفي هذا رد على بعض الرافضة حيث ادعى ان عليا هو القاتل لاولئك العشرة ونقول لم يدع احد من الشيعة ان عليا هو القاتل لهم وما الذي يدعوهم الى دعوى غير صحيحة وتفوق علي عليه السلام في الشجاعة امر متواتر وفوق المتواتر فلا يحتاج من يريد اثباته الى الكذب وانما يحتاج الى الكذب من يدعي شجاعة لمن لم يؤثر عنه انه قتل احدا في حرب من الحروب ثم الا يكفي في بلوغ علي أعلى درجات الشجاعة خروجه ليلا وحده لا يشعر به احد لمقابلة عشرة من الشجعان اقدموا هذا الاقدام وقتله رئيسهم واحضاره رأسه وهزيمته التسعة واقدامه ثانيا مع عدة عليهم حتى قتلوهم وجاءوا برؤوسهم ولولا مكانه ما اجترؤا عليهم أفلا يكفي هذا كله حتى يدعي احد الشيعة انه قتل العشرة وحده مع ان شيخ الشيعة وقدوتها محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد ذكر في ارشاده نحوا مما ذكره صاحب السيرة الحلبية ولم يقل ان عليا قتل العشرة فقال : لما توجه رسول الله (ص) الى بني النضير عمل على حصارهم فضرب قبته في اقصى بني حطمة من البطحاء فلما اقبل الليل رماه رجل من بني النضير بسهم فأصاب القبة فأمر (ص) ان تحول قبته الى السفح واحاط بها المهاجرون والانصار فلما اختلط الظلام فقدوا عليا عليه السلام فقال الناس

يا رسول الله لا نرى عليا فقال اراه في بعض ما يصلح شأنكم فلم يلبث ان جاء براس اليهودي الذي رمى النبي (ص) ويقال له عزور فطرحه بين يدي النبي (ص) فقال كيف صنعت فقال اني رايت هذا الخبيث جريا شجاعا فكمنت له وقلت ما اجراه ان يخرج اذا اختلط الليل يطلب مناغرة فاقبل مصلتا بسيفه في تسعة نفر من اليهود فشددت عليه فقتلته وافلت اصحابه ولم يبرحوا قريبا فابعث معي نفرا فاني ارجو ان اظفر بهم فبعث معه عشرة فيهم ابو دجانة سماك بن حرشه وسهل بن حنيف فادركوهم قبل ان يلجوا الحصن فقتلوهم وجاءوا برؤسهم الى النبي (ص) فامر ان تطرح في بعض آبار بني حطمة وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير .

وفي ذلك يقول الحاج حاشم الكعبي شاعر اهل البيت :

وشللت عشرا فاقتنصت رئيسهم   وتركت تسعا للفرار عبيدا

وحاصرهم (ص) خمسة عشر يوما وقيل اكثر وكان سعد بن عبادة في تلك المدة يبعث التمر الى المسلمين . وقطع (ص) نخلهم وحرق لهم نخلا بالبويرة فنادوه يا محمد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه فما بال قطع النخل وتحريقها فانزل الله تعالى (ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي ان جميع ما قطع وحرق من النخل ست نخلات وقذف الله في قلوبهم الرعب فقالوا نخرج عن بلادك فقال لا اقبله اليوم ولكن اخرجوا ولكم دماؤكم وما حملت الابل من اموالكم الا الحلقة (اي آلة الحرب) فنزلوا على ذلك فكانوا يخربون بيوتهم بايديهم فيهدم الرجل بيته عما استحسن من باب ونجاف وغيرهما ولئلا ينتفع بها المسلمون وكان المسلمون ايضا يخربون مما يليهم وذلك قوله تعالى : (هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر (اي خروجا مؤبدا) ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) فخرجوا الى خيبر ومنهم من خرج الى الشام فمن الذين خرجوا الى خيبر حيي بن اخطب وسلام بن ابي الحقيق وكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق وتحملوا على ستمائة بعير ووجد رسول الله (ص) عندهم خمسين بيضة وثلثمائة واربعين سيفا فأخذها .

غزوة الخندق

وتسمى ايضا غزوة الاحزاب في ذي القعدة وقيل في شوال سنة خمس

من مهاجره (ص) قال المؤرخون : لما أجلى رسول الله (ص) بني النضير ساروا الى خيبر فخرج نفر من اشرافهم الى مكة منهم حيي بن اخطب وسلام بن مشكم وكنانة بن ابي الحقيق وغيرهم فالبوا قريشا ودعوهم الى الخروج الى رسول الله (ص) فقال لهم ابو سفيان مرحبا واهلا احب الناس الينا من اعاننا على عداوة محمد وقالت لهم قريش انتم اهل الكتاب الاول والعلم اخبرونا ادينا خير ام دين محمد فقالوا بل دينكم وذلك قوله تعالى « الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا» الآية. وعاهدوهم على قتاله (ص) ووعدوهم لذلك موعدا ثم اتوا غطفان وسليما ففارقوهم على مثل ذلك وتجهزت قريش وجمعوا احابيشهم ومن تبعهم من العرب فكانوا اربعة آلاف وعقدوا اللواء في دار الندوة فحمله عثمان بن طلحة بن ابي طلحة من بني عبد الدار وكان لهم حمل لواء قريش في الجاهلية عند الحرب دون غيرهم ومنهم بنو شيبة سدنةالكعبة وابوه كان صاحب لوائهم يوم احد فقتل وقادوا ثلاثمائة فرس وكان معهم الف وخمسمائة بعير وخرجوا وقائدهم ابو سفيان بن حرب ابن امية ووافتهم بنو سليم بمر الظهران سبعمائة وقائدهم سفيان ابن عبد شمس حليف حرب بن امية وهو ابو ابي الاعور السلمي الذي كان مع معاوية بصفين وخرجت معهم بنو اسد يقودهم طلحة بن خويلد وخرجت فزارة الف يقودهم عيينة بن حصن وخرجت اشجع اربعمائة يقودهم مسعود بن رخيلة وبنو مرة اربعمائة يقودهم الحارث بن عوف وغيرهم فكان جميع من ورد الخندق عشرة آلاف وهم الاحزاب وكانوا ثلاثة عساكر ورئيس الكل ابو سفيان ولما تهيئوا للخروج اتى ركب بن خزاعة في اربع ليال فأخبروا رسول الله (ص) فأخبر الناس وندبهم وشاورهم فأشار سلمان بالخندق وقال انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فأعجب ذلك المسلمون فقطعه رسول الله (ص) اربعين ذراعا بين كل عشرة فاحتق المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي كل يقول منا فقال رسول الله (ص) سلمان منا اهل البيت وجعلوا يعملون في الخندق مستعجلين يبادرون قدوم عدوهم وعمل رسول الله(ص) معهم بيده تنشيطا لهم ووكل بكل جانب قوما وفرغوا من حفره في ستة أيام وقيل اكثر وكان رسول الله (ص) يقول وهم يحفرون اللهم لا خير الا خير الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة فيجيبونه قائلين :

نحن الذين بايعوا محمدا   على الجهاد ما بقينا ابدا

ورفع المسلمون النساء والصبيان في الاطام ولما فرغ رسول الله (ص) من الخندق اقبلت قريش فنزلت بمجتمع الاسيال ونزلت غطفان ومن تبعهم

من اهل نجد الى جانب احد وخرج رسول الله (ص) يوم الاثنين لثمان ليال مضين من ذي القعدة في ثلاثة آلاف وعسكر بهم الى سفح سلع وهو جبل فوق المدينة في شمالها وجعل سلعا خلف ظهره والخندق بينه وبين القوم واستلف على المدينة ابن ام مكتوم وكان اليهود كما مر ثلاثة بطون معاهدين له (ص) فنقض بطنان منهم العهد بنو قينقاع وبنو النضير وبقيت قريظة فدس ابو سفيان حيي بن اخطب الى بني قريظة لينقضدا العهد ويكونوا معهم ، فخرج حيي حتى اتى كعب بن اسد صاحب عقد بني قريظة وعهدهم فأغلق كعب باب الحصن دونه فاستأذن عليه فأبى ان يفتح له فناداه ويحك يا كعب افتح لي قال انك امرؤ مشؤوم وقد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم ار منه الا وفاء وصدقا قال ويحك افتح لي اكلمك قال ما انا بفاعل قال ما اغلقت باب الحصن الا خوفا على طعامك ان آكل منه فاحفظه ففتح له فقال جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها قد عاهدوني وعاقدوني على ان لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه فقال له جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيء فدعني وما انا عليه فاني لم ار من محمد الا صدقا ووفاء فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذرة والغارب حتى سمح له على ان اعطاه عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا ان ادخل معك في حصنك حتى يصيبني ما اصابك فنقض كعب بن اسد عهده ومحا الكتاب الذي فيه العهد وقيل شقه فبلغ ذلك رسول الله (ص) فأرسل جماعة يأتونه بالخبر واوصاهم ان كان ما بلغه حقا لحنوا له ولم يصرحوا وان كانوا على الوفاء اخبروه جهارا فوجدوهم على اخبث ما بلغهم عنهم فعادوا الى رسول الله (ص) وقالوا عضل والقارة اي كغدر عضل والقارة باصحاب الرجيع فقال (ص) الله اكبر ابشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وخيف على الذراري والنساء واتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المؤمنين كل الظن وخلص الى كل امرىء منهم الكرب ونجم النفاق حتى قال بعض المنافقين كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر واحدنا اليوم لا يأمن على نفسه ان يذهب الى الغائط . وكانوا كما قال الله تعالى : (اذ جاؤوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) ثم ان نعيم بن مسعود من غطفان اتى رسول الله (ص) فقال اني اسلمت ولم يعلم قومي باسلامي فمرني بما شئت فقال (ص) له انما انت فينا رجل واحد

فخذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة فخرج حتى اتى بني قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية فقال قد عرفتم ودي اياكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال ان قريشا وغطفان جاءوا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه وليسوا مثلكم البلد بلدكم به اموالكم وابناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تتحولوا منه الى غيره اما هم فان رؤوا فرصة وغنيمة اصابوها والا لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ولا طاقة لكم به فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من اشرافهم فقالوا لقد اشرت برأي ونصح ثم خرج الى ابي سفيان واصحابه وقال قد عرفتم ودي اياكم وفراقي محمدا وقد بلغني امر رأيت حقا علي ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا علي قالوا نفعل قال ان اليهود قد ندموا على ما صنعوا بينهم وبين محمد وارسلوا اليه هل يرضيك عنا ان نأخذ من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فندفعهم اليك فتضرب اعناقهم ثم نكون معك قال نعم فان بعث اليكم اليهود يطلبون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم . ثم اتى غطفان فقال انتم اصلي وعشيرتي واحب الناس الي ولا اراكم تتهموني قالوا صدقت قال فاكتموا علي قالوا نفعل ثم قال لهم مثلما قال لقريش فلما كانت ليلة السبت ارسل ابو سفيان ورؤوس غطفان الى بني قريظة ان اعدوا للقتال حتى نناجز محمدا فقالوا اليوم السبت ولا نعمل فيه شيئا ولسنا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم فانا نخشى ان ضرستكم الحرب ان تشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل ولا طاقة لنا به فقالت قريش الذي حدثكم نعيم بن مسعود حق فأرسلوا الى بني قريظة لا ندفع اليكم رجلا واحدا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة ان الذي قال لكم نعيم بن مسعود احق فارسلوا الى قريش وغطفان لنا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا وخذل الله بينهم .

فلما اشتد على الناس البلاء ورأى النبي (ص) ضعف قلوب اكثر المسلمين من حصارهم لهم ووهنهم في حربهم بعث الى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر والى الحارث بن عوف وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما فجاءا مستخفيين من ابي سفيان وكتبوا كتاب الصلح ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح فبعث(ص) الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فأخبرهما فقالا يا رسول الله أمر تحبه فنصنعه أم شيء امرك الله به لا بد لنا منه أم شيء تصنعه لنا فقال بل شيء اصنعه لكم لأني رأيت العرب قد رموكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت ان اكسر عنكم من شوكتهم فقال له سعد بن معاذ قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة الاوثان وهم لا يطمعون ان يأكلوا منا ثمرة الا قرى او بيعا

افحين اكرمنا الله بالاسلام واعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم قال (ص) فانت وذاك فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب فأقام رسول الله (ص) والمسلمون وعددهم محاصرهم بضعا وعشرين ليلة وليس بينهم قتال الا الترامي بالنبل والحجارة فرمى حبان بن العرفة سعد بن معاذ بسهم فأصاب اكحلـه وقال خذها وانا بن العرفة فقال رسول الله (ص) وقيل سعد عرق الله وجهك في النار وقال سعد اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئا فابقني لها فانه لا قوم احب الي ان أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه واخرجـوه وان كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة وكان مع المشركين وحشي قاتل حمزه فزرق الطفيل بن النعمان فقتله .

وروى بن هشام والطبري ان صفيـة بنت عبدالمطلب كانت في فـارع حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله (ص) وليس بيننا وبينهم احد يدفع عنا . رسول الله والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون ان ينصرفـوا الينـا ان اتانا آت فقلت يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن واني والله ما آمنه ان يدل على عورتنا من وراءنا من يهود وقد شغـل عنـا رسول اللـه (ص) واصحابه فانزل اليه فقال يغفر الله لك يا بنت عبدالمطلب والله لقد عرفت ما انا بصاحب هذا (وكان حسان جبانا) فلما لم أر عنده شيئا احتجـزت واخذت عمودا ونزلت اليه فضربته بالعمود حتى قتلته ورجعت فقلت لحسان انزل اليه فاسلبه فلم يمنعني من سلبه الا انه رجل ، قال ما لي بسلبه مـن حاجة وما أحق صفية الهاشمية بقول القائل :

ولو ان النساء كمثل هذي   لفضلت النساء على الرجـال .

وجاء فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن ابي جهـل ونوفل بن عبدالله بن المغيرة وهبيرة بن ابي وهب المخزوميان وضرار بـن الخطاب الفهري فأقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما تأملوا ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها فقيل لهم ان معه رجلا فارسيا أشار عليه بذلك فصاروا الى مكان ضيق في الخندق كان قد اغلقـه المسلمـون فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم بين الخندق وسلع .

وقال ابن هشام والطبري وغيرهما : وخرج علي بـن ابي طالب عليـه السلام في نفر معه من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التي اقحموا منهـا

خيلهم واقبلت الفرسان تعنق نحوهم فالا وقد كان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد احدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه (اقول) يظهر انهم لما عبروا الخندق وتقدموا نحو معسكر المسلمين فجالت بهم خيلهم بين الخندق وجبل سلع الذي جعله النبي (ص) خلف ظهره بادر علي عليه السلام فرابط عند الثغرة التي اقحموا خيولهم منها ليمنع من يريد عبور الخندق من ذلك المكان فانه لم يكن في الحسبان ان المشركين يعبرون الخندق فلما رأوهم عبروه على حين غفلة بادر علي بمن معه ليمنعوا غيرهم وليقاتلوهم اذا ارادوا الرجوع وهذه منقبة انفرد بها علي عليه السلام في هذه الغزاة بمبادرته لحماية الثغرة دون غيره حين بدهم هذا الامر الذي لم يكن في الحسبان وعلموا ان هؤلاء الذين اقتحموا الخندق بخيولهم واقدموا على ما كان يخال انه ليس بممكن من اشجع الشجعان ويقول المفيد ان عليا عليه السلام بعد قتله عمرا وهرب من معه انصرف الى مقامه الاول يعني الثغرة التي اقتحموا خيولهم منها وقد كادت نفوس الذين خرجوا معه الى الخندق تطير جزعا وهذا يدل على ان الذين كانوا معه بخروجه خرجوا واليه استندوا وعليه اعتمدوا وحينئذ يحتاج الى الجمع بين ما مر وبين ما يأتي من انه لما طلب عمرو المبارزة قام علي فقال انا له يا رسول الله فانه يدل انه كان مع النبي (ص) فالظاهر انه لما سمع عمرا يطلب المبارزة جاء الى النبي (ص) فقام بين يديه وقال انا له يا رسول الله فانه لم يكن ليبارزه بغير اذنه (ص) . قال صاحب السيرة الحلبية : فقال عمرو من يبارز فقام علي وقال انا له يا نبي الله قال اجلس انه عمرو ثم كرر النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول اين جنتكم التي تزعمون انه من قتل منكم دخلها أفلا يبرز الي رجل وقال :

ولقد بححت من النداء ... ء بجمعكم هل من مبارز

فقام علي وهو مقنع في الحديد فقال انا له يا رسول الله قال اجلس انه عمرو ثم نادى الثالثة فقام علي فقال انا له يا رسول الله فقال انه عمرو فقال وان كان عمرا (وفي رواية) انه قال له هذا عمرو بن عبد ود فارس يليل فقال وانا علي بن ابي طالب فأذن له واعطاه سيفه ذا الفقار والبسه درعه وعممه بعمامته وقال اللهم اعنه عليه (وفي رواية) انه رفع عمامته الى السماء وقال الهي اخذت عبيدة مني يوم بدر وحمزة يوم احد وهذا علي اخي وابن عمي فلا تذرني فردا وانت خير الوارثين فبرز اليه علي وهو يقول:

لا تعجلن فقد اتا ... ك مجيب طوتك غير عاجز

فقال له عمرو من انت ؟ قال انا علي قال بن من قال بن عبد مناف انا

علي ابن ابي طالب فقال غيرك يا ابن اخي من اعمامك من هو اشد منك فانصرف فاني اكره ان اهرق دمك فان اباك كان لي صديقا وكنت له نديما قال علي لكني والله ما اكره ان اهرق دمك فغضب (وفي رواية) انه قال : اني لاكره ان اقتل الرجل الكريم مثلك فارجع وراءك خير لك . قال بن ابي الحديد : كان شيخنا ابو الخير يقول اذا مررنا عليه في القراءة بهذا الموضع: والله ما امره بالرجوع ابقاء عليه بل خوفا منه فقد عرف قتلاه ببدر واحد وعلم ان ناهضة قتله فاستحيا ان يظهر الفشل فاظهره الابقاء والارعاء وانه لكاذب فيهما . قال ابن اسحق : فقال له علي يا عمرو وقد كنت تعاهد الله لقريش ان لا يدعوك رجل الى خلتين الا قبلت منه احداهما قال اجل قال علي فاني ادعوك الى الله عز وجل والى رسوله (ص) والاسلام فقال لا حاجة لي في ذلك قال فاني ادعوك الى البراز (وفي رواية) انك كنت تقول لا يدعوني احد الى واحدة من ثلاث الا قبلتها قال اجل قال فاني ادعوك ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتسلم لرب العالمين قال يا ابن اخي اخر عني هذه فقال له اما انها خير لك لو اخذتها قال واخرى ترجع الى بلادك فان يك محمد صادقا كنت اسعد الناس به وان يك كاذبا كان الذي تريد قال هذا ما لا تتحدث به نساء قريش ابدا كيف وقد قدرت على استيفاء ما نذرت فانه نذر لما افلت هاربا يوم بدر وقد جرح ان لا يمس راسه دهنا حتى يقتل محمدا (ص) قال فالثالثة قال البراز قال هذه لخصلة ما كنت اظن ان احدا من العرب يروعني بها ولم يا ابن اخي فوالله ما احب ان اقتلك فقال علي ولكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو فقال له علي كيف اقاتلك وانت فارس ولكن انزل معي ، فاقتحم عن فرسه فعقره أو ضرب وجهه وسل سيفه كأنه شعلة نار واقبل على علي فتنازلا وتجاولا فاستقبله علي بدرقته فضربه عمرو فيها فقدها واثبت فيها السيف واصاب رأسه فشجه فضربه علي على حبل عاتقه فسقط وكان جابر بن عبدالله الانصاري قد تبع عليا عليه السلام لينظر ما يكون منه ومن عمرو قال فثارت غبرة فما رأيتها فسمعت التكبير تحتها فعلمت ان عليا قد قتله . وفي رواية انه لما قتله كبر المسلمون فلما سمع رسول الله (ص) التكبير عرف ان عليا قتل عمرا ولما قتل عمرو هرب الذين كانوا معه حتى اقتحمت خيلهم الخندق وتورطت بنوفل بن عبدالله بن المغيرة فرسه في الخندق فرموه بالحجارة فقال يا معشر العرب قتله اجمل من هذه اينزل الي بعضكم اقاتله فنزل اليه علي فقتله (وفي رواية) ضربه بالسيف فقطعه نصفين فطلب المسلمون على جسده فسأل المشركون رسول الله(ص) ان يبيعهم جسده فقال لا حاجة لنا بجسده ولا ثمنه فشأنكم

به . وروى بن اسحق في المغازي ان المشركين بعثوا الى رسول الله (ص) يشترون جيفة عمرو بعشرة آلاف درهم فقال هو لكم ولا ناكل ثمن الموتى . وفيه من التعليم على تشريف النفس والاباء وكرم الغلبة امر ظاهر ، ولحق علي عبد السلام هبيرة فاعجزه وضرب قربوس سرجه فسقطت درع كانت له قد احتقبها وفر عكرمة وضرار .

وكان مع عمرو ابنه حسل بن عمر فقتله علي عليه السلام رواه بن هشام في سيرته عن ابن شهاب الزهري . قال جابر فما شبهت قتل علي عمرا الا بما قص الله من قصة قتل داود جالوت حيث يقول الله جل شانه «فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت» وفيما رواه الحاكم بسنده ان قاتل ذلك يحيى بن آدم ولا مانع من ان يكون كل منهما قال ذلك وقال النبي (ص) قتل علي لعمرو بن عبد ود افضل من عبادة الثقلين وروى الحاكم في المستدرك بسنده ان النبي (ص) قال : لمبارزة علي بن ابي طالب لعمرو بن عبد ود يوم الخندق افضل من اعمال امتي الى يوم القيامة . وقال ابن تيمية على عادته في انكار البديهيات ورد المتواترات والمسلمات في الحديث الاول انه حديث موضع وكيف يكون قتل كافر افضل من عبادة الثقلين الانس والجن ومنهم الانبياء بل ان عمرو بن عبد ود هذا لم يعرف له ذكر الا في هذه الغزوة اهـو قال الذهبي في تلخيص المستدرك بعد نقل الحديث الثاني قبح الله رافضيا افتراه (واقول) قبح الله ناصبيا يرد حديث رسول الله (ص) بالهوى والعداوة لاخيه وابن عمه ويزعم في ميزانه ان النصب قد ارتفع في عصره وليس عجيبا ان يتكلم الذهبي بذلك وهو تلميذ بن تيمية . وفي السيرة الحلبية يرد قول بن تيمية انه لم يعرف له ذكر الا في هذه الغزوة ما روي من انه قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد احدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه (اقول) روى ذلك الحاكم في المستدرك بسنده الى ابن اسحق قال كان عمرو بن عبد ود ثالث قريش وكان قد قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة ولم يشهد احدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مشهده (قال) وفي السيرة الحلبية ويرده ايضا ما مر من انه نذر ان لا يمس راسه دهنا حتى يقتل محمدا (اقول) ويرده انه كان معروفا بفارس بليل اسم مكان كانت له فيه وقعة مشهورة وورد تسميته بذلك في شعر مسافع الآتي وفيما مر . وفيما رثي به عمرو مما يأتي ما يدل على نباهته وشجاعته وانه ذو مقام عال في قريش قال واستدلاله بقوله وكيف يكون فيه نظر لان قتل هذا كان في نصرة للدين وخذلان للكافرين (اقول) تأبى لابن تيمية حالة المعلومة الا ان يصادم البديهة فان اقل نظرة يلقيها الانسان على تلك الغزوة فيرى

عشرة الاف محاصرين للمدينة حنقين اشد الحنق على اهلها وهم دون الثلث بينهم عدد كثير من المنافقين وبنو قريظة الى جنبهم يخافون منهم على ذراريهم ونسائهم وما أصاب المسلمين من الخوف والهلع الذي اضطر النبي (ص) ان يصانع غطفان بنصف ثمار المدينة وتعظيم الله تعالى ذلك في القرآن الكريم بقوله « اذ جاؤوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذا زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » ووقوف عمرو ينادي بالمسلمين ويقرعهم ويطلب البراز ولا يجيبه احد الا علي فيقتل عمرا وينهزم المشركون بقتله ويرتفع البلاء ويأتي الفرج اقل نظرة يلقيها الانسان على تلك الحال توصله الى اليقين بأن ضربة علي يومئذ افضل من عبادة الجن والانس والملائكة وملايين من العوالم امثالهم لو كانت سواء اجاء الحديث بذلك عن رسول الله (ص) ام لم يجيء ومتى احتاج النهار الى دليل . ولولا تلك الضربة لما عبد الله بل عبدت الاوثان . وقد يسأل سائل هنا فيقول لما عبر عمرو والاربعة معه الخندق فلماذا لم يقم اليهم المسلمون فيقتلوهم وهم خمسة نفر والمسلمون ثلاثة آلاف والمشركون يصعب عليهم انجادهم لوجود الخندق . والجواب ان المسلمين كان قد استولى عليهم الخوف والهلع وزاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وذهبت بهم الظنون وكان عبور المشركين من ثغرة الخندق غير مأمون ولذلك بدر علي قبل قتله عمرا الى الثغرة مع جماعة فحماها وقد كادت نفوس الذين معه تطير جزعا كما مر ورجع بعد قتل عمرو فحماها ايضا . كل ذلك يدل على ان عبور الخندق كان محل الخوف والخطر وان عليا وحده كان الثابت الجنان في هذه المواقف الرهيبة . قال المفيد في الارشاد وروي قيس بن الربيع (ثنا) ابو هارون العبدي عن ربيعة السعدي قال اتيت حذيفة بن اليمان فقلت له يا ابا عبدالله انا لنتحدث عن علي ومناقبه فيقول لنا اهل البصرة انكم تفرطون في علي فهل انت محدثي بحديث فيه فقال حذيفة يا ربيعة وما تسألني عن علي فوالذي نفسي بيده لو وضع جميع اعمال اصحاب محمد (ص) في كفة الميزان منذ بعث الله محمدا (ص) الى يوم القيامة ووضع عمل علي في الكفة الاخرى لرجح عمل علي على جميع اعمالهم فقال ربيعة هذا الذي لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل فقال حذيفة يا ويلكم وكيف لا يحمل واين كان فلان وفلان وحذيفة وجميع اصحاب محمد (ص) يوم عمرو بن عبد ود وقد دعا الى المبارزة فأحجم الناس كلهم ما خلا عليا فانه برز اليه وقتله الله على يده والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اعظم اجرا من اعمال اصحاب محمد الى يوم القيامة قال الحاكم في المستدرك ثم اقبل علي نحو رسول الله

(ص) ووجهه يتهلل فقال عمر بن الخطاب هلا سليته درعه فليس للعرب درع خير منها فقال ضربته فاتقاني بسوأته واستحييت ابن عمي ان استلبه (قال) الرازي في تفسيره انه (ص) قال لعلي بعد قتله لعمرو بن عبد ود كيف وجدت نفسك معه يا علي قال وجدتها لو كان اهل المدينة كلهم في جانب وانا في جانب لقدرت عليهم : قال المفيد وكان قتل علي عليه السلام عمرا ونوفلا سبب هزيمة المشركين وقال رسول الله (ص) بعد قتله هؤلاء النفر الآن نغزوهم ولا يغزوننا وذلك قوله تعالى : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا » في الارشاد روى يوسف بن كليب عن سفيان بن زيد عن فترة وغيره عن عبدالله بن مسعود انه كان يقرأ (وكفى الله المؤمنين القتال بعلي) وفيه : روى علي بن الحكيم الاودي قال سمعت ابا بكر بن عياش يقول : لقد ضرب علي ضربة ما كان في الاسلام اعز منها يعني ضربة عمرو ابن عبد ود ولقد ضرب عليه السلام ضربة ما ضرب في الاسلام اشأم منها يعني ضربة بن ملجم (وفيه) روى احمد بن عبد العزيز حدثنا سليمان بن ايوب عن ابي الحسن المدائني قال لما قتل علي بن ابي طالب عمرو بن عبد ود نعي الى اخته (واسمها عمرة وكنيتها ام كلثوم) فقالت من ذا الذي اجترأ عليه فقالوا ابن ابي طالب فقالت لم يعد موته ان كان على يد كفو كريم لارقأت دمعتي ان هرقتها عليه قتل الابطال وبارز الاقران وكانت منيتة على يد كفو كريم من قومه ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر .

قال ابن هشام والطبري : وبعث الله على المشركين الريح في ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح ابنيتهم وذلك قوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها) وهي الملائكة . فلما انتهى الى رسول الله (ص) ما اختلف من امرهم وما فرق الله من جماعتهم قال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشرط له رسول الله (ص) الرجعة واسأل الله ان يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من شدة الخوف والجوع والبرد قال حذيفة بن اليمان فلما لم يقم احد دعاني فلم يكن لي بد من القيام فقال اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء فقام ابو سفيان فقال يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه فأخذت بيد الرجل الذي كان الى جنبي فقلت من انت قال فلان بن فلان ثم قال ابو سفيان انكم والله ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو

بعثني الله به حتى يظهره او تنفرد هذه السالفة (والسالفة) صفحة العنق
ودنا خالد حتى نظر الى اصحاب رسول الله فأمر (ص) عباد بن بشر فتقدم
في خيله فقام بازائه وصف (ص) اصحابه وحانت صلاة الظهر فصلى (ص)
بهم صلاة الخوف فلما امسى قال لاصحابه تيامنوا وامرهم ان يسلكوا طريقا
تخرجهم على مهبط الحديبية من اسفل مكة فسار في طريق وعرة حتى دنا
من الحديبية وهي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة الى جهة الغرب من
ناحية جدة فلما رأت خيل قريش غبار الجيش قد خالفوا عن طريقهم رجعوا
راكضين الى قريش ينذرونهم فخرجوا بأجمعهم حتى نزلوا مياه الحديبية
فلما وقعت يدا راحلته (ص) على الثنية التي تهبط على القوم بركت فقال
المسلمون حل حل يزجرونها فأبت ان تبعث فقالوا خلأت القصواء فقال (ص)
ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة اما والله لا
يسالوني اليوم خطة فيها تعظيم حرمة الله وفي رواية فيها صلة الرحم الا
اعطيتهم اياها ثم زجرها فقامت وانصرف عن القوم حتى نزل بالناس على
ثمد من اثماد الحديبية (ظنون قليل الماء) فانتزع سهما من كنانته فأمر به
فغرز في بئر من آبار الحديبية فجاشت لهم بالرواء حتى اغترفوا بآنيتهم
جلوسا على شفير البئر وجاءه بديل بن ورقاء الخزاعي رئيس خزاعة في
رجال من قومه وكانت خزاعة مسلمها وكافرها عيبة نصح رسول الله (ص)
لا تخفي عنه شيئا من امر قريش فسلموا عليه وقال بديل جئناك من عند
قومك كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد استنفروا لك الاحابيش ومن اطاعهم
معهم العوذ المطافيل يقسمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تبيد
خضراؤهم فقال رسول الله (ص) لم نأت لقتال احد انما جئنا لنطوف بهذه
البيت (وفي رواية) فمن صدنا عنه قاتلناه فرجعوا الى قريش فقالوا انكم
تعجلون على محمد انه لم يأت لقتال وانما جاء زائر لهذا البيت فاتهموهم
وجبهوهم وقالوا وان كان جاء لا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة ابدا
ولا تتحدث بذلك عنا العرب ثم بعثوا الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد
الاحابيش وكان يتأله فلما رآه رسول الله (ص) قال ان هذا من قوم يتألهون
فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه فلما راى الهدي يسيل عليه من عرض
الوادي عليه القلائد وقد اكل اوباره من طول الحبس رجع ولم يصل الى
رسول الله (ص) اعظاما لما راى فقال لهم ذلك فقالوا اجلس فانما انت اعرابي
لا علم لك فغضب وقال والله ما على هذا حالفناكم ايصد عن بيت الله من
جاء معظما له والله لتخلن بين محمد وبين ما جاء له او لانفرن بالاحابيش
نفرة رجل واحد قالوا فاكفف عنا حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به ثم بعثوا

عروة بن مسعود الثقفي فجاء حتى جلس بين يدي رسول الله (ص) فقال يا محمد اجمعت اوشاب الناس ثم جئت بهم الى بيضتك لتفضها بهم انها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة ابدا وجعل يتناول لحية رسول الله (ص) وهو يكلمه والمغيرة بن شعبة واقف على راس رسول الله (ص) في الحديد فجعل يقرع يده ويقول اكفف يدك عن وجه رسول الله (ص) قبل ان لا تصل اليك فقال عروة ويحك ما افظك واغلظك ثم قال اي غدر وهل غسلت سوأتك الا بالامس وكان المغيرة قتل قبل اسلامه ثلاثة عشر رجلا من بني مالك من ثقيف فوداهم عروة فكلم رسول الله (ص) عروة بنحو ما كلم به اصحابه واخبره انه لا يريد حربا فقام عروة من عنده وقد رأى ما يصنع به اصحابه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه ولا يبصق بصاقا الا ابتدروه ولا يسقط من شعره شيء الا اخذوه فقال لقريش اني قد جئت كسرى وقيصر والنجاشي في ملكهم والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء ابدا . وكان رسول الله (ص) ارسل خراش بن امية الخزاعي الى قريش ليخبرهم ما جاء له فعقروا بعيره وارادوا قتله فمنعه من هناك من قومه فدعا عمر ليبعثه فقال اني اخاف قريشا على نفسي وليس من بني عدي احد يمنعني فبعث عثمن فقال اخبرهم انا لم نأت لقتال وانما جئنا زوارا لهذا البيت معظمين لحرمته معنا الهدي ننحره وننصرف فلقيه ابان بن سعيد بن العاص فاجاره حتى بلغ رسالة رسول الله (ص) فقالوا لا كان هذا ابدا ولا يدخلها علينا العام واحتبسته قريش عندها ثلاثة ايام فبلغ رسول الله (ص) ان عثمان قد قتل فقال : لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة . قال المفيد في الارشاد : وكان من بلاء علي عليه السلام في ذلك اليوم عند صف القوم في الحرب والقتال ما ظهر خبره واستفاض ذكره وذلك بعد البيعة التي اخذها النبي (ص) على اصحابه والعهود عليهم في الصبر وكان علي عليه السلام المبايع للنساء عن النبي (ص) فكانت بيعته لهن يومئذ ان طرح ثوبا بينهن وبينه ثم مسحه بيده فكانت مبايعتهن للنبي (ص) مسح الثوب ورسول الله (ص) يمسح ثوب علي عليه السلام مما يليه . وجعلت الرسل تختلف بين رسول الله (ص) وبين قريش فاجمعوا على الصلح والموادعة فبعثوا سهيل بن عمرو في عدة من رجالهم وجرى الصلح بينهما فدعا رسول الله (ص) علي بن ابي طالب ليكتب كتاب الصلح فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل لا اعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم فكتبها ثم قال اكتب هذا ما صالح محمد رسول الله

سهيل بن عمرو فقال سهيل لو شهدت انك رسول الله لم أقاتلك ولكن اكتب اسمك واسم ابيك فقال رسول الله (ص) اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو فجعل علي يتلكأ ويأبى ان يكتب الا محمد رسول الله فقال له رسول الله (ص) اكتب فان لك مثلها تعطيها وانت مضطهد (وفي رواية) ستدعى الى مثلها فتجيب وانت مضض اشارة الى ما وقع يوم الحكمين وهذا يدل على ان ذلك جرى قبل ان يكتب علي محمد رسول ويدل بعض الروايات على انه جرى بعدما كتبها ففي السيرة الحلبية فقال رسول الله (ص) لعلي امح رسول الله فقال علي والله لا أمحوه ابدا فقال أرنيه فأراه اياه فمحاه بيده وقال انا والله رسول الله وان كذبتموني . وفي ارشاد المفيد فقال له علي عليه السلام انه والله لرسول الله على رغم انفك فقال سهيل اكتب اسمه يمض الشرط فقال له علي عليه السلام ويلك يا سهيل كف عن عنادك فكتب علي عليه السلام هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه من اتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ومن اتى قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه وان بيننا عيبة مكفوفة وانه لا اسلال ولا اغلال وان من احب ان يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه وان احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه (فتواثبت خزاعة فقالوا نحن في عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر فقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم) وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة وانه اذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها وشهد ابو بكر بن ابي قحافة وعمر ابن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وعثمان بن عفان وابو عبيدة بن الجراح ومحمد بن مسلمة وحويطب بن عبد العزي ومكرز ابن حفص وكانا مشركين وعلي بن أبي طالب وكتب وكان هو كاتب الصحيفة وكتب الكتاب نسختين احداهما عند رسول الله (ص) والاخرى عند سهيل بن عمرو وبينا هم يكتبون الكتاب اذا جاء جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد قد انفلت من مكة الى رسول الله (ص) وكان قد اسلم فقيدته قريش وعذبته فلما رآه ابو سهيل قام اليه فضرب وجه واخذ بتلبيبه ثم قال يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل ان يأتيك هذا قال صدقت وقال (ص) يا ابا جندل قد تم الصلح بيننا وبين القوم فاصبر حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا ثم انطلق سهيل بن عمرو واصحابه ونحر رسول الله (ص) هدية وحلق ونحر اصحابه وحلق عامتهم وقصر الآخرون واقام

بالحديبية بضعة عشر يوما ويقال عشرين يوما ثم انصرف .

غزوة خيبر

في جمادي الاولى وقيل في المحرم سنة سبع من الهجرة وهي على ثمانية برد من المدينة مسير نحو ثمان واربعين ساعة سميت باسم رجل من العماليق نزلها وهو اخو يثرب الذي سميت باسمه المدينة وقيل خيبر بلسان اليهود الحصن وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير . ولم يذكر المؤرخون انه كان بين النبي (ص) ويهود خيبر عهد وانما كان للعهد بينه وبين البطون الثلاثة من اليهود المقدم ذكرهم الذين كانوا بنواحي المدينة وهم بنو قينقاع والنضير وقريظة اما يهود خيبر فالظاهر انه غزاهم يدعوهم الى الاسلام وقبول الجزية أو الحرب فلما لم يسلموا ولم يقبلوا الجزية حاربهم ومع ذلك فقد ذكر ابن الاثير وغيره ان اهل خيبر كانوا مظاهرين لغطفان على رسول الله (ص) وان غطفان قصدت خيبر ليظاهروا اليهود ثم خافوا المسلمين على اهليهم واولادهم فرجعوا . وكان المسلمون في هذه الغزاة الفا واربعمائة والخيل مائتي فرس .

قال ابن سعد فلما نزل بساحتهم لم يتحركوا تلك الليلة حتى طلعت الشمس واصبحوا وافئدتهم تخفق وفتحوا حصونهم وغدوا الى اعمالهم فلما نظروا الى رسول الله (ص) قالوا محمد والخميس اي الجيش وولوا هاربين الى حصونهم وجعل رسول الله (ص) يقول الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ووعظ رسول (ص) الناس . قال بن هشام فحاصرهم بضع عشرة ليلة فكان اول حصونهم افتتح حصن ناعم ثم القموص ثم حصن الصعب بن معاذ ثم الوطيح والسلالم وكانا آخر حصون خيبر افتتاحا ثم قال ابن اسحق وحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمي عن ابيه سفيان عن سلمة بن عمرو بن الاكوع قال بعث رسول الله (ص) ابا بكر الصديق (رض) برايته وكانت بيضاء الى بعض حصون خيبر يقاتل فرجع ولم يك فتح وقد جهد ثم بعث الغد عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع ولم يك فتح وقد جهد فقال رسول الله (ص) لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار وفي السيرة الحلبية في لفظ كرار غير فرار قال وقد دفع (ص) لواءه لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئا فدفعه الى آخر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئا قال ابن هشام يقول سلمة فدعا (ص) عليا وهو أرمد فتفل في عينيه ثم قال خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك قال سلمة فخرج والله يهرول هرولة

وانا لخلفه اتتبع اثره حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن فاطلع اليه يهودي من راس الحصن فقال من انت قال انا علي بن ابي طالب قال يقول اليهودي علوتم او غلبتم وما انزل على موسى أو كما قال فما رجع حتى فتح الله على يديه . ورواه ابو نعيم الاصبهاني في حلية الاولياء بسنده عن سلمة ابن عمرو بن الاكوع قال بعث رسول الله (ص) أبا بكر (رض) الى بعض حصون خيبر فقاتل وجهد ولم يكن فتح (وبسنده) عن ابي ليلى عن علي انه قال يا أبا ليلى اما كنت معنا بخيبر قال بلى والله كنت معكم قال فان رسول الله (ص) بعث ابا بكر الى خيبر فسار بالناس وانهزم حتى رجع . هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه أي لم يخرجه البخاري ومسلم . وقال الذهبي في تلخيص المستدرك : صحيح ولم يتعقبه ومن عادته ان يتعقب المستدرك اذا لم يكن الحديث صحيحا عنده ، وروى الحاكم في المستدرك ايضا قال : اخبرنا ابو العباس محمد بن احمد المحبوبي بمرو ثنا سعيد بن مسعود ثنا عبيدالله بن موسى ثنا نعيم بن حكيم عن ابي موسى الحنفي عن علي رضي الله عنه قال : سار النبي(ص) الى خيبر فلما أتاها بعث عمر(رض) وبعث معه الناس الى مدينتهم أو قصرهم فقاتلوهم فلم يلبثوا ان هزموا عمر واصحابه فجاءووا يجبنونه فسار النبي (ص) الحديث . هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي في تلخيص المستدرك صحيح ولم يتعقبه (وبسنده) عن جابر ان النبي (ص) دفع الراية يوم خيبر الى عمر (رض) فانطلق فرجع يجبن اصحابه ويجبنونه . هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (وبسنده) عن جابر بن عبدالله قال لما كان يوم خيبر بعث رسول الله (ص) رجلا فجبن (الى ان قال) ثم قال (ص) لابعثن غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبانه لا يولي الدبر يفتح الله على يديه فتشوف لها الناس وعلي يومئذ ارمد فقال له رسول الله (ص) سر فقال ما ابصر موضعا فتفل في عينيه وعقد له ودفع اليه الراية فقال : يا رسول الله علام اقاتلهم فقال علي ان يشهدوا لا اله الا الله واني رسول فاذا فعلوا ذلك فقد حقنوا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل فلقيهم ففتح الله عليه . وفي أسد الغابة بسنده عن بريدة قال لما كان يوم خيبر اخذ ابو بكر اللواء فلما كان من الغد اخذه عمر وقيل محمد بن مسلمة فقال رسول الله (ص) لادفعن لوائي الى رجل لم يرجع حتى يفتح الله عليه فصلى رسول الله (ص) صلاة الغداة ثم دعا باللواء فدعا عليا وهو يشتكي عينيه فمسحهما ثم دفع اليه اللواء ففتح قال الراوي فسمعت عبدالله ابن بريدة يقول حدثني ابي انه كان صاحب مرحب يعني عليا . وروى الطبري في

تاريخه قال حدثنا بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن ميمون ابي عبدالله بن بريدة حدث عن بريدة الاسلمي قال لما كان حين نزل رسول الله(ص) بحصن اهل خيبر اعطى رسول الله (ص) اللواء عمر بن الخطاب ونهض من نهض معه من الناس فلقوا أهل خيبر فانكشف عمر واصحابه فرجعوا الى رسول الله (ص) يجبنه اصحابه ويجبنهم فقال رسول الله (ص) لاعطين اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما كان من الغد تطاول لها ابو بكر وعمر فدعا عليا عليه السلام وهو ارمد فتفل في عينيه وأعطاه اللواء ونهض معه من الناس من نهض فلقي أهل خيبر فاذا مرحب يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

فاختلف هو وعلي ضربتين فضربه علي على هامته حتى عض السيف منها بأضراسه وسمع اهل العسكر صوت ضربته فما اتى آخر الناس مع علي عليه السلام حتى فتح الله لاولهم . وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن عبدالله بن بريدة الاسلمي ان رسول الله (ص) لما نزل بحضرة خيبر قال لاعطين اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما كان من الغد تطاول له جماعة من اصحابه فدعا عليا وهو ارمد فتفل في عينيه واعطاه اللواء ومعه الناس فلقوا أهل خيبر فاذا مرحب بين ايديهم يرتجز وهو يقول :

قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

فاختلف هو وعلي بضربتين فضربه علي على راسه حتى عض السيف بأضراسه وسمع أهل العسكر صوت ضربته فقتله فما اتى آخر الناس حتى فتح لاولهم .

ثم قال الطبري حدثنا ابو كريب حدثنا عبدالله بن بريدة عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربما اخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس وان ابابكر اخذ راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالا شديدا هو اشد من القتال الاول ثم رجع فأخبر بذلك رسول الله (ص) فقال اما والله لاعطينها غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة قال ولبس ثم علي عليه السلام فتطاولت لها قريش ورجا كل واحد منهم ان يكون صاحب ذلك فاصبح فجاء علي عليه السلام على بعير له حتى اناخ قريبا من خباء رسول الله (ص) وهو ارمد وقد عصب عينيه بشقة برد قطري فقال رسول الله (ص) مالك قال رمدت بعد فقال رسول الله (ص) ادن مني فدنا منه فتفل في عينيه فما

اشتكى وجعهما حتى مضى لسبيله ثم اعطاه الراية فنهض بها معه وعليه حلة ارجوان حمراء قد اخرج خملها فأتي مدينة خيبر وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر وبرد معصفر يمان وحجر قد ثقبه مثل البيضة على راسه وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر اني مرحب   شاكي السلاح بطل مجرب

فاختلفا ضربتين فبدره علي فضربه فقد الحجر والمغفر وراسه حتى وقع السيف في الاضراس واخذ المدينة . وفي السيرة الحلبية ان مرحبا كان راى تلك الليلة كأن اسدا افترسه فذكره ذلك علي بقوله :

انا الذي سمتني امي حيدره   ليث بغابات شديد قسوره

لان حيدرة من اسماء الاسد . وفي السيرة الحلبية : جاء ان مرحبا لما رأى أخاه قد قتل خرج سريعا من الحصن في سلاحه وقد كان لبس درعين وتقلد بسيفين واعتم بعمامتين ولبس فوقهما مغفرا وحجرا قد ثقبه قدر البيضة ومعه رمح لسانه ثلاثة أشبار وهو يرتجز بما مر فيروي ان عليا ضربه فتترس فوقع السيف على الترس فقده وشق المغفر والحجر الذي تحته والعمامتين وفلق هامته حتى اخذ السيف في الاضراس . وفي طبقات ابن سعد : اخبرنا عفان بن مسلم عن وهيب عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة قال رسول الله (ص) يوم خيبر لادفعن الراية الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح عليه قال عمر فما احببت الإمارة قبل يومئذ فتطاولت لها واستشرفت رجاء ان يدفعا الي فلما كان الغد دعا عليا فدفعها اليه فقال قاتل ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك فسار قريبا ثم نادى يا رسول الله علام اقاتل قال حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله . وفي السيرة الحلبية : زاد في رواية واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم تتصدق بها في سبيل الله (وروى) ابن سعد بسنده عن سلمة بن الاكوع ان عمه عامرا بارز مرحبا يوم خيبر فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فوقع السيف على ساق عامر فقطع اكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة ثم ان نبي الله ارسلني الى علي فقال لاعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فجئت به اقوده ارمد فبصق رسول الله (ص) في عينيه ثم اعطاه الراية فخرج مرحب يخطر بسيفه ويرتجز بما مر فقال علي عليه السلام وذكر الرجز السابق ثم قال : ففلق راس مرحب بالسيف وكان الفتح على يديه

(وفي السيرة الحلبية) ان محمود بن مسلمة حارب حتى اعياه الحرب فانحاز الى ظل الحصن فالقي عليه يهودي حجر الرحى ثم مات فقال رسول الله(ص) لاخيه محمد بن مسلمة لاعطين الراية الى رجل يحب الله ورسوله ويحبانه قال وفي لفظ قال (ص) لادفعن الراية الى رجل يحب الله ورسوله لا يولي الدبر يفتح الله عز وجل على يده فيمكنه الله من قاتل اخيك وعند ذلك لم يكن من الصحابة احد له منزلة عند النبي (ص) الا يرجو ان يعطاها فبعث (ص) الى علي وكان ارمد شديد الرمد وكان قد تخلف بالمدينة ثم لحق بالقوم فقيل له انه يشتكي عينيه فقال (ص) من يأتيني به فذهب اليه سلمة بن الاكوع واخذ بيده حتى اتى به النبي (ص) قد عصب عينيه فعقد له اللواء فقال له علي يا رسول الله اني ارمد كما ترى لا ابصر موضع قدمي فوضع راسه في حجرة وتفل في كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرئا حتى كان لم يكن بهما وجع قال علي فما اشتكيتهما حتى الساعة ثم قال اللهم اكفه الحر والبرد فكان يلبس في الحر الشديد القباء المحشو الثخين ويلبس في البرد الشديد الثوبين الخفيفين قال وعن حذيفة لما تهيا علي يوم خيبر للحملة قال له رسول الله (ص) يا علي والذي نفسي بيده ان معك من لا يخذلك هذا جبريل عليه السلام عن يمينك بيده سيف لو ضرب به الجبال لقطعها فاستبشر بالرضوان والجنة يا علي انك سيد العرب وانا سيد ولد آدم (وفي السيرة الحلبية ايضا) في رواية انه (ص) البسه درعه الحديد وشد ذا الفقار في وسطه واعطاه الراية ووجه الى الحصن وخرج اليه اهل الحصن وكان اول من خرج اليه منهم الحارث اخو مرحب وكان معروفا بالشجاعة فانشكف المسلمون وثبت علي فتضاربا فقتله علي وانهزم اليهود الى الحصن.
وروى ابن هشام عن ابن اسحق وروى الطبري عن ابن حميد عن سلمه عن محمد بن اسحق حدثني عبدالله بن الحسن عن بعض اهله عن ابي رافع مولى رسول الله (ص) قال خرجنا مع علي بن ابي طالب حين بعثه رسول الله (ص) برايته فلما دنا من الحصن خرج اليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطاح ترسه من يده فتناول عليّ بابا كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم القاه من يده حين فرغ فلقد رأيتني في نفر سبعة أنانا منهم نجهد على ان تقلب ذلك الباب فما تقلبه (وفي السيرة الحلبية) ثم القاه وراء ظهره ثمانين شبرا قال وفي رواية ان عليا لما انتهى الى باب الحصن اجتذب احد ابوابه فألقاه بالارض فاجتمع عليه بعده سبعون رجلا فكان جهدا ان اعادوه مكانه ثم حكى عن الامتناع انه ذكر جملة ممن خرج حديث باب خيبر من الحفاظ ردا على من قال انه لا أصل

له . وكان اليهود قد خندقوا على انفسهم كأنهم تعلموا ذلك من يوم الاحزاب فان الخنادق لم تكن معروفة عند العرب كما مر وكان اسم الحصن القموص وكان اعظم حصون خيبر وكان منيعا قال المفيد : لما قتل علي عليه السلام مرحبا رجع من كان معه واغلقوا باب الحصن عليهم دونه فسار علي عليه السلام الى الباب فعالجه حتى فتحه واكثر الناس من جانب الخندق فأخذ عليه السلام باب الحصن فجعله على الخندق جسرا لهم حتى عبروا فظفروا بالحصن ونالوا الغنائم فلما انصرفوا من الحصن اخذه عليه السلام بيمناه فدحى به اذرعا من الارض وكان الباب يغلقه عشرون رجلا منهم واستأذن حسان بن ثابت رسول الله (ص) ان يقول في ذلك شعرا فأذن له فأنشأ يقول :

وكان علي ارمد العين يبتغي ... دواء فلما لم يحس مداويا

وفي ذلك يقول الشاعر ايضا :

ان امرا حمل الرتاج بخيبر ... يوم اليهود بقدرة لمؤيد
حمل الرتاج رتاج باب قموصها ... والمسلمون واهل خيبر حشد
فرمى به ولقد تكلف رده ... سبعون شخصا كلهم متشدد
ردوه بعد تكلف ومشقة ... ومقال بعضهم لبعض اردوا

ولما قتل مرحب خرج اخوه ياسر وكان من مشاهير فرسان يهود وشجعانهم وهو يقول :

قد علمت خيبر اني ياسر ... شاكي السلاح بطل مغاور

فبرز اليه علي عليه السلام فقتله وقيل قتله الزبير . ولما فتح علي عليه السلام القموص حصن بن ابي الحقيق اسر صفية بنت حيي بن اخطب واخرى معها وارسلهما الى رسول الله (ص) مع بلال فمر بهما بلال على قتلى يهود فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها النبي (ص) قال اعزبوا عني هذه الشيطانة وامر بصفية فحيزت خلفه والقى عليها رداءه فعرفوا انه قد اصطفاها لنفسه وقال لبلال حين راى من تلك اليهودية ما راى انزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامراتين على قتلى رجالهما وكانت صفية رات في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق ان قمرا وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا الا انك تتمنين ملك الحجاز محمدا فلطم وجهها لطمة اخضرت عينها منها فلما اتى بها رسول الله (ص) سألها عن ذلك فأخبرته .

وفي السيرة الحلبية: قال بعضهم الاخبار متواترة بأن عليا هو الذي قتل مرحبا وبه جزم مسلم في صحيحه وقال ابن الاثير هو الصحيح الذي عليه اهل السير والحديث وفي الاستيعاب انه الصحيح الذي عليه اكثر اهل

السير والحديث وقال الحاكم في المستدرك ان الاخبار متواترة باسناد كثيرة ان قاتل مرحبا امير المؤمنين علي بن ابي طالب فلا يلتفت الى الخبر الشاذ الذي رواه محمد بن اسحق من ان قاتله محمد بن مسلمة والعجب من الدكتور محمد حسين هيكل المصري فانه لم يذكر في كتابه حياة محمد (ص) الا الخبر الشاذ الذي وضعه اعداء علي وحاسدوه بان مرحبا قتله محمد بن مسلمة واعرض عن الخبر المتواتر بأن قاتل مرحبا هو علي بن ابي طالب ولم يشر اليه اصلا مع حكم الحفاظ والنقاد من مؤرخي المسلمين ومحدثيهم بصحته وتواتره كما سمعت ومع ظهور الحال في ذلك ظهورا يجعله كالشمس الضاحية ولا عجب فانا رأينا هذا الرجل في كتابه هذا يغمط عليا حقه في كل موضع ما استطاع .

وقدم على النبي (ص) جعفر بن ابي طالب من الحبشة يوم فتح خيبر فقبل رسول الله (ص) بين عينيه والتزمه وقال ما ادري بأيهما انا اسر بفتح خيبر ام بقدوم جعفر .

ولما فتحت خيبر قال الحجاج بن علاط وكان قد اسلم يا رسول الله ان لي مالا بمكة متفرقا في تجار اهل مكة فائذن لي في الخروج لاجله ولا بد لي ان اقول ما لم يكن فاذن له قال فلقيني رجال من قريش ولم يكونوا علموا باسلامي فقالوا بلغنا ان القاطع سار الى خيبر وهي ريف الحجاز قلت عندي من الخبر ما يسركم هزم هزيمة لم يسمع بمثلها وقتل اصحابه واسر محمدا اسرا وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى اهل مكة فيقتلوه بين اظهرهم بما اصاب منهم فصرخوا وصاحوا بذلك في مكة فقلت اعينوني على جمع مالي بمكة فاني اريد ان أقدم خيبر فأصيب من فل محمد قبل ان يسبقني التجار فجمعوا لي ذلك كله وسمع بذلك العباس فسألني فقلت احفظ عني حديثي ثلاثا فاني اخشى الطلب قال افعل قلت فتح ابن اخيك خيبر واحرز ما فيها وتركته عروسا على ابنة ملكهم وقد اسلمت وما جئت الا لاخذ مالي فلما كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتطيب واخذ عصاه ثم خرج فطاف بالكعبة فلما رأوه قالوا يا ابا الفضل هذا والله التجلد قال كلا والذي حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وتزوج ابنة ملكهم واحرز اموالهم فأصبحت له ولاصحابه قالوا من اخبرك بهذا قال الذي اخبركم بما اخبركم ولقد جاء مسلما قالوا انفلت عدو الله ثم جاءهم الخبر بذلك .

وهذا يدل على ان قريشا كسرت شوكتهم بعد وقعة الخندق والا لم يجسر العباس على ذلك كما لم يجسر علي التخلف عنهم يوم بدر .

غزوة وادي القرى

في جمادي الآخرة سنة سبع قال ياقوت هو واد بين الشام والمدينة بين تيماء وخيبر من اعمال المدينة كثيرة القرى كانت قديما منازل ثمود وعاد . لما فرغ رسول الله (ص) من خيبر توجه الى وادي القرى واهله يهود فدعاهم الى الاسلام فامتنعوا وقاتلوه برز رجل منهم فقتله الزبير وآخر فقتله علي بن ابي طالب وآخر فقتله ابو دجانة وقاتلهم المسلمون الى المساء وقتل منهم احد عشر رجلا ففتحها رسول الله (ص) عنوة فترك الارض والنخيل في يد اهلها وعاملهم على نحو ما عامل عليه اهل خيبر .

عمرة القضاء

وكانت في ذي القعدة سنة سبع خرج (ص) في الشهر الذي صدوه فيه معتمرا مكان عمرته التي صدوه عنها ولذلك سميت عمرة القضاء ويقال عمرة القصاص وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه الا من مات أو قتل وخرج معهم غيرهم عمارا فكانوا الفين وحمل معه السلاح الدروع والبيض والرماح وقاد مائة فرس واحرم من ذي الحليفة هو واصحابه وساق ستين بدنة وقدم الخيل امامه عليها محمد بن مسلمة وعلى السلاح بشير بن سعد فانهم لم يلبسوه فقيل يا رسول الله حملت السلاح وقد شرطوا علينا ان لا ندخلها عليهم الا بسلاح المسافر السيوف في القرب فقال لا ندخل عليهم الحرم بالسلاح ولكن يكون قريبا منا فلما سمع به أهل مكة خرج عنه كبراؤهم الى رؤوس الجبال حتى لا يروه يطوف بالبيت وتحدثت قريش بينها ان محمدا واصحابه في عسرة وشدة وصفوا له عند دار الندوة لينظرو اليه والى أصحابه فقال (ص) رحم الله امرأ اراهم اليوم من نفسه قوة فطاف بالبيت وأتم عمرته واقام بمكة ثلاثا وكان عمه العباس قد زوجه ميمونة بنت الحارث اخت زوجته أم الفضل واصدقها عنه اربعمائة درهم فأرسلت اليه قريش في اليوم الثالث قد انقضى اجلك فاخرج عنا فقال وما عليكم أو تركتموني فاعرست بين اظهركم وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه قالوا لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا كأنه أراد أن يكذب ما بلغهم انه في عسرة وان يتألفهم فخرج واخذ معه عمارة بنت حمزة بن عبد المطلب وامها سلمى بنت عميس فكانت عمارة عند جعفر من أجل ان خالتها عنده أسماء بنت عميس ودخل المدينة في ذي الحجة فأنزل الله تعالى : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون » الآية .

غزوة فتح مكة

في شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة وهي التي توطد امر الاسلام بها وتمهد الدين بما من الله سبحانه على نبيه (ص) فيها وكان الوعد بها قد تقدم في قوله تعالى : اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا . وقوله عز وجل قبلها بمدة طويلة : لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون . وكانت الاعين اليها ممتدة والرقاب متطاولة وكان السبب فيها انه كان قد خرج في الجاهلية رجل تاجر يقال له مالك بن عباد من بني الحضرمي حليف لبني بكر بن عبد مناة بن كنانة فلما توسط ارض خزاعة عدوا عليه فقتلوه واخذوا ماله فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه فعدت خزاعة على ثلاثة من اشراف بني بكر فقتلوهم وذلك قبل الاسلام ثم حجز بينهم الاسلام وتشاغل الناس به فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله (ص) وقريش دخلت خزاعة في عقد رسول الله (ص) ودخلت بنو بكر في عقد قريش كما مر فاغتنمت بنو بكر الهدنة فكلم جماعة منهم اشراف قريش ان يعينوهم على خزاعة بالرجال والسلاح لياخذوا بثار الثلاثة الذين قتلتهم خزاعة من بني بكر فاجابوهم ووافوهم بالوتير ماء لخزاعة بأسفل مكة متنكرين متنقبين فيهم صفوان بن امية وحويطب بن عبد العزي وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو فاجتمعوا ليلاهم وبنو بكر وبيتوا خزاعة وهم على الوتير فقتلوا منهم عشرين رجلا وذلك في شعبان وندمت قريش على ما صنعت وعلموا ان هذا نقض للعهد الذي بينهم وبين رسول الله (ص) يوم الحديبية فخرج عمرو بن سالم الخزاعي ثم الكعبي في اربعين راكبا من خزاعة حتى قدم على رسول الله (ص) المدينة فوقف عليه وهو جالس في المسجد وانشأ يقول من أبيات :

لا هم اني ناشد محمدا حلف ابينا وابيك الاتلدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالوتير هجدا وقتلونا ركعا وسجدا

وكان بين خزاعة وعبد المطلب حلف قبل الاسلام وذلك قوله : حلف ابينا وابيك الاتلدا .

فقام (ص) يجر رداءه وهو يقول : لانصرت ان لم انصر خزاعة مما انصر منه نفسي . ثم خرج بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله (ص) المدينة فاخبروه بما اصيب منهم وبمظاهرة قريش عليهم ثم انصرفوا الى مكة وبعث قريش ابا سفيان ليجدد العقد ويزيد في المدة فلقي بديلا واصحابه في الطريق فقال له ابو سفيان من اين اقبلت وقد

ظن انه اتى النبي (ص) قال سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال ما اتيت محمدا قال لا فلما راح بديل عمد ابو سفيان الى مبرك ناقته ففت البعر فرأى فيه النوى فقال أحلف بالله لقد جاء بديل محمــدا وكان رسول الله (ص) قال الناس كأنكم بابي سفيان قد جاء ليشدد العقد ويزيد في المدة وجاء ابو سفيان المدينة فدخل على ابنته ام حبيبة زوجــة النبي (ص) فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله (ص) طوته عنه فقال يا بنية ما ادري ارغبت بي عنه ام رغبت به عني قالت بل هو فراش رسول سيفك والحقها وانتزع الكتاب منها وخل سبيلها ثم استدعى الزبير بن العوام فارسله معه فادركا المرأة فسبق اليها الزبير فسألها عن الكتاب فأنكرتــه وحلفت انه لا شيء معها وبكت فقال الزبير ما ارى يا ابا الحسن معها كتابا فارجع بنا الى رسول الله (ص) ببراءة ساحتها فقال له علي عليــه الســلام يخبرني رسول الله (ص) ان معها كتابا ويأمرني بأخذه منها وتقول انت انــه لا كتاب معها ثم اخترط السيف وتقدم اليها فقال اما والله لئن لم تخرجي الكتاب لاكشفنك ثم لا ضربن عنقك فقالت له فاعرض بوجهك عني فاعرض بوجهه عنها فكشفت قناعها واخرجت الكتاب من عقيصتها فأخذه علي عليه السلام وسار به الى رسول الله (ص) واختصر الدكتور هيكل هذه القصة اختصارا قلل من ميزة علي على الزبير فيها فقال انهما استنزلاها فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيئا فانذرها علي ان لم تخرج الكتاب ليكشفنهــا ولم يذكر سبق الزبير اليها ورجوعه وجواب علي له فأمر النبي (ص) ان ينادي الصلاة جامعة فاجتمع الناس حتى امتلأ بهم المسجد ثم صعد المنبر والكتاب بيده وقال ايها الناس اني كنت سألت الله ان يخفي اخبارنا عن قريش وان رجلا منكم كتب الى أهل مــكة يخبرهم بخبرنا فليقم صاحب الكتــاب والا فضحه الوحي فلم يقم أحد فأعاد مقالته ثانية فقام حاطب بن ابي بلتعة وهو يرعد كالسعفة في يوم الريح العاصف فقال انا يا رسول الله صاحب الكتاب وما أحدثت نفاقا بعد اسلامي ولا شكا بعد يقيني فقال له رسول الله (ص) فما الذي حملك على ذلك قال ان لي اهلا بمكة وليس لي بها عشيرة فأشفقت ان تكون الدائرة لهم علينا فيكون كتابي هذا كفا لهم عن أهلي ويدا لي عندهم ولم أفعل ذلك لشك مني في الدين فقال عمر يا رسول الله امرني بقتله فقد نافق فقال (ص) انه من أهل بدر ولعل الله اطلع عليهم فغفر لهم اخرجــوه مــن المسجد فجعل الناس يدفعون في ظهره حتى اخرجوه وهو يلتفت الى النبي (ص) فأمر برده وقال قد عفوت عنك فاستغفر ربك ولا تعد لمثل ما جئــت فأنزل الله تعالى فيه : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء

(الى قوله) واليك أنبنا » وبعث رسول الله (ص) الى من حوله من العرب فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق واستخلف على المدينة عبدالله بن أم مكتوم وقيل غيره وخرج (ص) يوم الاربعاء لعشر ليال خلون من شهر رمضان بعد العصر في عشرة آلاف من المهاجرين والانصار ومن انضم اليهم في الطريق من الاعراب وجهم اسلم وغفار ومزينة وجهينة واشجع وسليم فسبعت سليم والفت مزينة وكان المهاجرون سبعماية ومعهم ثلثماية فرس والانصار اربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس ومزينة الفا وثلاثة نفر الله (ص) وانت رجس مشرك قال لقد اصابك يا بنية بعدي شر ثم اتى رسول الله (ص) فقال اني كنت غائبا في صلح الحديبية فاشدد لنا العهود وامدد لنا في المدة قال هل كان فيكم من حدث قال معاذ الله فقال (ص) نحن على مدتنا وصلحنا فاعاد ابو سفيان القول فلم يردد عليه شيئا ثم قال لابي بكر ان يكلم له رسول الله (ص) فقال ما انا بفاعل ثم اتى عمر فكان اشد ثم دخل على علي بن ابي طالب وعنده فاطمة وعندها ابنها الحسن غلام يدب بين يديها فقال يا علي انك امس القوم بي رحما وقد جئت في حاجة فلا ارجعن كما جئت خائبا اشفع لنا عند محمد فقال لقد عزم رسول الله على امر ما نستطيع ان نكلمه فيه فقال لفاطمة يا بنت محمد هل لك ان تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر قالت ما بلغ بنبي ان يجير بين الناس وما يجير على رسول الله احد قال يا ابا الحسن اني ارى الامور قد اشتدت (انسدت) علي فانصحني قال ما اعلم شيئا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فأجر بين الناس ثم الحق بارضك قال او ترى ذلك مغنيا عني شيئا قال لا اظن ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام ابو سفيان في المسجد فقال ايها الناس اني قد اجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فسألته قريش ما وراءك قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد علي شيئا ثم جئت بن ابي قحافة فلم اجد عنده خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم ثم جئت علي بن طالب فوجدته الين القوم وقد اشار علي بشيء صنعته ما ادري يغنيني شيئا ام لا امرني ان اجير بين الناس قالوا فهل اجاز ذلك محمد قال لا قالوا ما زاد على ان لعب بك رواه الطبري في تاريخه . وتجهز رسول الله (ص) واخفى امره اولا وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها واخذ بالانقاب اي الطرق فاوقف بكل طريق جماعة ليعرف من عبر بها وقال لهم لا تدعوا احدا يمر بكم تنكرونه الا رددتموه ثم اخبر جماعة بمسيره إلى مكة وبقي الامر مكتوما عن الاكثر فمن قائل يريد مكة وقائل يريد هوزان وقائل يريد ثقيفا فكتب حاطب ابن ابي بلتعة وكان

من اهل مكة وقد شهد بدرا مع رسول الله (ص) الى قريش يخبرهم بذلك فيمكن ان يكون قد اطلع على جلية الامر ويمكن ان يكون ظن ظننا ودفع الكتاب الى مراةسوداء وردت المدينة تستميح بها الناس وجعل لها جعلا على ان توصله اليهم فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها وسارت على غير الطريق منزل الوحي على النبي (ص) بذلك فدعا عليا وقال له ان بعض اصحابي كتب الى اهل مكة يخبرهم بخبرنا وقد كنت سألت الله عز وجل ان يعمي أخبارنا عليهم والكتاب مع امراة سوداء قد اخذت على غير الطريق فخذ وفيها مائة فرس واسلم اربعمائة ومعها ثلاثون فرسا وجهينة ثمانمائة وقيل الف واربعمائة والباقي من سائر العرب تميم وقيس واسد وغيرهم فلما كان (ص) بقديد عقد الالوية والرايات ودفعها الى القبائل ثم نزل مر الظهران عشاء فأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار ولم يبلغ قريشا مسيره وهم مغتمون لما يخافون من غزوه اياهم فبعثوا ابا سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الاخبار فلما رأوا العسكر أفزعهم وكان العباس بن عبد المطلب قد هاجر الى المدينة في ذلك الوقت فلقي النبي (ص) بالسقيا وهو متوجه الى مكة فأرسل اهله وثقله الى المدينة ورجع مع النبي (ص) فلما نزل من الظهران قال العباس يا صباح قريش والله لئن بغتها رسول الله (ص) في بلادها فدخل مكة عنوة انه لهلاك قريش آخر الدهر فجلس على بغلة رسول الله (ص) البيضاء وقال اخرج الى الاراك لعلي ارى حطابا أو داخلا يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله فيأتونه فيستأمنونه قال فخرجت فسمعت صوت ابي سفيان فقلت أبا حنظلة فقال ابو الفضل قلت نعم قال لبيك فداك ابي وأمي ما وراءك قلت هذا رسول الله قد دلف اليكم بعشرة آلاف من المسلمين قال فما تأمرني قلت تركب عجز هذه البغلة فاستأمن لك رسول الله (ص) والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فردفني فخرجت به اركض فكلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا عم رسول الله حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال ابو سفيان الحمد لله الذي امكن منك بغير عقد ولا عهد ثم اشتد نحو النبي (ص) وركضت البغلة فسبقته فدخل على رسول الله (ص) وقال هذا ابو سفيان عدو الله قد امكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني أضرب عنقه فقلت يا رسول الله قد اجرته ثم جلست الى رسول الله (ص) فاخذت برأسه فقلت والله لا يناجيه اليوم أحد دوني فقال رسول الله (ص) اذهب فقد امناه حتى تغدو به علي وهذا غاية الحلم وكرم الخلق فلما أصبح غدا به على رسول الله (ص) فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم ان لا اله الا الله فقال بأبي أنت وأمي ما أوصلك

واحلمك واكرمك والله لقد ظننت ان لو كان مع الله غيره لقد اغنى عني شيئا فقال الم يأن لك أن تعلم اني رسول الله قال أما هذه ففي النفس منها شيء قال العباس فقلت له ويلك تشهد شهادة الحق قبل والله ان تضرب عنقك فتشهد فقال رسول الله (ص) انصرف فاحبسه عند خطم الجبل بمضيق الوادي حتى تمر عليه جنود الله فقلت يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا يكون في قومه قال من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن اغلق عليه بابه فهو آمن فخرجت حتى حبسته عند خطم الجبل بمضيق الوادي فمرت عليه القبائل فيقول من هؤلاء يا عباس فأقول سليم فيقول مالي ولسليم فتمر به قبيلة فيقول من هؤلاء فأقول اسلم فيقول مالي ولأسلم وتمر جهينة فيقول مالي ولجهينة حتى مر رسول الله (ص) في كتيبته الخضراء من المهاجرين والانصار في الحديد لا يرى منهم الا الحدق فقال من هؤلاء يا ابا الفضل فقلت هذا رسول الله (ص) في المهاجرين والانصار فقال يا ابا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما فقلت ويحك انها النبوة فقال نعم اذا فقلت الحق الآن بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى اتى مكة فصرخ في المسجد يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به قالوا فمه قال من دخل داري فهو آمن قالوا وما تغني عنا دارك قال ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فقامت اليه زوجته هند بنت عتبة أم معاوية فأخذت بلحيته ونادت يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الاحمق هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم وبلادكم فقال لها ويحك اسلمي وادخلي بيتك وقال لا تغرنكم هذه من انفسكم فقد جاءكم ما لا قبل لكم به وكان ممن لقيه (ص) في الطريق ابن عمه واخوه من الرضاعة ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب اسمه كنيته وقيل اسمه المغيرة وابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب عبدالله بن ابي امية المخزومي اخو ام سلمة لابيها فاستأذنا عليه فاعرض عنهما فقالت أم سلمة يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك فقال لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي وكان يهجو رسول الله (ص) واما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال يعني قوله له والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما الى السماء فتعرج فيه وانا انظر ثم تأتي بصك واربعة من الملائكة يشهدون ان الله ارسلك فقالت له ام سلمة لا يكن ابن عمك وابن عمتك اشقى الناس بك فقال ابو سفيان والله ليأذنن لي او لآخذن بيد ابني هذا ثم لنذهبن في الارض حتى نموت عطشا وجوعا فوق لهما النبي (ص) فدخلا عليه واسلما وقال علي عليه السلام لابي سفيان ائت من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف تالله لقد آثرك الله علينا فقال له

(ص) لا تثريب عليكم اليوم الآية وقال ابو سفيان معتذرا مما كان منه .

وأمر رسول الله (ص) الزبير ان يدخل مكة من اعلاها فيغرز رايته بالحجون وأمر خالد بن الوليد ان يدخل من اسفل مكة ونهى عن القتال الا لمن قاتلهم ودخل هو (ص) من اعلى مكة وكانت الراية مع سعد بن عبادة .

وكان صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو قد جمعوا ناسا بالخندمة وهو جبل بمكة ليقاتلوا وكان حماس بن قيس من بني بكر يعد سلاحا قبل ان يدخل رسول الله (ص) مكة ويصلح منها فقالت له امراته لماذا تعد ما ارى قال لمحمد واصحابه قالت والله ما أراه يقوم لمحمد واصحابه شيء قال والله اني لارجو ان اخدمك بعضهم فاقبل خالد بن الوليد من ناحية الخندمة فمنعوه من الدخول وناوشوه القتال وقاتلهم فانهزموا وكان حماس معهم فخرج منهزما حتى دخل بيته ثم قال لامراته اغلقي علي بابي قالت فاين ما كنت تقول اين الخادم فقال :

انك لو شهدت يوم الخندمه   اذفر صفوان وفر عكرمه

ودخل رسول الله (ص) مكة من ناحية كداء على ناقته القصواء بكرة يوم الجمعة واضعا رأسه الشريف على الرحل تواضعا لله تعالى ثم قال اللهم ان العيش عيش الآخرة فقيل له يا رسول الله الا تنزل دارك فقال وهل أبقى عقيل لنا دارا ثم ضربت له قبة في الابطح فنزل فيها ومعه زوجتاه ام سلمة وميمونة وامر بقتل جماعة ولو كانوا تحت استار الكعبة قيل ستة رجال واربع نساء وقيل احد عشر رجلا فمن الرجال عبدالله بن ابي سرح كان قد اسلم فارتد مشركا ففر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه ثم أتى به رسول الله (ص) فاستأمن له فصمت (ص) طويلا ثم قال نعم فلما انصرف به قال (ص) لقد صمت ليقوم اليه بعضكم فيقتله فقال انصاري هلا اومات الي قال النبي لا يقتل بالاشارة . وعبدالله بن خطل كان قد أسلم فبعثه رسول الله (ص) مصدقا وكان معه مولى مسلم يخدمه فأمر المولى ان يذبح له تيسا ويصنع له طعاما فاستيقظ ولم يصنع له شيئا فعدا عليه فقتله وارتد مشركا وكان شاعرا يهجو رسول الله (ص) قتله سعيد بن حريث المخزومي وابو برزة الاسلمي اشتركا في دمه . والحويرث بن نقيد كان يؤذيه بمكة قتله علي بن ابي طالب . ومقيس بن صبابة كان له اخ يسمى هشام قتله رجل من الانصار خطأ في غزوة ذي قرد وهو يظنه من العدو فاعطاه النبي (ص) ديته ثم عدا على قاتل اخيه فقتله ورجع الى قريش مرتدا قتله نميلة بن عبدالله رجل من قومه . وعكرمة بن ابي جهل فهرب الى اليمن واسلمت امراته ام حكيم بنت عمة الحارث بن هشام فاستأمنت له رسول الله (ص) فآمنه فخرجت في

طلبه حتى اتت به رسول الله (ص) فأسلم . ووحشي قاتل حمزة استؤمن له فآمنه وقال لا تريني وجهك فمات بحمص وكان لا يزال سكران . وكعب بن زهير بن ابي سلمى كان يهجو رسول الله (ص) هرب فاستؤمن له فآمنه فمدحه ببانت سعاد القصيدة المشهورة . وهبار بن الاسود الذي روع زينب بنت رسول الله (ص) . والحارث بن هشام اخو ابي جهل لابويه . وزهير بن امية . وصفوان بن امية وهؤلاء اسلموا فعفا عنهم (ومن النساء) هند بنت عتبة اسلمت وبايعت وقينتان لعبدالله بن خطل فرتنا وقريبة كانتا تغنيان بهجاء رسول الله (ص) الذي يصنعه لهما فقتلت قريبة وهربت فرتنـــا فاستؤمن لها رسول الله (ص) فآمنها فعاشت الى خلافة عثمـــان . وسارة مولاة عمرو بن هاشم بن عبد المطلب قتلت يومئذ وقيل استؤمن لها رسول الله (ص) فوطأها رجل فرسه في خلافة عمر بالابطح فقتلها . واقبل (ص) الى الكعبة فاستلم الحجر الاسود وطاف بالبيت على راحلته وعلى الكعبـــة (وفي رواية) حولها ثلثمائة وستون صنما لكل حي من احياء العـــرب صنم فعجل كلما يمر بصنم منها يشير اليه بقضيب في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فما اشار لصنم من ناحية وجهه الا وقع لقفاه ولا اشار لقفاه الا وقع لوجهه من غير ان يمسه حتى مر عليهـــا كلهـــا وكان اعظمها هبل وهو تجاه الكعبة وفي رواية انه جعل يطعن في عينه بقوس في يده ويقرأ هذه الآية ثم امر به فكسر وكان المقام لاصقا بالكعبة فصلى خلفـــه ركعتين ثم امر به فوضع في مكانه ثم جلس ناحية من المسجد وارسل بلالا الى عثمان بن طلحة ان يأتي بمفتاح الكعبة فجاء به وفي رواية انه صعد به الى سطح الكعبة وامتنع من دفعه فصعد اليه علي بن ابي طالب ولوى يـــده واخذه منه ففتح رسول الله (ص) باب الكعبة وصلى فيها ركعتين وخـــرج فأخذ بعضادتي الباب والمفتاح معه فخطب الناس فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا كل مأثرة او دم او مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين الاسدانة البيت وسقاية الحاج ثم قال يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم وآدم خلق من تراب ثم تلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم الآية . يا معشر قريش ويا أهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا اخ كريم وابن اخ كريم ثم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء فاعتقهم وقد كان امكنه الله من رقابهم عنوة فبذلك سموا الطلقاء ثم دعا بعثمان بن طلحة فرد اليه مفتاح الكعبة وقال خذوها يا بني ابي طلحة تالدة خالدة لا ينزعها منكم الا ظالم وانتقلت سدانة الكعبة بعد

عثمان الى اخيه شيبة ثم توارثها اولاده الى اليوم وصاروا يعرفـــون ببني شيبة وهم من نسل طلحة بن ابي طلحة العبدري صاحب الراية يوم احـد الذي قتله امير المؤمنين علي عليه السلام ودفع السقاية الى العباس بن عبد المطلب وكانت لابيه عبد المطلب ثم قام بها بعد العباس ابنه عبدالله وهـي احواض من جلد يوضع فيها الماء العذب لسقاية الحاج ويطرح فيها التمر والزبيب في بعض الاوقات وحانت صلاة الظهر فأذن بلال فوق ظهر الكعبة وبث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم السرايا الى الاصنام التـي حول مكة فكسرها ونادى مناديه من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يـدع في بيته صنما الا كسره واتى الصفا يدعو الله تعالى ويذكره فقال الانصـار فيما بينهم اترون ان رسول الله اذ فتح الله ارضه وبلده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم . وجلس رسول الله (ص) على الصفا وقيل في المسجد يبايع الناس الرجال والنساء فيبايـــع الرجال على الاسلام شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وعلى السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ودخل الناس في ديـن اللـه افواجا وجاءه فاخذته الرعدة فقال هون عليك فاني لست بملك انما انا بن امراة من قريش كانت تأكل القديد . ولما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء فكانت بيعته لهن على نحوين كان يوضع بين يديه اناء فيه ماء فاذا اخذ عليهن واعطينه غمس يده في الاناء ثم اخرجها فغمس النساء ايديهن فيه وبعـد ذلك كان يبايعهن بالكلام وحده فهذا مما ساوى فيه الاسلام بين الرجـال والنساء في الامور العامة المهمة وهي البيعة فقرا عليهن ما انزل الله مـــن شروط البيعة عليهن وقيل وضع على يده ثوبا فبايعهن على ان لا يشركـــن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف (لا يقتلن اولادهن) بواد ولا اسقاط (ولا يأتين ببهتان يفترينه) بكذب يكذبنه في مولود (بين ايديهـن وارجلهن) فلا يلحقن بازواجهن غير اولادهم عن ابن عبـاس وكانت المـراة تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فذلك البهتان المفتـري بـين ايديهن وارجلهن وذلك ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليهـا وليس المعنى على نهيهن ان يأتين بولد من الزنا فينسبنـــه الى ازواج لان الشرط ينهي الزنا قد تقدم (ولا يعصينك في معروف) وهو جميع ما يأمرهن به لانه لا يامر الا بمعروف وقيل النهي عن النوح وتمزيق الثياب وجـز الشعور وشق الجيوب وخمش الوجوه والدعاء بالويل . وكان في النساء هند بنت عتبة متنقبة متنكرة لخوفها فلما قال علي ان لا يشركن بالله شيئا

قالت هند والله انك لتاخذ علينا امرا ما تأخذه على الرجال وسنؤتيكه فلما قال ولا يسرقن قالت ان ابا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي الا ما اخذت منه وهو لا يعلم فقال وانك لهند قالت انا هند فاعف عما سلف عفا الله عنك وقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فلما قال ولا يزنين قالت أو تزني الحرة فتبسم بعض من حضر لما كان بينه وبينها في الجاهلية فلما قال ولا يقتلن اولادهن قالت ربيناهم صغارا وقتلتهم يوم بدر كبارا فلما قال ولا يأتين ببهتان الخ قالت ان اتيان البهتان لقبيح فلما قال ولا يعصينك في معروف قالت ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد ان نعصيك في معروف . ولما كان الغد من يوم الفتح خطب رسول الله (ص) بعد الظهر فقال : ان الله قد حرم مكة يوم خلق السماوات والارض فهي حرام الى يوم القيامة ولم تحل لي الا ساعة من نهار ثم رجعت كحرمتها بالامس فليبلغ شاهدكم غائبكم ولا يحل لنا من غنائمها شيء . وهرب صفوان بن امية الى جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب يا نبي الله ان صفوان بـن امية سيد قومه وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه بالبحر فآمنه صلى الله عليك قال هو آمن قال اعطني شيئا يعرف به امانك فأعطاه عمامته التي دخل بها مكة فخرج بها فقال يا صفوان فداك ابي وامي اذكرك الله في نفسك ان تهلكها فهذا امان من رسول الله (ص) قال ويلك اغرب عني لا تكلمني قال اي صفوان فداك ابي وامي افضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمتك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال اني اخافه على نفسي قال هو احلم من ذلك واكرم فرجع به فقال صفوان لرسول الله (ص) ان هذا زعم انك لا آمنتني قال صدق قال فاجعلني في أمري بالخيار شهرين قال انت فيه بالخيار اربعة اشهر . وهذا منه (ص) نهاية الحلم وكرم الاخلاق وحسن السياسة ومن عمير الغاية في حسن الوساطة . قال المفيد : وبلغ عليا عليه السلام ان اخته ام هانيء قد آوت أناسا من بني مخزوم اقرباء زوجها منهم الحارث بن هشام وقيس بن السائب فقصد نحو دارها مقنعا بالحديد فقال اخرجوا من آويتم فجعلوا يذرقون كما تذرق الحباري خوفا منه فخرجت اليه ام هانيء وهي لا تعرفه فقالت يا عبدالله انا ام هانيء ابنة عم رسول الله (ص) واخت علي بن ابي طالب انصرف عن داري فقال اخرجوهم فقالت والله لاشكونك الى رسول الله فنزع المغفر عن راسه فعرفته فجاءت تشتد حتى التزمته وقالت فديتك حلفت لاشكونك الى رسول الله فقال لها اذهبي فبري قسمك فانه بأعلى الوادي قالت فجئت اليه وهو في قبة يغتسل وفاطمة تستره فلما سمع كلامي قال مرحبا بك يا ام هانيء واهلا قلت بأبي انت

وامي اشكو اليك اليوم ما لقيت من علي بن ابي طالب فقال قد اجرت من اجرت فقالت فاطمة انما جئت يا ام هانيء تشكين علياً في انه اخاف اعداء الله واعداء رسوله فقال رسول الله (ص) لقد شكر الله لعلي سعيه واجرت من اجارت ام هانيء لمكانها من علي واسلمت ام هانيء وهرب زوجها هبيرة بن ابي وهب المخزومي الى نجران . وكان فتح مكة يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان . وروى ابن سعد في الطبقات ان رسول الله (ص) اقام بمكة لما افتتحها خمس عشرة ليلة يصلي ركعتين ركعتين اي يقصر الصلاة لانه لم ينو الاقامة وروى الطبري بسنده قال اقام رسول الله (ص) بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة . قال بن سعد استعمل رسول الله (ص) على سوق مكة حين افتتحها سعيد بن سعيد بن العاص بن امية فلما اراد الخروج الى الطائف استخلف على مكة هبيرة بن شبل الثقفي فلما رجع من الطائف واراد الخروج الى المدينة استعمل عتاب بن اسيد على مكة وعلى الحج وقال غيره انه استعمله على الصلاة وجعل له كل يوم درهما وعمره احدى وعشرون سنة ومعاذ بن جبل يعلمهم السنن والفقه .

غزوة حنين

وهي غزوة هوازن في شوال سنة ثمان من الهجرة وحنين واد بينه وبين مكة ثلاث ليال الى جانب ذي المجاز قريب من الطائف . وسببها انه لما فتح الله تعالى على رسوله مكة اطاعته قبائل العرب الا هوازن وثقيفا فانهم كانوا طغاة عتاة مردة فلما سمعت هوازن بفتح مكة على رسول الله (ص) جمعها رئيسها مالك بن عوف النصري وهو ابن ثلاثين سنة فاجتمع اليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت نصر وجشم كلها وكانوا اجتمعوا حين بلغهم خروجه (ص) من المدينة فظنوا انه انما يريدهم فلما بلغهم انه اتى مكة عمدوا لحربه بعد مقامه بمكة نصف شهر فجاؤوا حتى نزلوا بحنين وكانوا ثلاثين الفا كما في السيرة النبوية لدحلان وحط مالك معهم النساء والصبيان والاموال وفي ثقيف رئيسان لهم قارب بن الاسود وذو الخمار سبيع بن الحارث وفي جشم دريد بن الصمة شيخ كبير اعمى المكثر يقول بلغ المائتين والمقل المائة والعشرين ليس فيه شيء الا التيمن برايه ومعرفته بالحرب وتجربته وجماع امر الناس الى مالك بن عوف ودريد في شجار اي هودج له يقاد به فلما نزل باوطاس وهو مكان بقرب حنين قال دريد بأي واد انتم قالوا باوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا سهل دهس ما لي اسمع رغاء البعير ونهيق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاة وخوار البقر قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس اموالهم ونساءهم وابناءهم وكان توافق معه ان لا يخالفه فان

دريدا قال له إنك تقاتل رجلا كريما قد اوطأ العرب وخافته العجم واجلى يهود الحجاز فقال له لم فعلت هذا قال أردت ان أجعل خلف كل رجل اهله وماله ليقاتل عنهم فانقض به وقال راعي ضأن والله ما له وللحرب هل يرد المنهزم شيء ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت في اهلك ومالك ثم قال ما فعلت كعب وكلاب قالوا لم يشهدها منهم احد قال غاب الحد والجد لو كان يوم علاء ورفعة ما غابا ولوددت انكم فعلتم ما فعلا فمن شهدها منكم قالوا عمرو بن عامر وعوف بن عامر فقال ذانك الجذعان من بني عامر لا ينفعان ولا يضران يا مالك انك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن الى نحور الخيل شيئا ارفعهم الى متمنع بلادهم وعليا قومهم ثم الق الصباة على متون الخيل فان كانت لك لحق بك من وراءك وان كانت عليك الفاك ذلك وقد احرزت اهلك ومالك قال لا والله لا افعل ذلك انك قد كبرت وكبر علمك والله لتطيعني يا معشر هوازن او لاتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري وكره ان يكون لدريد بن الصمة فيها ذكر او راي قالوا اطعناك فقال دريد هذا يوم لم اشهده ولم يفتني .

يا ليتني فيها جذع اخب فيها واضع
اقود وطفاء الزمع كأنها شاة صدع

وبلغ رسول الله (ص) ما اجمعت عليه هوازن من حربه فتهيأ للقائهم وذكر له ان عند صفوان بن امية ادراعا وسلاحا فقال له يا ابا امية وهو يومئذ مشرك لانه كان استمهله شهرين كما مر : اعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا غدا فقال صفوان اغصبا يا محمد قال بل عارية مضمونة حتى نؤديها اليك قال ليس بهذا بأس فاعطاه مائة درع بما يصلحها من السلاح وساله ان يكفيه حملها ففعل . وكناه في خطابه تألفا له وحسن سياسة وخروج رسول الله (ص) الى حنين يوم السبت لثلاث خلوان من شوال ومعه اثنا عشر الفا عشرة الاف من اصحابه الذين فتح بهم مكة والفان من مسلمة الفتح قال بن سعد وغيره فقال ابو بكر لا نغلب اليوم قلة وخرج معه كثير من المشركين قيل كانوا ثمانين منهم صفوان بن امية وسهيل بن عمرو لانه كان استمهله شهرين كما مر واستعمل على مكة عتاب بن أسيد ووصل الى حنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال فبعث مالك بن عوف ثلاثة نفر من رجاله عيونا لينظروا اصحاب النبي (ص) فعادوا اليه وقد تقطعت أوصالهم من الخوف فقال ويلكم ما شأنكم قالوا رأينا رجالا بيضا على خيل بلق فوالله ما تماسكنا ان اصابنا ما ترى فما رده ذلك عن وجهه ومضى على ما يريد ووجه رسول الله (ص) عبد الله بن ابي حدود الاسلمي

فدخل عسكرهم فطاف به وجاءه بخبرهم قال الحارث بن مالك خرجنا مع رسول الله (ص) الى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية وكانت لقريش ومن سواهم سدرة عظيمة خضراء تسمى ذات انواط يأتونها كل سنة فيعلقون اسلحتهم عليها ويذبحون عندها فلما رأيناها تنادينا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط قال الله اكبر قلتم كما قال قوم موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون انها السّنن لتركبن سنن من كان قبلكم فلما كان من الليل عمد مالك بن عوف الى اصحابه فعبأهم في وادي حنين وكمنوا في شعاب الوادي باشارة دريد بن الصمة فانه قال لمالك اجعل لك كمينا ان حمل عليك القوم جاءهم الكمين من خلفهم وكررت انت بمن معك وان كانت الحملة لم يفلت من القوم احد وقال لهم اذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا رجل واحد . وعبأ رسول الله (ص) اصحابه في السحر وصفهم صفوفا ووضع الالوية والرايات في اهلها مع المهاجرين لواء يحمله علي بن ابي طالب وراية يحملها سعد بن ابي وقاص ومع الانصار لواء للاوس مع اسيد بن حضير ولواء للخزرج مع سعد بن عبادة ومع قبائل العرب الوية ورايات وانحدر رسول الله (ص) في وادي حنين على تعبئة وركب بغلته البيضاء دلدل ولبس درعين والمغفر والبيضة . قال جابر بن عبد الله الانصاري لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في واد من اودية تهامة اجوف خطوط انما ننحدر فيه انحدارا وذلك في عماية الصبح وكان القوم قد سبقونا اليه فكمنوا لنا في شعابه واحنائه ومضايقه فما راعنا ونحن منحطون الا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد وانهزم الناس فانشمروا لا يلوي احدا على احد وانحاز رسول الله (ص) ذات اليمين ثم قال ايها الناس هلموا اليّ انا رسول الله انا محمد بن عبد الله فلا يأتيه احد . قال بن قتيبة في المعارف وكان الذين ثبتوا مع رسول الله (ص) يوم حنين بعد هزيمة الناس علي بن ابي طالب والعباس بن عبد المطلب آخذ بحكمة بغلته وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابنه والفضل بن العباس بن عبد المطلب وايمن بن عبيد وهو ابن ام ايمن مولاة رسول الله (ص) وحاضنته وقتل يومئذ وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب واسامة بن زيد بن حارثة .

وقال العباس بن عبد المطلب :

نصرنا رسول الله في الحرب سبعة ... وقد فر من قد فر منهم واقشعوا
وثامننا لاقى الحمام بسيفه ... بما مسه في الله لا يتوجع

يعني ايمن بن عبيد (وقال المفيد) لم يبق مع النبي (ص) الا عشرة نفر

تسعة من بني هاشم خاصة والعاشر ايمن بن ام ايمن فقتل ايمن وثبتت التسعة الهاشميون حتى ثاب الى رسول الله (ص) من كان انهزم فرجعوا اولا فأولا حتى تلاحقوا وكانت لهم الكرة على المشركين وفي ذلك انزل الله تعالى قوله : «ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها» قال المفيد يعني بالمؤمنين عليا ومن ثبت معه من بني هاشم او عامة المؤمنين الذين رجعوا بعد الهزيمة وكان رجوعهم بثباته عليه السلام ومن معه ومحاماته عن النبي (ص) وحفظه من القتل (قال) وهم ثمانية علي عليه السلام تاسعهم يضرب بين يديه بالسيف والعباس بن عبد المطلب عن يمين رسول الله (ص) والفضل بن العباس عن يساره وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ممسك بسرجه عند نفور بغلته والباقون حوله ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب وعتبة ومعتب ابنا ابي لهب (قال) وقد فرت الكافة مدبرين سوى من ذكرناه قال ابن هشام اسم ابي سفيان بن الحارث : المغيرة وعد فيهم ابنا لابي سفيان اسمه جعفر قال وبعض الناس يعد فيهم قثم بن العباس ولا يعد بن ابي سفيان . وفي السيرة الحلبية : وقد وصلت الهزيمة الى مكة وسر بذلك قوم من مكة واظهروا الشماتة وقال قائل منهم ترجع العرب الى دين آبائها . وفيها ايضا في رواية لما فر الناس يوم حنين عن النبي (ص) لم يبق معه الا اربعة ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم علي بن ابي طالب والعباس وهما بين يديه وابو سفيان بن الحارث اخذ بالعنان وبن مسعود من جانبه الايسر ولا يقبل احد من المشركين جهته (ص) الا قتل وما في بعض الكتب من انه ثبت معه بعض من لم يؤثر عنه شجاعة ولا ثبات في الحرب لعله من دس الدساسين وقال النبي (ص) للعباس وكان صيتا جهوري الصوت ناد القوم وذكّرهم العهد فنادى بأعلى صوته يا اهل بيعة الشجرة يا أصحاب سورة البقرة الى اين تفرون اذكروا العهد الذي عاهدتم عليه رسول الله (ص) والقوم على وجوههم قد ولوا مدبرين وكانت ليلة ظلماء ورسول الله (ص) في الوادي والمشركون قد خرجوا عليه من شعاب الوادي وجنباته ومضايقة مصلتين سيوفهم وعمدهم وقسيهم فنظر رسول الله (ص) الى الناس ببعض وجهه في الظلماء كأنه القمر في ليلة بدر ثم نادى المسلمين اينما عاهدتم الله عليه فاسمع أولهم وآخرهم فلم يسمعها رجل الا رمى بنفسه الى الارض فانحدروا الى حيث كانوا من الوادي حتى لحقوا بالعدو فقاتلوه . قال الطبري : لما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول

الله (ص) من جفاة اهل مكة الهزيمة تكلم رجال منهم بما في انفسهم من الضغن فقال ابو سفيان بن حرب لا تنتهي هزيمتهم دون البحر والأزلام معه في كنانته وقال رجل الا بطل السحر اليوم الى غير ذلك . قال المفيد وفي ثبات من ثبت مع النبي (ص) يقول مالك بن عبادة الغافقي :

لم يواس النبي غير بني ها   شم عند السيوف يوم حنين

وقال العباس بن عبد المطلب في هذا المقام ومر له بيتان منها برواية اخرى :

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة   وقد فر من قد فر عنه فاقشعوا

وقولي اذا ما الفضل شد بسيفه   على القوم اخرى يا بني ليرجعوا

وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه   لما ناله في الله لا يتوجع

يعني به ايمن بن أم ايمن قال المفيد في الارشاد واقبل رجل من هوازن على جمل له احمر بيده راية سوداء في راس رمح طويل امام القوم اذا ادرك ظفرا من المسلمين اكب عليهم واذا فاته الناس رفعه لمن وراءه من المشركين فاتبعوه وهو يرتجز ويقول :

انا ابو جرول لا براح   حتى نبيح القوم او نباح

فصمد له علي عليه السلام فضرب عجز بعيره فصرعه ثم ضربه فقطره ثم قال :

قد علم القوم لدى الصباح   اني في الهيجاء ذو نطاح

فكانت هزيمة المشركين بقتل ابي جرول ثم التأم الناس وصفوا للعدو فقال رسول الله (ص) اللهم انك اذقت اول قريش نكالا فاذق آخرها ذلك وتجالد المسلمون والمشركون فلما رآهم النبي (ص) قام في ركابي السرج حتى اشرف على جماعتهم ثم قال : الان حمي الوطيس :

انا النبي لا كذب   انا ابن عبد المطلب

فما كان بأسرع من ان ولى القوم أدبارهم وجيء بالأسارى الى رسول الله (ص) مكتفين ولما قتل علي عليه السلام ابا جرول وخذل القوم بقتله وضع المسلمون سيوفهم فيهم وعلي عليه السلام يقدمهم حتى قتل اربعين رجلا من القوم ثم كانت الهزيمة والاسر حينئذ وما زال المسلمون يقتلون ويأسرون منهم حتى ارتفع النهار . وأدرك ربيعة بن رفيع ودريد بن الصمة فأخذ بخطام جمله وهو يظنه امرأة لانه كان في هودج فاذا شيخ كبير اعمى ولا يعرفه الغلام فقال له دريد ما تريد قال اقتلك قال ومن انت قال انا ربيعة بن رفيع السلمي ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئا فقال له بئس ما سلحتك امك خذ سيفي هذا من مؤخرة الرجل ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض

عن الدماغ فاني كذلك كنت اضرب الرجال واذا اتيت أمك فاخبرهـا انـك قتلت دريد بن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك فلما رجع ربيعة الـى امه اخبرها بقتله اياه فقالت والله لقد اعتق أمهات لك ثلاثا (امه وجدتيه) وقيل ان دريدا قتل يوم اوطاس .

قال ابن اسحق ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك ابن عوف وعسكر بعضهم باوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة .

ثم جمعت الى رسول الله (ص) سبايا حنين واموالها فأمر رسول الله (ص) بالسبايا والاموال الى الجعرانة فحبست بها واخر قسمتها حتى رجع من حصار الطائف .

ومضى الدكتور محمد حسين هيكل المصري في كتابه حياة محمد (ص) على عادته في غمط حق علي بن ابي طالب لما لا يعلمه الا الله فلم يورد له في هذه الغزاة اسما فضلا عن ان يسند اليه جهادا أو عملا فلم يذكر ان لـواء المهاجرين كان معه واقتصر على قوله يتقدم كل قبيلة علمها ولم يذكر اسمه في الذين ثبتوا مع النبي (ص) حين انهزم الناس واقتصر على قولـه وثبت محمد مكانه واحاط به جماعة من المهاجرين والانصار واهل بيته . مع انك قد عرفت انه لم يكن مع أهل بيته الا ايمن وبعضهم قال اسامة وبعضهم قال بن مسعود وما روي غير ذلك لا أصل له ومع ذلك فقد ذكرهم اخـيرا ولم يذكر اسم علي الذي كان يضرب بالسيف بين يدي النبي (ص) وهل يمكن ان لا يكون كذلك لو لم ترد به رواية اليس هذا غمطا لحقه ثم لما ذكر خبر ابي جرول لم يزد على قوله انحدرت هوازن من مكانها يتقدمها رجل على جمل له احمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل وهو كلما ادرك المسلمين طعـن برمحه . ولم يذكر قتل علي له واتباعة المشركين ولا ذكر قتل علي اربعين من المشركين ولا تعرض لشيء من ذلك اصلا . ومما لا يكاد ينقضي منه العجب قوله في ذكر هذه الغزوة : وثارت بمحمد حميته فأراد ان يندفع ببغلتـه البيضاء في صدر هذا السيل الدافق من رجال العدو وليكن بعد ذلك أمر الله لكن أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أمسك بخطام بغلته وحال دون تقدمها فقد نسب الى النبي (ص) التهور وعدم التعقل ــ وحاشاه ــ بارادة الاندفاع ببغلته وليس معه الا تسعة نفر أو اربعة على ثلاثين الفا من هوازن وان أبا سفيان بن الحارث كان أكثر منه تعقلا ونظرا في العواقب فأمسك بخطام البغلة وحال دون تقدمها . مع انك قد عرفت انـه امسك بسرجهـا عند نفورهـا .

غزوة اوطاس والطائف

وروى الطبري ان رسول اللــــه (ص) سار يـــوم حنين من فـــوره ذلك حتى نزل الطائف فاقام نصف شهر يقاتلهم وأصحابه وقاتلهم ثقيف من وراء الحصن لم يخرج اليه في ذلك احد منهم واسلم من حولهم من الناس كلهم وجاءته وفودهم ثم رجع ولم يحاصرهم الا نصف شهر وسأل وفـــد هوازن عن مالك بن عوف (رئيسهم وقائدهم يوم حنين) ما فعل فقالوا هو بالطائف ــ وكان لما انهزم يوم حنين التجأ الى ثقيف بالطائف ــ فقال اخبروه انه ان اتاني مسلما رددت عليه اهله وماله واعطيته مائة من الابل فأخبروه بذلك فخرج من الطائف اليه مستخفيا خوفا من ثقيف ان يحبسوه اذا علموا وادركه بالجعرانة فرد عليه أهله وماله واعطاه مائة من الابل واسلم فاستعمله على قومه وعلى من اسلم من القبائل حول الطائف .

فلما عاد (ص) من حصار الطائف أتى الجعرانة وفيها الامـــوال والسبي كما مر قال ابن سعد كان السبي ستة آلاف رأس والابل اربعة وعشرين الف بعير والغنم اكثر من اربعين الف شاة واربعة آلاف اوقية فضـــة فاستأنى رسول الله (ص) بالسبي ان يقدم عليه وبدأ بالامـــوال فقسمها واعطـــى المؤلفة قلوبهم أول الناس فأعطى ابا سفيان بن حرب اربعين اوقية ومائة من الابل قال ابني يزيد قال اعطوه مثل ذلك قال ابني معاوية قال اعطوه مثل ذلك واعطى حكيم ابن حزام مائة من الابل ثم سأله مائة أخرى فأعطاه اياها واعطى النضير ابن الحارث بن كلدة واسيد بن جارية الثقفي والحارث بـــن هشـــام وصفوان بن أمية وقيس بن عدي وسهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزي والاقرع بن حابس وعيينة بن حصن ومالك بن عوف كل واحد مائة من الابل واعطى العلاء ابن حارثة الثقفي ومخرمة بن نوفل وسعيد بن يربوع وعثمان بن وهب وهشام ابن عمرو العامري كل واحد خمسين من الابل واعطى العباس بن مرداس اربعين بعيرا .

ولما اعطى رسول الله (ص) غنائم حنين قريشا خاصة واجـزل القسم للمؤلفة قلوبهم كأبي سفيان وابنه معاوية وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية والحارث ابن هشام وسهيل بن عمرو وزهير بن ابي أمية وهشام بـــن المغيرة والاقرع بن حابس وعيينة ابن حصن في امثالهم ولم يعـــط الانصار شيئا وقيل اعطاهم شيئا يسيرا غضب قوم من الانصار وتكلمـــوا في ذلـــك وقالوا لقي رسول الله (ص) قومه فبلغه ذلك فجمعهم وجاء يتبعه علي عليـــه السلام حتى جلس وسطهم فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا معشر الانصار ما قالة بلغتني عنكم وموجدة وجدتموها اني سائلكم عن امر فاجيبوني السنتم

كنتم ضلالا فهداكم الله بي ألم تكونوا قليلا فكثركم الله بي وعالة فاغناكم الله بي واعداء فالف بين قلوبكم بي قالوا بلى والله فلله ورسوله المن والفضل ثم سكت هنيهة ثم قال الا تجيبوني بما عندكم قالوا بما نجيبك فداك آباؤنا وامهاتنا قد اجبناك بان لك الفضل والمن والطول علينا قال اما لو شئتم لقلتم فصدقتم وانت قد جئتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وخائفا فآمناك وعائلا فاسيناك فارتفعت اصواتهم بالبكاء وقام شيوخهم وساداتهم اليه وقبلوا يديه ورجليه ثم قالوا رضينا بالله وعنه وبرسوله وعنه وهذه اموالنا بين يديك فان شئت فاقسمها على قومك وانما قال من قال منا على غير وغر صدر وغل في قلب ولكنهم ظنوا سخطا عليهم وتقصيرا بهم وقد استغفروا الله من ذنوبهم فاستغفر لهم يا رسول الله فقال اللهم اغفر للانصار ولابناء الانصار ولابناء ابناء الانصار يا معشر الانصار اما ترضون ان يرجع غيركم بالشاء والنعم ورجعتم انتم وفي سهمكم رسول الله قالوا بلى رضينا فقال النبي (ص) حينئذ الانصار كرشي وعيبتي لو سلك الناس واديا وسلكت الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار ، وهذا غاية حسن السياسة وتألف القلوب .

وقدم عليه وفد هوازن أربعة عشر رجلا وفيهم ابو ثروان او ابو برقان عم رسول الله (ص) من الرضاعة ورئيسهم زهير بن صرد وذلك بعدما قسم الغنائم وقد اسلموا واخبروا باسلام من وراءهم فقال له عمه من الرضاعة يا رسول الله انما في هذه الحظائر من كان يكفلك من عماتك وخالاتك وحواضنك وقد حضناك في حجورنا وارضعناك بثدينا ولقد رأيتك مرضعا فما رايت مرضعا خيرا منك ورأيتك فطيما فما رأيت فطيما خيرا منك ثم رأيتك شابا فما رأيت شابا خيرا منك وقد تكاملت فيك خلال الخير ونحن مع ذلك اصلك وعشيرتك فامنن علينا من الله عليك وقال زهير بن صرد يا رسول الله انا أصل وعشيرة وانما في هذه الحظائر عماتك وخالاتك ولو انا ملحنا للحارث بن ابي شمر او للنعمان ابن المنذر ثم نزلا منا بمثل الذي نزلت به رجونا عطفهما وعائدتهما فقال رسول الله (ص) احسن الحديث اصدقه فأبناؤكم ونساؤكم احب اليكم أم أموالكم فقالوا خيرتنا بين احسابنا واموالنا وما كنا لنعدل بالاحساب شيئا فرد علينا ابناءنا ونساءنا فقال أما مالي ولبني عبد المطلب فهو لكم واسأل لكم الناس فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله (ص) فقال الاقرع بن حابس اما انا وبنو تميم فلا وقال عيينة بن حصن اما انا وبنو فزارة فلا وقال العباس بن مرداس اما انا وبنو سليم فلا فقالت بنو سليم ما كان لنا فهو لرسول الله (ص) فقال العباس ابن

مرداس وهنتموني وقال رسول الله (ص) للذين امتنعوا من الرد ان هؤلاء القوم جاؤوا مسلمين وقد كنت استانيت بسببهم وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالنساء والابناء شيئا فمن كان عنده منهم شيء فطابت نفسه ان يرد فليرد ومن ابى فليرد وليكن ذلك قرضا علينا ست فرائض قالوا رضينا وسلمنا فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم .

وكان (ص) انتهى الى الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذي القعدة فأقام بها ثلاث عشرة ليلة ثم خرج ليلة الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة ليلا فاحرم بعمرة ودخل مكة فطاف وسعى وحلق راسه ورجع الى الجعرانة من ميلته كبائت ثم غدا يوم الخميس فانصرف الى المدينة .

ويلاحظ ان غزوات النبي (ص) المهمة التي وقع فيها حرب وهي بدر واحد والخندق وخيبر وحنين كان المسلمون فيها على نحو الثلث من المشركين ففي بدر كان المشركون ٩٥٠ والمسلمون ٣١٣ وفي احد كان المشركون ٣٠٠٠ والمسلمون ٧٠٠ وفي الخندق كان المشركون عشرة آلاف والمسلمون ٣٠٠٠ وفي خيبر كان المسلمون ١٤٠٠ واليهود لم يذكر المؤرخون عددهم لكن الاعتبار يدل على انهم كانوا كثيرين لكثرة حصونهم في خيبر مع من خرج اليهم من بني النضير وفي حنين كان المشركون ثلاثين الفا والمسلمون اثنتي عشر الفا وفي الجميع كان النصر للمسلمين حتى في احد لان انهزامهم اخيرا كان من مخالفة أمر النبي (ص) وفي الجميع كان النصر بجهاد علي وثباته .

غزوة تبوك

في رجب سنة تسع من الهجرة وكان سببها انه بلغه ان الروم قد جمت جموعا كثيرة بالشام وان هرقل قد رزق أصحابه لسنة واجلبت معه لخم وجذام وعاملة وغسان وقدموا مقدماتهم الى البلقاء (قال المفيد) فأوحى الله عز اسمه الى نبيه (ص) ان يسير اليها بنفسه ويستنفر الناس للخروج معه واعلمه انه لا يحتاج فيها الى حرب ولا يمنى بقتال عدو وان الامور تنقاد له بغير سيف ويعده بامتحان أصحابه بالخروج معه واختبارهم ليتميزوا بذلك وتظهر به سرائرهم فاستنفرهم الى بلاد الروم وقد اينعت ثمارهم واشتد القيظ عليهم فابطأ اكثرهم عن طاعته رغبة في العاجل وحرصا على المعيشة واصلاحها وخوفا من شدة القيظ وبعد المسافة ونهض بعضهم على استثقال للنهوض وتخلف آخرون . وكان (ص) قلما يريد غزوة بغزوها الا ورى بغيرها الا غزوة تبوك فانه بينها للناس لبعد السفر وشدة الحر وكثرة العدو فاعلمهم

ليتأهبوا وندب الناس الى الخروج وبعث الى مكة والى قبال العرب يستنفرهم وأمرهم بالصدقة فتحملوا صدقات كثيرة دقوا في سبيل الله وذلك في زمن عسرة من الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام فسمي ذلك الجيش جيش العسرة (وقال الطبري) امرهم بالجهاز وأخبرهم انه يريد الروم فتجهزوا على ما انفسهم من الكره لذلك مع ما عظموه من ذكر الروم وغزوهم . وجاءه سبعة نفر يستحملونه وكانوا أهل حاجة فقال لا اجد ما احملكم عليه فتولوا وهم يبكون فسموا البكائين فنزل فيهم (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا الله ورسوله (الى قوله) ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون) وجاءه اثنان وثمانون رجلا من الاعراب فاعتذروا اليه فلم يعذرهم وتخلف بضعة وثمانون رجلا من المنافقين بغير علة وقيل انهم استأذنوه في التخلف فأذن لهم فنزلت (وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم) . (المعذرون) المقصرون الذين يعتذرون ولا عذر لهم وقيل الذين لهم عذر . وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب منهم ابو خيثمة السالمي فجاء الى أهله بعد ان سار رسول الله (ص) أياما في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائط قد رشت كل واحدة عريشها وبردت له فيه ماء وهيأت له طعاما فقام على باب العريشين فنظر الى امرأتيه وما صنعتا له فقال : رسول الله في الضح والريح وابو خيثمة في ظلال باردة وماء بارد وامرأة حسناء في ماله مقيم ما هذا بالنصف ثم قال والله لا ادخل عريش واحدة منكما حتى الحق برسول الله (ص) فهيأ لي زادا ففعلتا ثم قدم ناضحة فارتحله ثم خرج حتى ادرك رسول الله (ص) بتبوك ، فقال الناس يا رسول الله هذا راكب على الطريق مقبل فقال : كن ابا خيثمة فقالوا هو والله ابو خيثمة فقال له رسول الله (ص) خيرا ودعا له بخير . (قال الطبري) قال ابن اسحق خلف رسول الله (ص) علي بن أبي طالب على اهله وأمره بالاقامة فيهم وخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري . وقال ابن هشام: استعمل على المدينة محمد ابن مسلمة الانصاري وخلف علي بن أبي طالب على اهله وأمره بالاقامة فيهم فارجف به المنافقون وقالوا ما خلفه الا استثقالا له وتخففا منه فلما قالوا ذلك أخذ علي سلاحه ثم خرج حتى اتى رسول الله (ص) وهو نازل بالجرف فقال يا نبي الله زعم المنافقون انك انما خلفتني لانك استثقلتني وتخففت مني فقال كذبوا ولكن

خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في اهلي واهلك افلا ترضى يا علي ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي فرجع علي الى المدينة (اما المفيد) فانه لم يذكر استخلاف احد غير علي عليه السلام على المدينة وهو الظاهر الموافق للاعتبار فانه لم يكن ليشرك أحدا معه في الولاية على المدينة مع ظهور شجاعته وكفاءته واذا كان يخلف عليها في اكثر غزواته كما عرفت ابن ام مكتوم وهو مكفوف البصر ويكتفي به افلا يكون علي عليه السلام فيه الكفاءة للاستخفاف عليها مع اضطراب الرواية فيمن استخلفه غيره فقيل محمد بن مسلمة وقيل سباع بن عرفطة كما مر وقيل ابن ام مكتوم حكاه في السيرة الحلبية وحكي عن ابن عبد البر انه قال الاثبت انه علي بن ابي طالب وانما لم يستصحبه معه لما أخبره الله تعالى بأنه لا يلقى حربا فكان بقاؤه في المدينة اهم للخوف عليها من المنافقين والعرب الموتورين وهذا امر واضح جلي . قال المفيد لما اراد النبي (ص)الخروج استخلف امير المؤمنين عليه السلام في اهله وولده وازواجه ومهاجره وقال له يا علي ان المدينة لا تصلح الا بي او بك وذلك انه عليه السلام علم من خبث نيات الاعراب وكثير من اهل مكة ومن حولها ممن غزاهم وسفك دماءهم فاشفق ان يطلبوا المدينة عند نأيه عنها وحصوله ببلاد الروم او نحوها فمتى لم يكن فيها من يقوم مقامه لم يؤمن من معرتهم وايقاع الفساد في دار هجرته والتخطي الى ما يشين اهله ومخلفيه وعلم(ص)انه لا يقوم مقامه في ارهاب العدو وحراسة دار الهجرة وحياطة من فيها الا امير المؤمنين عليه السلام فاستخلفه وان اهل النفاق لما علموا باستخلاف رسول الله (ص) عليا عليه السلام على المدينة حسدوه لذلك وعظم عليهم مقامه فيها وعلموا انها تتحرس به ولا يكون فيها للعدو مطمع فساءهم ذلك وكانوا يؤثرون خروجه معه لما يرجونه من وقوع الفساد والاختلاط عند نأيه (ص) عن المدينة وخلوها من مرهوب مخوف يحرسها وغبطوه على الرفاهية والدعة بمقامه في اهله وتكلف من خرج منهم المشاق بالسفر فارجفوا به وقالوا لم يستخلفه اكراما له واجلاله ومودة وانما خلفه استثقالا له فبهتوه بهذا الارجاف وهم يعلمون ضده فلما بلغه ذلك اراد تكذيبهم فلحق بالنبي (ص) فأخبره قولهم فقال له النبي (ص) ارجع يا اخي الى مكانك فان المدينة لا تصلح الا بي او بك فانت خليفتي في اهل بيتي ودار هجرتي وقومي اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا أنه لا نبي بعدي . ولو علم الله ان لنبيه في هذه الغزاة حاجة الى الحرب والانصار لما اذن له في تخليف امير المؤمنين عنه بل علم ان المصلحة في استخلافه وبقائه في دار هجرته . ولم يذكر الدكتور هيكل هنا الا قوله

وخلف علي بن ابي طالب على اهله وامره بالاقامة فيهم وامر رسول الله (ص) كل بطن من الانصار والقبائل من العرب ان يتخذوا لواء او راية وخرج (ص) يوم الخميس وكان يستحب الخروج فيه في ثلاثين الفا من الناس والخيل عشرة آلاف فرس حتى قدم تبوك . وكان عبدالله بن ابي بن سلول قد عسكر على ثنية الوداع في حلفائه من اليهود والمنافقين قال ابن سعد وابن هشام وغيرهما فكان يقال ليس عسكره بأقل العسكرين فلما سار تخلف عبدالله بن ابي ومن معه (أقول) وهذا يدل على ما مر عن المفيد من انه ابطأ اكثرهم عنه (ص) قال ابن اسحق فلما كان (ص) ببعض الطريق ضلت ناقته فخرج اصحابه في طلبها فقال رجل اليس محمد يزعم انه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري اين ناقته فقال (ص) لما بلغه ذلك اني والله لا اعلم الا ما علمني الله وقد دلني الله عليها وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فذهبوا فجاؤوا بها قال ابن هشام والطبري فجعل يتخلف عنه الرجل حتى قيل تخلف ابو ذر وابطأ به بعيره فتلوم على بعيره فلما ابطأ عليه اخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله (ص) ماشيا ونزل رسول الله (ص) في بعض منازله فنظر بعض المسلمين فقال ان هذا الرجل يمشي على الطريق وحده فقال (ص) كن ابا ذر فلما تأملوه قالوا هو ابو ذر فقال (ص) يرحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده . وكان رهط من المنافقين يسيرون مع رسول الله (ص) وهو منطلق الى تبوك فقال بعضهم لبعض اتحسبون قتال بني الاصفر كقتال غيرهم والله لكأني بكم غدا مقرنين في الحبال ارجافا وترهيبا للمؤمنين فقال (ص) لعمار ابن ياسر ادرك القول فسلهم عما قالوا فان انكروا فقل بلى قد قلتم كذا وكذا فأتوا رسول الله (ص) يعتذرون وقال بعضهم كنا نخوض ونلعب فنزل فيهم: « ولئن سألتهم ليقولون انما كنا نخوض ونلعب » فلما انتهى (ص) الى تبوك اتاه يحنة بن رؤبة صاحب ايلة فصالح رسول الله (ص) واعطاه الجزية وجاءه اهل جرباء واذرح فأعطوه الجزية وكتب لكل كتابا فهو عندهم ودعا خالد بن الوليد فبعثه الى اكيدر بن عبد الملك الكندي ملك دومة الجندل (الجوف) وكان نصرانيا فقال له انك ستجده يصيد البقر فلما كان من حصنه بمنظرة العين في ليلة مقمرة صائفة وهو على سطح له ومعه امراته فباتت البقر تحك برونها باب القصر فقالت امراته هل رأيت مثل هذا قط قال لا والله قالت فمن يترك هذا فنزل فأمر بفرسه فاسرج له ، وركب معه نفر من اهل بيته فيهم اخوه حسان فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله (ص) فاستأسر اكيدر فأخذ وامتنع اخوه حسان فقاتل حتى قتل وهرب من معهما وكان على

حسان من ديباج محوص بالذهب فأخذه خالد فبعث بـه الى النبي (ص) فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه وقدم خالد باكيـدر علـى رسول الله (ص) فحقن دمه وصالحه على الجزية وخلى سبيله فرجع الـى قريته واقام رسول الله (ص) بتبوك بضع عشرة ليلة وقيل عشرين ليلة ولم يجاوزها ثم رجع الى المدينة قال ابن هشام وغيره وكان في الطريق ماء يخرج من وشل ما يروي الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقـال لـه وادي المشقق فقال (ص) من سبقنا اليه فلا يستقين منه حتى نأتيه فسبق اليه نفر مـن المنافقين فاستقوا ما فيه فلما رآه قال من سبقنا اليه قيل فـلان وفـلان فلعنهم ودعا عليهم ثم نزل فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب في يده ثم نضحه به ودعا فانخرق الماء وكان له حس كحس الصواعـق فشرب الناس واستقوا . ويدل بعض الروايات على انه(ص) فعل ذلك بماء تبوك عند وروده اليها لا عند رجوعه وروي انه امر بالرحيل من تبوك في اول نصف الليـل الاخير . وعن كتاب دلائل النبوة لابي بكر احمد البيهقي بسنده عن عروة قال لما رجع رسول الله (ص) قافلا من تبوك الى المدينـة حتى اذا كان ببعـض الطريق مكر به ناس من اصحابه فتآمروا أن يطرحوه من عقبة في الطريـق وارادوا ان يسلكوها معه فاخبر رسول الله (ص) خبرهم فقال من شاء منكم ان يأخذ بطن الوادي فانه اوسع لكم فأخذ النبي (ص) العقبة واخذ الناس بطن الوادي الا النفر ارادوا المكر به استعدوا وتلثموا وامر رسول الله (ص) حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر فمشيا معه مشيا وامر عمارا ان يأخذ بزمام الناقة وامر حذيفة يسوقها فبينا هم يسيرون اذ سمعوا وكزة القوم مـن ورائهم قد غشوه فغضب رسول الله (ص) وامر حذيفة أن يراهم فرجع ومعه محجن فاستقبل وجوه رواحلهم وضربها ضربا بالمحجن وابصر القـوم وهـم متلثمون فرعبهم الله حين ابصروا حذيفة وظنوا ان مكرهم قد ظهر فاسرعوا حتى خالطوا الناس واقبل حذيفة حتى ادرك رسول الله (ص) فقال اضرب الراحلة يا حذيفة وامش انت يا عمار فاسرعوا وخرجوا من العقبة ينتظرون الناس فقال النبي (ص) يا حذيفة هل عرفت من هؤلاء الرهط احـدا فقال حذيفة عرفت راحلة فلان وفلان وكانت ظلمة الليل غشيتهم وهم متلثمـون فقال عليه الصلاة والسلام هل علمتم شأن الركب وما ارادوا قالـوا لا يـا رسول الله قال فانهم مكروا ليسيروا معي حتى اذا اظلمت لي العقبة طرحوني منها قالوا افلا تأمر بهم يا رسول الله اذا جاءك الناس تضرب اعناقهم قال اكره أن تتحدث الناس ويقولوا ان محمدا قد وضع يده في أصحابه فسماهم لهما ثم قال اكتماهم . وفي رواية انهم كانوا اربعة وعشرين رجلا عرفـهم

محمد من المدينة فكان هؤلاء المنافقون يتوقعون ان يجيئهم ابو عامر فمـات قبل ان يبلغ ملك الروم .

سرايا رسول الله (ص)

وفي السيرة الحلبية ما كان فيه رسول الله (ص) يسمى غزوة وما خلا عنه يقال له سرية ان كان اكثر من واحد وان كان واحدا قيل له بعث وقـد عرفت ان سراياه (ص) كانت سبعا واربعين سرية وذكرها كلهـا بمـوجب التطويل مع قلة الفائدة لكننا نذكر بعضا منها :

سرية حمزة بن عبد المطلب

في شهر رمضان على راس سبعة اشهر من الهجره بعثة (ص) في ثلاثين رجلا من المهاجرين ليعترض عيرا لقريش جاءت من الشام فيها ابو جهل في ثلثمائة رجل او مائة وثلاثين وعقد له لواء ابيض وهو اول لـواء عقـد في الاسلام فسار حتى وصل سيف البحر اي ساحة فصادف العير فلما تصافوا للقتال حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان حليفـا للفريقين فلم يقع قتـــال .

سرية عبيدة بن الحارث

الى بطن رابع على عشرة اميال من الجحفة في شوال على راس ثمانيـة اشهر من الهجرة في ستين او ثمانين راكبا من المهاجرين ليعترض عير لقريش فيها ابو سفيان او عكرمة بن ابي جهل في مائتين فـكان بينهم الـرمي ولم يسلوا السيوف ولم يصطفوا لقتال ثم انصرف الفريقان على حاميتهم .

سرية قتل كعب الاشرف اليهودي

لاربع عشرة ليلة مضت من ربيع الاول على راس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة . وكان كعب شاعرا يهجو النبي (ص) واصحابه ويحرض عليهم في شعره ويؤذيهم وفيه نزلت « ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا » فلما كانت وقعة بدر كبت وذل وقال بطـن الارض خير من ظهرها اليوم فقدم مكة فبكى قتلى قريش وحرضهم بالشعر ثم قدم المدينة فقال (ص) اللهم اكفني بن الاشرف بما شئت في اعلانه الشر وقوله الاشعار وقال من لي بابن الاشرف فقد آذاني فقال محمد بن مسلمة انا لك به يا رسول الله وانا اقتله وكان منزل كعب بالعوالي فاجتمع هو مع اربعة من الاوس منهم ابو نائلة سلكان بن سلامة وكان اخا كعب من الرضاعة

وقالوا ائذن لنا يا رسول الله فلنقل (اي خلاف الواقع لمصلحة) فقال قولوا فخرج اليه ابو نائلة فانكره كعب وذعر منه فقال انا ابو نائلة انما جئت اخبرك ان قدوم هذا الرجل كان علينا من البلاء حاربتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة ونحن نريد التنحي عنه ومعي رجال من قومي على مثل رايي وقد اردت ان آتيك بهم فنبتاع منك طعاما وتمرا فسكن الى قوله وقال جيء بهم متى شئت فخرج من عنده على ميعاد فاخبر اصحابه فأتوه في ليلة مقمرة حتى انتهوا الى حصنه فهتف به ابو نائلة فوثب فأخذت امراته بملحفته وقالت أين تذهب انك رجل محارب وان أصحاب الحرب لا ينزلون في مثل هذه الساعة وكان حديث عهد بعرس فقال ميعاد علي وانما هو اخي ابو نائلة لو وجدني نائما لا يوقظني فقالت والله اني لاعرف في صوته الشر فضرب بيده الملحفة وقال : لو دعي الفتى لطعنة أجاب . ثم نزل اليهم فحادثوه ساعة حتى انبسط اليهم وانس بهم ثم اخذ ابو نائلة بشعره وقال اقتلوا عدو الله فضربوه بأسيافهم فالتفت عليه فلم تغن شيئا ورد بعضها بعضا ولصق بأبي نائلة فأخرج ابو نائلة مغولا وهو سيف دقيق فوضته في سرته ثم تحامل عليه حتى انتهى الى عانته فصاح صيحة ما بقي اطم من آطام يهود الا اوقدت عليه نار ثم حزوا راسه وحملوه معهم وقيل طعنه احدهم في خاصرته وضربه محمد بن مسلمة بالسيف فقتلوه ولما صاح صاحت امراته يا آل قريظة والنضير مرتين فخرجت اليهود فأخذت على غير طريقهم ففاتوهم واصبحت يهود مذعورين فأتوا النبي (ص) فقالوا قتل سيدنا غيلة فذكر لهم تحريضه عليه وأذيته للمسلمين فازدادوا خوفا ثم كتب بينه وبينهم صلحا قال بن سعد في الطبقات وكان ذلك الكتاب مع علي بن ابي طالب .

سرية قتل ابي رافع سلام بن ابي الحقيق النضري بخيبر

في شهر رمضان سنة ست من الهجرة وكان تاجر اهل الحجاز وقد اجلب في غطفان ومن حوله من مشركي العرب وجعل لهم الحفل العظيم لحرب رسول الله (ص) وكان يؤذي النبي (ص) فلما قتلت الاوس كعب بن الاشرف ارادت الخزرج أن تقتل مشابهه في عداوة رسول الله (ص) فبعث رسول الله (ص) عبدالله بن عتيك واربعة معه لقتله فذهبوا الى خيبر فكمنوا فلما هدات الرجل جاؤوا الى منزله وقدموا عبدالله بن عتيك لانه كان يرطن باليهودية فاستفتح وقال جئت ابا رافع بهدية ففتحت له امراته فدخلوا عليه فما عرفوه الا ببياضه كأنه قبيطة فقتلوه وقيل دنوا من خيبر وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم فقال عبدالله لاصحابه اجلسوا مكانكم فاني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أدخل فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه

كانه يقضي حاجة فقال له البواب وهو يظنه من اهل الحصن يا عبدالله ان كنت تريد ان تدخل فادخل فاني اريد ان اغلق الباب فدخل وكمن واغلق البواب الباب وعلق المفاتيح قال ثم اخذتها وفتحت الباب فلما ذهب عن ابي رافع اهل سمه صعدت اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا ادري اين هو قلت ابا رافع قال من هذا فاهويت نحو الصوت فضربته بالسيف فما اغنت شيئا وصاح فخرجت من البيت ثم عدت فقلت ما هذا الصوت يا ابا رافع قال لامك الويل ان رجلا في البيت ضربني بالسيف فضربته اخرى فلم تغن شيئا فتواريت ثم جئته كالمغيث فاذا هو مستلق فوضعت السيف في بطنه وتحاملت عليه حتى سمعت صوت العظم وفي رواية حتى سمعت خشه في الفراش ثم جئت الى الدرجة فوقعت فانكسرت رجلي وفي رواية انخلعت فعصبتها بعمامتي وصاحت امراته فتصايح اهل الدار واختبا القوم في بعض الانهار وخرج الحارث ابو زينب في ثلاثة آلاف في آثارهم يطلبونهم بالنيران فلم يروهم فرجعوا ومكثوا في مكانهم حتى سكن الطلب ثم اتوا المدينة بعدما علموا ان ابا رافع قتل .

سرية علي بن ابي طالب عليه السلام بني سعد بن بفدك

في شعبان سنة ست من الهجرة .

(وفدك) بالتحريك في معجم البلدان قرية بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة وفي السيرة الحلبية قرية بينها وبين المدينة ست ليال وفي لفظ ثلاث مراحل وهي الان خراب (اقول) لعل الصواب القول بان بينها وبين المدينة ست ليال لما ياتي من ان عليا عليه السلام وصل الى مكان بين خيبر وفدك فدل على ان فدك ابعد عن المدينة من خيبر وقد مر ان خيبر عن المدينة على نحو اربع مراحل فكيف يكون بين فدك والمدينة ثلاث مراحل او يومان او ثلاثة ايام الا ان يراد بالايام الليل والنهار فتتوافق رواية ثلاثة ايام ورواية ست ليال . وفي الصحاح والقاموس (فدك) بلدة بخيبر ولعل فيه تسامحا باعتبار مجاورتها لخيبر . واهل فدك كانوا من العرب لا من اليهود . ومر الكلام على ان فدكا فتحت صلحا بعد فتح خيبر سنة سبع فتكون هذه السرية قبل فتح خيبر لان فتح خيبر كان في جمادي الاولى او في المحرم سنة سبع وهذه كانت في شعبان سنة ست وسببها انه بلغ النبي (ص) ان بني سعد يريدون ان يجمعوا جمعا يمدون به يهود خيبر ويعطوهم مقابل ذلك من تمر خيبر ــ وينبغي ان يكون ذلك قبل محاصرة خيبر بان يكون اهل خيبر لما رأوا ما جرى لقريظة وبني النضير لما نقضوا العهد خافوا فاتفقوا مع اهل فدك على ذلك فبعث النبي (ص) عليا عليه السلام من المدينة في مائة

رجل فجعل يسير الليل ويكمن النهار حتى انتهى الى الفمج ـ ما بين فدك وخيبر فوجدوا رجلا فقالوا ما انت قال باغ اي طالب لشيء ضل مني فقالوا هل لك علم بجمع بني سعد قال لا علم لي به فشدوا عليه فاقر انه عين لهم بعثوه الى خيبر يعرض على يهودها نصرهم على ان يجعلوا لهم من تمرها ما جعلوا لغيرهم قالوا له فأين القوم قال قد تجمع منهم مائتا رجل قالوا فسر بنا حتى تدلنا عليهم قال على ان تؤمنوني فأمنوه فجاء بهم الى سرحهم فأغاروا عليه وهرب الرعاء الى جمعهم فتفرقوا فقال دعوني فقال علي حتى نبلغ معسكرهم فانتهى بهم اليه فلم يروا احدا فتركوه وساقوا النعم وكانت خمسمائة بعير والفي شاة فاصطفى علي منها لرسول الله (ص) ناقة لقوحا تسمى الحفدة وقسم الباقي على اصحابه هكذا في السيرة الحلبية وينبغي ان يكون أخرج خمسها اولا لا اللقوح وحدها ثم قسم الباقي .

سرية علي بن ابي طالب (ع) الى بلاد طيء

في ربيع الاول سنة تسع من الهجرة ومعه مائة وخمسون رجلا من الانصار او مائتان على مائة بعير وخمسين فرسا لهدم صنم طيء والغارة عليهم ومعه راية سوداء ولواء ابيض وفي السيرة الحلبية ان اسم الصنم الفلس بضم الفاء وسكون اللام وفي سيرة دخلان ان الفلس اسم الموضع الذي فيه الصنم فأغار على احياء من العرب وشن الغارة على آل حاتم مع الفجر فهدم الفلس وأحرقه ووجد في خزانته ثلاث اسياف وثلاث أذرع وغنم سبيا ونعما وشاء وفضة .

سفانة بنت حاتم الطائي

وكان في السبي سفانة بنت حاتم الطائي اخت عدي بن حاتم وكانت امرأة جزلة اي ذات وقار وعقل فقالت يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك قال ومن وافدك قالت عدي بن حاتم قال الفار من الله ورسوله وكان عدي هرب لما رأى الجيش ثم كلمته بمثل ذلك في اليوم الثاني وفي اليوم الثالث اشار اليها علي بن ابي طاب بأن قومي اليه فكلميه فكلمته فمن عليها واسلمت وذهبت الى اخيها عدي فجاءت به واسلم وحسن اسلامه وصار من خواص اصحاب علي امير المؤمنين عليه السلام ويروى انها قالت للنبي (ص) يا محمد ان رأيت ان تخلي عنا ولا تشمت بنا احناء العرب فاني ابنة سيد قومي وان ابني كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويقري الضيف ويطعم الطعام

ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط انا ابنة حاتم الطائي فقال لها النبي (ص) يا جارية هذه صفة المؤمن حقا لو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق .

نزول سورة براءة

في اول يوم من ذي الحجة سنة تسع من الهجرة قل الشيخ الطوسي في المصباح بعث النبي (ص) سورة براءة حين انزلت عليه مع ابي بكر ثم نزل على النبي (ص) انه لا يؤديها عنك الا انت او رجل منك فأنفذ عليا حتى لحق ابا بكر فأخذها منه . وقال الطبري في تفسيره : حدثنا احمد بن اسحق ثنا ابو احمد ثنا اسرائيل عن ابي اسحق عن زيد بن يثيع براءة فبعث بها رسول الله (ص) ابا بكر ثم ارسل عليا فأخذها منه فلما رجع ابوبكر قال هل نزل في شيء قال لا ولكن امرت ان ابلغها انا او رجل من اهل بيتي فانطلق علي الى مكة فقام فيهم باربع ان لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا ولا يطف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده الى مدته . وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن بن عباس ان رسول الله (ص) بعث ابابكر وامره ان ينادي بهؤلاء الكلمات فاتبعه عليا فبينما ابوبكر ببعض الطريق اذ سمع رغاء ناقة رسول الله (ص) فخرج فزعا فظن انه رسول الله (ص) فاذا هو علي (الى ان قال) فنادى علي ان الله بريء من المشركين ورسوله فسيحوا في الارض اربعة اشهر لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا مؤمن (وبسنده) عن زيد بن يثيع سألنا عليا بأي شيء بعثت في الحجة قال بعثت باربع لا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان ولا يجتمع مؤمن وكافر في المسجد الحرام بعد عامهم هذا ومن كان بينه وبين النبي(ص) عهد فعهده الى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله اربعة اشهر (وروى) النسائي في الخصائص بسنده عن سعد قال بعث رسول الله (ص) ابا بكر ببراءة حتم اذا كان ببعض الطريق ارسل عليا فأخذها منه ثم سار بها فوجد ابا بكر في نفسه فقال رسول (ص) لا يؤدي عني الا انا او رجل مني (وبسنده) عن انس بعث النبي (ص) براءة مع ابي بكر ثم دعاه فقال لا ينبغي ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي فدعا عليا فأعطاه اياها (وبسنده) عن زيد بن يثيع عن علي ان رسول الله (ص) بعث ببراءة الى اهل مكة فلحقه فأخذ الكتاب منه فانصرف ابو بكر وهو كئيب فقال رسول الله (ص) انزل في شيء قال لا الا اني امرت ان ابلغه انا او رجل من اهل بيتي . ولحقه علي بذي الحليفة وقيل بالعرج بالروحاء على اهل مكة مع ابي بكر ثم اتبعه بعلي فقال خذ الكتاب فامض به

ناقة رسول الله (ص) العضباء . قال المجلسي اجمع المفسرون ونقلة الاخبار انه لما نزلت براءة دفعها رسول الله (ص) الى ابي بكر ثم اخذها منه ودفعها الى علي بن ابي طالب واختلفوا فقيل اخذها علي منه فقراها على الناس وكان ابو بكر اميرا على الموسم وروى اصحابنا ان النبي (ص) ولى عليا الموسما ايضا وقال بعضهم انما أمر عليا بأخذ براءة من ابي بكر جريا على عادة العرب بأنه لا يبلغ عنهم الا هم او احد اقربائهم . وفيه ان هذه لم يرد بها خبر ولو فرض الاسلام قد جاء لمحو عادات الجاهلية مثل عدم توريث النساء والتفاخر بالاجداد والآباء وانما ذلك امر من الله تعالى بأن لا يقوم بهذا الامر المهم الا النبي (ص) او من هو مثل نفسه .

سرية علي بن ابي طالب (ع) الى اليمن

قال ابن سعد يقال مرتين احداهما في شهر رمضان سنة عشر من الهجرة قالوا بعث (ص) عليا الى اليمن وعقد له لواء وعممه بيده وقال امض ولا تلتفت فاذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك وزاد غير ابن سعد وادعهم الى قول لا إله الا الله فان قالوا نعم فمرهم بالصلاة فان اجابوا فلا تبغ منهم غير ذلك والله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس او غربت (وروى) ابو داود وغيره من حديث علي قال بعثني النبي (ص) الى اليمن فقلت يا رسول الله تبعثني الى قوم وانا حديث السن لا ابصر القضاء فوضع يده على صدري وقال اللهم ثبت لسانه واهد قلبه وقال يا علي اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر فانك اذا فعلت ذلك تبين لك القضاء قال علي والله ما شككت في قضاء بين اثنين قال بن سعد فخرج في ثلثمائة فارس وكانت اول خيل دخلت الى تلك البلاد وهي بلاد مذحج ففرق اصحابه فأتوا بنهب وبغنائم وسبي ثم لقي جمعهم فدعاهم الى الاسلام فابوا ورموا بالنبل والحجارة فصف اصحابه ثم حمل عليهم علي باصحابة فقتل منهم عشرين رجلا فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم ثم دعاهم الى الاسلام فأسرعوا واجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الاسلام وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله وجمع علي الغنائم فأخرج منها الخمس وقسم الباقي على اصحابه ثم قفل فوافي النبي (ص) بمكة قد قدمها للحج سنة عشر وهي حجة الوداع (اقول) والاخرى قبل هذه وكانت سنة ثمان من الهجرة ارسل عليا عليه السلام الى همدان بعد فتح مكة فأسلمت همدان كلها في يوم واحد فكتب الى النبي (ص) فخر ساجدا لله ثم جلس فقال السلام على همدان وتتابع اهل اليمن على الاسلام ويدل قول بن سعد يقال ذلك مرتين على انه غير

محقق ويرشد اليه ان بعضهم جعل اسلام همدان سنة عشر والله اعلم ولكن ابن هشام في سيرته جزم بأن عليا عليه السلام غزا اليمن مرتين ثم قال : قال ابو عمر المدني بعث رسول الله (ص) علي بن ابي طالب الى اليمن وبعث خالد بن الوليد في جند آخر وقال ان التقيتما فالامير علي بن ابي طالب ويدل كلام المفيد في الارشاد على ان ارسال النبي (ص) عليا عليه السلام الى اليمن كان ليخمس ركازها ويقبض ما وافق عليه اهل نجران من الحلل والعين وغير ذلك لا لاجل الحرب وان اهل اليمن كانوا قد اسلموا قبل ذلك لكن ربما ينافيه اخذ الجيش معه ولعله خشية من وقوع حرب . وفي السيرة الحلبية كان رسول الله (ص) ارسل خالد بن الوليد الى اليمن لهمدان يدعوهم الى الاسلام قال البراء فكنت ممن خرج مع خالد فاقمنا ستة اشهر ندعوهم الى الاسلام فلم يجيبوا ثم ان رسول الله (ص) بعث علي بن ابي طالب فامره ان يقفل خالدا ويكون مكانه فلما دنونا من القوم خرجوا الينا وصلى بنا علي ثم صفنا صفا واحدا ثم تقدم بين ايدينا وقرا عليهم كتاب رسول الله (ص) فاسلمت همدان جميعا فكتب الى رسول الله (ص) باسلامهم ، الحديث . وفي السيرة النبوية لدحلان ان بعث علي سنة ثمان كان الى همدان وجعله سنة عشر غلط وبعثه سنة عشر كان الى مذحج .

نظرة اجمالية في حروبه (ص) وغزواته

اذا نظرنا في مبدأ الدعوة الاسلامية وما سارت عليه الى نهايتها رأينا ان النبي (ص) لم يبدأ دعوته بالقتال ولم يبنها على السيف والحرب وانما دعا اليها كما امره الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة وبقي على ذلك بمكة بعد البعثة عشر سنين فدخل الناس في الاسلام طائعين غير مكرهين عن عقيدة واخلاص سريرة وعلم بقيم هذا الدين واعتراف بمحاسنه بعد ما ظهر لهم فساد ما كانوا عليه من عبادة الاوثان وقبح ما هم عليه من امور الجاهلية وان دخول من دخل فيه لم يكن رهبة من عقاب ولا طمعا في مال او جاه بل كان الامر بالعكس يؤذي من دخل فيه ويعذب ويهان ويقصى ويحرم وان اخصامه لم يعمدوا في دفعه الى حجة او برهان او معارضة بدليل ولو كان سفسطة سوى قولهم اتأمرنا ان نترك ما كان يعبد آباؤنا وشبهه ولم يتركوه وشانه بل عمدوا الى ايقاع المكروه به وآذوه بأنواع الاذايا حتى تعاقدوا على حصره وجمع عشيرته مسلمهم وكافرهم في شعب اربع سنين لا يبايعون ولا يشارون ولا يزوجون ولا يتزوج اليهم ولا يعاشرون ولا يخالطون وحتى كانوا يسلطون صبيانهم وسفهاءهم عليه ووضعوا السلا على ثيابه ولم يكتفوا بذلك حتى طلبوا الى عمه ابي طالب ان يسلمه لهم ليقتلوه وحتى تآمروا على

قتله ليلا واحاطوا بداره فنجاه الله منهم وذهب الى الغار واستخفى فيه ثلاثا وجعلوا لمن جاءهم به مائة بعير وعمدوا الى من تخلف بمكة من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم وهاجر جماعة منهم خفية الى بلاد الحبشة فأرسلوا وراءهم من يردهم وحملوا معهم الهدايا لملك الحبشة فجبههم لما سمع بلاغة القرآن وسمو تعاليمه ثم اسلم فاضطر النبي (ص) بعدما استقر بالمدينة الى غزوهم وحربهم ليدفع اذاهم وشرهم عنه وعن اصحابه فكانت غزوة بدر طلبا لعيرهم ففاتته فجهزوا الجيوش لحربه وارادوا غزوة في عقر دياره فحاربهم واظفره الله بهم ثم قصدوه يوم احد الى دار هجرته قاصدين استئصاله واستئصال اصحابه فاضطر الى دفاعهم ثم اراد العمرة عام الحديبية فصدوه عن بيت الله الحرام الذي يعتقدون حرمته وتعظيمه ويستعظمون الصد عنه فهادنهم مهادنة كانت بجانبهم ارجح ولان لهم فنقضوا العهد وعاونوا بني بكر على خزاعة خلفائه وقتلوهم غدرا فسار اليهم لفتح مكة ونهى عن قتالهم وعفا عنهم عفوا عاما ولم يكره احدا من اهل الكتاب على ترك دينه واعلن على رؤوس الملأ لا اكراه في الدين واكتفى منهم اما باسلام او اداء شيء يفرض عليهم كل عام ويكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وانه لم يحارب يهود الحجاز الا بعدما نقضوا عهده وراموا قتله والبوا عليه وبذلك يبطل بقوله من يريد تنقيص الاسلام بأنه قام السيف والقهر والغلبة لا بالدعوة والله الهادي .

حجة الوداع

سنة عشرة من الهجرة قال بن هشام سميت بذلك لانه لم يحج بعدها وقيل لانه ودع فيها الناس واعلمهم بدنو اجله . قال بن سعد في الطبقات وهي التي يسميها الناس حجة الوداع وكان المسلمون يسمونها حجة الاسلام وكان بن عباس يكره ان يقال حجة الوداع ويقول حجة الاسلام ولم يحج غيرها منذ تنبىء ولو قال منذ هاجر لكان صوابا فانه (ص) لم يحج بعد الهجرة غيرها وانما اراد الاعتمار عام الحديبية فصد ثم اعتمر عمرة القضاء واعتمر يوم حنين ولم يحج اما قبل الهجرة فقد حج (ص) حجتين يقينا وهما اللتان بايع فيهما الانصار عند العقبة وقد روى بن سعد ذلك بسنده عن مجاهد قال حج رسول الله (ص) حجتين قبل ان يهاجر حجة وبعدما هاجر حجة في السيرة الحلبية انه (ص) حج بعد النبوة وقبل الهجرة ثلاث حجات وقيل حجتين وقال بن الاثير كان (ص) يحج كل سنة قبل ان يهاجر وقال بن الجوزي حج (ص) قبل النبوة وبعدها حججا لا يعلم عددها وكان قبل النبوة يقف بعرفات ويفيض منها الى مزدلفة لقريش توفيقا له من الله لانهم كانوا

لا يخرجون من الحرم وقالوا لا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم فيستخف العرب بحرمكم فتركوا الوقوف بعرفة والافاضة الى مزدلفة ويرون ذلك لسائر العرب وكان فرض الحج بالمدينة (قال المفيد) : ثم اراد رسول الله (ص) التوجه الى الحج واداء ما فرض الله تعالى عليه فيه فاذن في الناس بالحج وبلغت دعوته الى اقاصي بلاد الاسلام فتجهز الناس للخروج معه وحضر المدينة من ضواحيها ومن حولها خلق كثير وتأهبوا للخروج فخرج (ص) بهم يوم الخميس او يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة .

وفي السيرة الحلبية خرج معه اربعون الفا وقيل سبعون وقيل تسعون وقيل مائة واربعة عشر الفا وقيل مائة وعشرون الفا وقيل اكثر من ذلك هذا عدا من حج معه من اهل مكة واليمن قال بن سعد خرج من المدينة مغتسلا متدهنا مترجلا مجردا في ثوبين صحاريين ازار ورداء فصلى الظهر بذي الحليفة ركعتين واخرج معه نساءه التسع كلهن في الهوادج وابنته فاطمة واشعر هدية وقلده ثم قال واختلف علينا فيما اهل به فاهل المدينة يقولون اهل بالحج مفردا وفي رواية غيرهم انه قرن مع حجته عمرة وقال بعضهم دخل متمتعا بعمرة ثم اضاف اليها حجة وفي كل رواية (اقول) الصحيح ان حجة كان حج قران وعقد احرامه بسياق الهدى فلما وصل الى الليل لبى فقال لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة والملك لا شريك لك قال المفيد : وكاتب عليا عليه السلام بالتوجه الى الحج من اليمن ولم يذكر له نوع الحج الذي عزم عليه وخرج (ص) قارنا للحج بسياق الهدي واحرم من ذي الحليفة واحرم الناس معه ولبى من عند الميل الذي بالبيداء فاتصل ما بين الحرمين بالتلبية حتى انتهى الى كراع الغميم وكان الناس معه ركبانا ومشاة فشق على المشاة المسير واجهدهم فشكوا ذلك اليه واستحملوه فأعلمهم انه لا يجد لهم ظهرا وامرهم ان يشدوا على اوساطهم ويخلطوا الرمل بالنسل ففعلوا ذلك واستراحوا اليه وفي السيرة الحلبية : ذكر بعضهم انه في هذه الحجة كان جمل عائشة (رض) سريع المشي مع خفة حمل عائشة وجمل صفية بطيء المشي مع ثقل حملها فصار الركب يتأخر لذلك فأمر (ص) ان يجعل حمل صفية على جمل عائشة وحمل عائشة على جمل صفية فقال لعائشة يا ام عبد الله حملك خفيف وجملك سريع وحمل صفية ثقيل وجملها بطيء فابطأ ذلك بالركب فنقلنا حملك على جملها وحملها على جملك فقالت له انك تزعم انك رسول الله فقال أفي شك انك رسول الله انت يا ام عبد الله قالت فما لك لا تعدل قالت فكان ابو بكر (رض) فيه حدة فلطمني

على وجهي فلامه رسول الله (ص) فقال أما سمعت ما قالت فقال دعها فان المرأة الغيراء لا تعرف اعلا الوادي من اسفله . (قال المفيد) وخرج علي عليه السلام بمن معه من العسكر الذي كان صحبه الى اليمن ومعه الحلل التي اخذها من اهل نجران فلما قارب رسول الله (ص) مكة من طريق المدينة قاربها علي عليه السلام من طريق اليمن وسبق الجيش للقاء النبي (ص) وخلف عليهم رجلا منهم فأدرك النبي (ص) وقد اشرف على مكة فسلم عليه واخبره بما صنع وبقبض ما قبض وانه سارع للقائه امام الجيش فسر رسول الله (ص) بذلك وابتهج بلقائه وقال له بم اهللت فقال له يا رسول الله انك لم تكتب لي أهلا لك ولا عرفته فعقدت نيتي بنيتك فقلت اللهم اهلالا كاهلال نبيك وسقت معي من البدن اربعا وثلاثين بدنة فقال رسول الله (ص) الله اكبر قد سقت انا ستا وستين وأنت شريكي في حجي ومناسكي وهديي فأقم على احرامك وعد الى جيشك فعجل بهم حتى نجتمع بمكة وفي سيرة بن هشام قال رسول الله (ص) لعلي هل معك من هدي قال لا فأشركه في هديه وثبت على احرامه حتى فرغا من الحج ونحر رسول الله (ص) الهدي عنهما . (وفي السيرة الحلبية) يمكن الجمع بين هذا وبين انه قدم من اليمن ومعه هدي بأن الهدي كان قد تأخر مجيئه فأشركه في هديه ثم نقل ان الهدي الذي جاء به عليه السلام من اليمن كان سبعا وثلاثين والذي جاء به رسول الله (ص) ثلاثا وستين قال بن هشام فيما أخرجه عن بن اسحق بسنده لما اقبل علي من اليمن لتلقي رسول الله (ص) بمكة تعجل الى رسول الله (ص) واستخلف على جنده الذين معه رجلا من اصحابه فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع علي فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم فاذا عليهم الحلل فقال للذي كان استخلفه فيهم ويلك ما هذا قال كسوتهم ليتجملوا به اذا قدموا في الناس فانتزع الحلل من الناس وشدها في الاعدال واظهر الجيش شكواه لما صنع بهم قال ابو سعيد الخدري اشتكى الناس عليا فقام رسول الله(ص) فينا خطيبا فسمعته يقول ايها الناس لا تشكون عليا فوالله انه لاخشن في ذات الله او في سبيل الله من ان يشكى (وفي رواية المفيد) فأمر رسول الله (ص) مناديا فنادى في الناس ارفعوا السنتكم عن علي بن ابي طالب فانه خشن في ذات الله عز وجل غير مداهن في دينه فكف القوم عن ذكره وعلموا مكانه من النبي (ص) وسخطه على من رام الغميزة فيه قال المفيد وأقام علي

عليه السلام على احرامه تأسيا برسول الله (ص) (فكان حجهما حج قران) وكان قد خرج مع النبي (ص) كثير من المسلمين بغير سياق هدي فانزل الله تعالى «واتموا الحج والعمرة لله» فقال رسول الله (ص) دخلت العمرة في حج الى يوم القيامة وشبك احدى اصابع يديه على الاخرى ثم قال لــــو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ثم امر مناديه ان ينادي من لم يسق منكم هديا فليحل وليجعلها عمرة ومن ساق منكم هديا فليقم على احرامه (توضيح ذلك) ان الحج ثلاثة انواع افراد وقران وتمتع فالافراد والقران فرض القريب الى مكة والتمتع فرض البعيد والمفرد يأتي بالحج اولا ثم بعمرة مفردة وكذلك القارن الا انه يسوق الهـدي معه عنـد الاحــرام والتمتع يأتي اولا بعمرة التمتع ثم يأتي بالحج فالنبي (ص) حين احرم في حجة الوداع بحج القران لانه ساق الهدي وكذلك علي عليه السلام احرم كأحرام رسول الله (ص) وساق الهدي فكان حجة حج قران واكثر الذين كانوا مع النبي (ص) لم يسوقوا الهدي عند الاحرام واحرموا بالحج ولم يكن حج التمتع مفروضا يومئذ فلما نزل فرض حج التمتع بقوله تعالى : «واتموا الحج والعمرة لله» (الى قوله) «فمن تمتع بالعمرة الى الحج» الآية. امر رسول الله (ص) من ساق الهدي ان يبقى على احرامه ويجعل حجه حج قران ومن لم يسق الهدي ان يجعلها عمرة تمتع فيحل من احرامه ثم يحرم للحج وقال دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة فصار فرض البعيدين عن مكة ومنهم اهل المدينة حج التمتع وليس لهم ان يحجوا حج افراد ولا حج قران وانما كان لمن ساق الهدي ان يحج حج قران في ذلك العام فقط ومعنى دخول العمرة في الحج ان المتمتع يكون نسكه مركبا من عملين العمرة والحج فهما بمنزلة شيء واحد بخلاف القارن والمفرد فعملــــه مركب من نسكين مستقلين الحج والعمرة المفردة وفي رواية ان سراقة بن مالك قال يا رسول الله متعتنا هذه لعامنا هذا ام للابد فشبك اصابعه فقال بل لابد الابد دخلت العمرة في الحج هكذا الى يوم القيامة اورده في السيرة الحلبية قوله (ص) لو استقبلت من امري ما استدبرت اي لو كنت اعلم حين احرمت ما علمته اليوم من ان من ساق الهدي ليس له ان يحج حج تمتع بل حجه حج قران ما سقت الهدي بل كنت احرم بغير سياق الهدي ليكون حجي حج تمتع فان حج التمتع افضل من حج القران وحاصلة الندم على سوق الهدي الذي

اوجب ان يكون حجه حج قران وفوت عليه فضيلة حج التمتع (قال المفيد) فاطاع في ذلك بعض الناس وخالف البعض وجرت خطوب بينهم فيه قال منهم قائلون رسول الله (ص) اشعث اغبر ونحن نلبس الثياب ونقرب النساء وندهن وقال بعضهم اما تستحون تخرجون ورؤوسكم تقطر من الغسل ورسول الله على احرامه فانكر رسول الله (ص) على من خالف في ذلك وقال لولا اني سقت الهدي لاحللت وجعلتها عمرة فمن لم يسق هديا فليحل فرجع قوم واقام آخرون على الخلاف وروى النسائي في سننه بسنده عن البراء قال كنت مع علي بن ابي طالب حين امره رسول الله (ص) على اليمن فلما قدم على النبي (ص) قال فقال لي رسول الله (ص) كيف صنعت قلت اهللت باهلالك قال فاني سقت الهدي وقرنت وقال لاصحابه لو استقبلت من امري كما استدبرت لفعلت كما فعلتم ولكن سقت الهدي وقرنت . وروى مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة قالت قدم رسول الله (ص) لاربع مضين من ذي الحجة او خمس فدخل علي وهو غضبان فقلت من اغضبك يا رسول الله ادخله الله النار قال او ما شعرت اني امرت الناس بامر فاذا هم يترددون لو اني استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي معي حتى اشتريه ثم احل كما احلوا . ولما اراد (ص) دخول مكة اغتسل ودخلها نهارا من اعلاها من كداء وضرب خيامه بالابطح ومضى حتى انتهى الى باب بني شيبة وهو المعروف اليوم بباب السلام فدخل المسجد وطاف بالبيت سبعة اشواط ثم صلى خلف المقام ركعتين ثم سعى بين الصفا والمروة من فوره ذلك ثم عاد الى منزله فلما كان قبل التروية بيوم خطب بمكة بعد الظهر ثم خرج يوم التروية الى منى فبات بها ثم غدا الى عرفات بها وقال كل عرفة موقف الا بطن عرنة وخطب الناس بعرفات وتأتي خطبته عند ذكر خطبه فلما غربت الشمس دفع فجعل يسير العنق فاذا وجد فجوة نص حتى جاء المزدلفة فصلى المغرب والعشاء باذان واقامتين وبات بها فلما كان السحر اذن لاهل الضعف من الذرية والنساء ان يأتوا منى قبل حطمة الناس فلما برق الفجر صلى الصبح ثم ركب راحلته فوقف على قزح (جبل) وقال كل المزدلفة موقف الا بطن محسر ثم دفع قبل طلوع الشمس فلما بلغ الى محسر اوضع ثم اتى منى فرمى جمرة العقبة ثم نحر الهدي وحلق راسه واخذ من شاربه وعارضيه وقلم اظفاره وامر بشعره واظفاره ان تدفن . كذا في طبقات

بن سعد وفي رواية اخرى لابن سعد اطاف به اصحابه ما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل . قال صاحب السيرة الحلبية فنحر من البدن ثلاثا وستين بيده الشريفة وهي التي جاء بها من المدينة وامر عليا فنحر الباقي وهو تمام المائة ولعله الذي جاء به من اليمن ثم قال وجاء عن بن عباس انه (ص) اهدى في حجة الوداع مائة بدنة نحر منها ثلاثين وامر عليا فنحر الباقي وقال له اقسم لحومها وجلودها وجلالها بين الناس ولا تعط جزارا منها شيئا وخذ لنا من بعير جذية من لحم واجعلها في قدر حتى ناكل من لحمها ونحسو من مرقها ففعل ثم انه (ص) خطب الناس بمنى يوم العيد بعد الظهر فقال : الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان ثم قال ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا وستلقون ربكم فيسالكم عن اعمالكم الا لا ترجعن بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض الا ليبلغ الشاهد منكم الغائب فلعل بعض من يبلغه ان يكون اوعى له من بعض من سمعه الا هل بلغت . قال بعضهم قد كان ذلك . قد كان بعض من بلغه اوعى له من بعض من سمعه وتاتي هذه الخطبة باطول عند ذكر خطبه (ص) ونادى مناديه بمنى انها ايام اكل وشرب فلا تصومن احد .

خبر غدير خم

ثم ان رسول الله (ص) لما قضى مناسكه قفل راجعا الى المدينة فوصل الى الموضع المعروف بغدير خم يوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشرة من الهجرة وهو مكان قريب من الجحفة بناحية رابغ . وفي تاريخ ابن كثير قال الحافظ ابو يعلى الموصلي والحسن بن سفيان ثنا هدبة ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد وابي هارون عن عدي بن ثابت عن البراء قال : كنا مع رسول الله (ص) في حجة الوداع فلما اتينا على غدير خم كسح لرسول الله (ص) تحت شجرتين ونودي في

الناس الصلاة جامعة ودعا رسول الله (ص) عليا واخذ بيده فأقامه عن يمينه فقال الست اولى بكل امرىء من نفسه قالوا بلى قال هذا مولى من انا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فلقيه عمر بن الخطاب فقال هنيئا لـــك اصبحت وامسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة . وفي السيرة الحلبية : لمـــا وصل (ص) الى محل بين مكة والمدينة يقال له غدير خم بقرب رابغ جمـــع الصحابة فخطبهم (الى ان قال) فقال ايها الناس انما انا بشر يوشك ان يأتيني رسول ربي فأجيب (الى ان قال) ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى بأهل بيته فقال اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ولـــن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض وقال في حق علي لما كرر عليهم الست اولى بكم من انفسكم ثلاثا وهم يجيبونه بالتصديق والاعتراف ورفع يد علي وقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من احبه وابغض من ابغضه وانصر من انصره وأعن من اعانه واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار ثم قال وهذا حديث صحيح ورد بأسانيد صحـــاح وحسان قال ولا التفات لمن قدح في صحته كأبي داود وابي حاتم الرازي وقول بعضهم ان زيادة اللهم وال من والاه الخ موضوعة مردود فقد ورد ذلك من طرق صحيح الذهبي كثيرا منها وقد جاء ان عليا قام خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال انشد الله من شهد يوم غدير خم الا قام ولا يقوم رجل يقول انبئت او بلغني الا رجل سمعت اذناه ووعى قلبه فقام سبعة عشر صحابيا وفي رواية ثلاثون صحابيا وفي المعجم الكبير ستة عشر وفي رواية اثنا عشر فقال هاتوا ما سمعتم فذكروا الحديث وعن زيد بن ارقم وكنت ممن كتم فذهب الله ببصري وكان علي دعا على من كتم قال بعضهم ولما شاع قوله (ص) من كنت مولاه فعلي مولاه في سائر الامصار وطار في الاقطار بلغ الحارث بن النعمان الفهري فقدم المدينة فأناخ راحلته عند باب المسجد ودخل على النبي (ص) وحوله اصحابه فجثا بين يديه ثم قال يا محمد امرتنا ان نشهد ان لا إله الا الله وانك رسول الله فقبلنا ذلك منك وامرتنا ان نصلي في اليوم والليلة خمس صلوات ونصوم شهر رمضان ونزكي اموالنا ونحج البيت فقبلنا ذلك منك ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمـــك ففضلته وقلت من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء من الله او منك فاحمرت عينا رسول الله (ص) وقال والله الذي لا إله الا هو انه من الله وليس مني

قالها ثلاثا فقام الحارث وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فأرسل علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فوالله ما بلغ باب المسجد حتى رماه الله بحجر من السماء فوقع على راسه فخرج من دبره فمات وانزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع الآية وكان ذلك اليوم الثامن عشر من ذي الحجة انتهت السيرة الحلبية .

وقال ابن كثير الشامي في تاريخه اعتنى بأمر هذا الحديث يعني حديث الغدير ابو جعفر بن محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ فجمع فيه مجلدين أورد فيهما طرقه والفاظه وكذلك الحافظ الكبير ابو القاسم بن عساكر أورد احاديث كثيرة في هذه الخطبة يعني خطبة يوم الغدير قال وروى النسائي في سننه عن محمد بن المثنى عن يحيى بن حماد عن ابي معاوية عن الاعمش عن حبيب بن ابي الطفيل عن زيد بن أرقم قال لما رجع رسول الله (ص) من حجة الوداع ونزل غدير خم امر بدوحات فقممن ثم قال كأني قد دعيت فاجبت أني قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ثم قال الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن ثم اخذ بيد علي فقال من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فقلت لزيد سمعته من رسول الله (ص) فقال ما كان في الدوحات احد الا رآه بعينه وسمعه بأذنه قال شيخنا ابو عبد الله الذهبي وهذا حديث صحيح وقال ابن ماجه حدثنا علي بن محمد انا ابو الحسين أنبأنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال اقبلنا مع رسول الله (ص) في حجة الوداع فنزل في الطريق فأمر بالصلاة جامعة فأخذ بيد علي فقال الست أولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا بلى قال الست بأولى بكل مؤمن من نفسه قالوا بلى قال فهذا ولي من انا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن علي بن زيد بن جدعان عن عدي عن البراء وأورد عن عبد الله بن الامام احمد في مسند ابيه بعدة اسانيد عن سعيد بن وهب وعن يزيد بن يثيغ قال نشد علي الناس في الرحبة من سمع رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم ما قال الا قام فقام من قبل سعيد ستة ومن قبل زيد ستة فشهدوا انهم سمعوا رسول الله (ص) يقول لعلي يوم غدير خم أليس رسول الله أولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا بلى قال اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وفي بعضها زيادة وانصر من نصره واخذل من خذله وأورد عنه فيه ايضا بعدة اسانيد من عبد الرحمن بن ابي ليلى نحوه وفي بعضها فقام اثنا عشر رجلا فقالوا قد

قالها ثلاثا فقام الحارث وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فأرسل علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فوالله ما بلغ باب المسجد حتى رماه الله بحجر من السماء فوقع على رأسه فخرج من دبره فمات وأنزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع الآية وكان ذلك اليوم الثامن عشر من ذي الحجة انتهت السيرة الحلبية .

وقال ابن كثير الشامي في تاريخه اعتنى بأمر هذا الحديث يعني حديث الغدير ابو جعفر بن محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ فجمع فيه مجلدين أورد فيهما طرقه والفاظه وكذلك الحافظ الكبير ابو القاسم بن عساكر أورد احاديث كثيرة في هذه الخطبة يعني خطبة يوم الغدير قال وروى النسائي في سننه عن محمد بن المثنى عن يحيى بن حماد عن ابي معاوية عن الاعمش عن حبيب بن ابي الطفيل عن زيد بن أرقم قال لما رجع رسول الله (ص) من حجة الوداع ونزل غدير خم امر بدوحات فقممن ثم قال كأني قد دعيت فاجبت اني قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ثم قال الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن ثم اخذ بيد علي فقال من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فقلت لزيد سمعته من رسول الله (ص) فقال ما كان في الدوحات احد الا رآه بعينه وسمعه بأذنه قال شيخنا ابو عبد الله الذهبي وهذا حديث صحيح وقال ابن ماجه حدثنا علي بن محمد انا ابو الحسين انبأنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال اقبلنا مع رسول الله (ص) في حجة الوداع فنزل في الطريق فأمر بالصلاة جامعة فأخذ بيد علي فقال الست أولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا بلى قال الست بأولى بكل مؤمن من نفسه قالوا بلى قال فهذا ولي من انا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن علي بن زيد بن جدعان عن عدي عن البراء وأورد عن عبد الله بن الامام احمد في مسند ابيه بعدة اسانيد عن سعيد بن وهب وعن يزيد بن يثيغ قال نشد علي الناس في الرحبة من سمع رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم ما قال الا قام فقام من قبل سعيد ستة ومن قبل زيد ستة فشهدوا انهم سمعوا رسول الله (ص) يقول لعلي يوم غدير خم أليس رسول الله أولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا بلى قال اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وفي بعضها زيادة وانصر من نصره واخذل من خذله واورد عنه فيه ايضا بعدة اسانيد عن عبد الرحمن بن ابي ليلى نحوه وفي بعضها فقام اثنا عشر رجلا فقالوا قد

رايناه وسمعناه حيث اخذ بيده يقول اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله الا ثلاثة لم يقوموا فدعا عليهم فأصابتهم دعوته . واورد عنه ايضا بعدة اسانيد عن جماعة منهم ابو الطفيل قال جمع علي الناس في الرحبة يعني رحبة مسجد الكوفة فقال انشد الله كل من سمع رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام فقام ناس كثير فشهدوا حين اخذ بيده فقال للناس اتعلمون اني اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا نعم يا رسول الله قال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال فخرجت كأن في نفسي شيئا فلقيت زيد بن ارقم فقلت له اني سمعت عليا يقول كذا وكذا قال فما تنكر سمعت رسول الله (ص) يقول ذلك له هكذا ذكر الامام احمد في مسند زيد بن ارقم . واورد عن الامام احمد بعدة اسانيد عن زيد بن ارقم في بعضها نزلنا مع رسول الله(ص) منزلا له وادي خم فأمر بالصلاة فصلاها بهجير فخطبنا وظلل رسول الله(ص) بثوب على شجرة ستره من الشمس قال الستم تعلمون ــ او الستم تشهدون ــ اني اولى بكل مؤمن من نفسه قالوا بلى قال فمن كنت مولاه فان عليا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال ابن كثير وهذا اسناد جيد رجاله ثقات على شرط السنن واورد ايضا روايات كثيرة بأسانيدها من كتاب غدير خم لابن جرير وفي بعضها انه (ص) قال ايها الناس اني وليكم قالوا صدقت فرفع يد علي فقال هذا وليي والمؤدي عنه وان الله موالي من والاه ومعادي من عاداه انتهى ما اردنا نقله من تاريخ ابن كثير واستقصاء ما فيه يطول به الكلام وبالجملة فحديث الغدير مستفيض او متواتر وكفى ان يكتب فيه مثل ابن جرير مجلدين .

وفاة النبي (ص) (جيش اسامة)

قال بن اسحق ثم قفل رسول الله (ص) فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفرا وضرب على الناس بعثا الى الشام وامر عليهم اسامة بن زيد بن حارثة مولاه وامره ان يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من ارض فلسطين فتجهز الناس واوعب مع اسامة بن زيد المهاجرون الاولون وهو آخر بعث (ص) وفي رواية الطبري في تاريخه امره ان يوطىء آبل الزيت من مشارف الشام لارض بالاردن .

وقال بن سعد في الطبقات : سرية اسامة بن زيد بن حارثة الى اهل ابني وهي ارض السراة ناحية البلقاء . قالوا لما كان يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة امر (ص) الناس بالتهيؤ لغزو

الروم فلما كان من الغد دعا اسامة بن زيد فقال سر الى موضع مقتل ابيك فاوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغر صباحا على اهل ابني وحرق عليهم واسرق السير تسبق الاخبار فان ظفرك الله فاقل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع امامك فلما كان يوم الاربعاء بدء برسول الله (ص) المرض فحم وصدع فلما اصبح يوم الخميس عقد لاسامة لواء بيده ثم قال اغز بسم الله في سبيل الله فقاتل من كفر بالله فخرج وعسكر بالجرف فلم يبق احد من وجوه المهاجرين الاولين والانصار انتدب في تلك الغزوة فيهم ابو بكر وعمر بن الخطاب وابو عبيدة بن الجراح وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد وغيرهم فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين فغضب رسول الله (ص) غضبا شديدا فخرج وقد عصب على راسه عصابة فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تاميري اسامة ولئن طعنتم في امارتي اسامة لقد طعنتم في امارتي اباه من قبله وايم الله ان كان للامارة لخليقا وان ابنه من بعده لخليق للامارة ثم نزل يدخل بيته وذلك يوم السبت لعشرة خلون من ربيع الاول وثقل رسول الله (ص) فجعل يقول انفذوا بعث اسامة وروى بن هشام في سيرته ان رسول الله (ص) استبطأ الناس في بعث اسامة وهو في وجعه فخرج عاصبا راسه حتى جلس على المنبر وقال انفذوا بعث اسامة ثم نزل وانكمش الناس في جهازهم ثم قال بن سعد في روايته بسنده عن عروة بن الزبير فجعل اسامة واصحابه يتجهزون وقد عسكر بالجرف فاشتكى رسول الله (ص) وهو على ذلك ثم وجد من نفسه راحة فخرج عاصبا راسه فقال ايها الناس انفذوا بعث اسامة ثلاث مرات وروى بن سعد بسنده عن ابي سعيد الخدري عن النبي (ص) اني اوشك ان ادعى فاجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي كتاب الله ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي وان اللطيف الخبير اخبرني انهما لن يفترقا حتى يراد عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما . وقال المفيد في الارشاد انه (ص) تحقق من دنو اجله ما كان قدم الذكر به لأمته فجعل يقوم مقاما بعد مقام في المسلمين يحذرهم الفتنة بعده والخلاف عليه ويؤكد وصاتهم بالتمسك بسنته والاجتماع عليها والوفاق ويحثهم على الاقتداء بعترته والطاعة لهم والنصرة والحراسة والاعتصام بهم في الدين ويزجرهم عن الاختلاف والارتداد وكان فيما ذكره من ذلك ما جاءت به الرواية على اتفاق واجتماع من قوله (ص) يا ايها الناس اني فرطكم وانتم واردون علي الحوض الا واني سائلكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني

فيهما فان اللطيف نبأني الخبير انهما لن يفترقا حتى يلقياني وسألت ربي ذلك فأعطانيه الا واني قد تركتهما فيكم كتاب الله وعترتي اهل بيتي ولا تسبقوهم فتفرقوا ولا تقصروا عنكم فتهلكوا ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم ايها الناس لا الفينكم بعدي ترجعون كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فتلقوني في كتيبة كمجر السيل الجرار الا وان علي بن ابي طالب اخي ووصيي يقاتل بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله وكان (ص) يقوم مجلسا بعد مجلس بمثل هذا الكلام ونحوه ثم انه عقد لاسامة بن زيد بن حارثة الامرة وامره وندبه ان يخرج بجمهور الامة الى حيث أصيب ابوه من بلاد الروم واجتمع رأيه على اخراج جماعة من مقدمي المهاجرين والانصار في معسكره حتى لا يبقى في المدينة عند وفاته من يختلف في امر الرياسة ويطمع في التقدم على الناس بالامارة ويستتب الامر لمن استخلفه من بعده ولا ينازعه في حقه منازع فعقد له الامرة وجد في اخراجهم وامر اسامة بالبروز عن المدينة بمعسكره الى الجرف وحث الناس على الخروج اليه والمسير معه وحذرهم من التلوم والابطاء عنه فبينا هو في ذلك اذ عرضت له الشكاة التي توفي فيها .

واذا امعنا النظر في مجاري هذه الحوادث وتأملناها بانصاف مجرد عن شوائب العقائد امكننا ان نقول ان النبي (ص) مع ما تحققه من دنو اجله بوحي او غيره وأوما اليه بما اعلنه للملأ في خطبته المتقدمة التي خطبها في حجة الوداع بقوله فاني لا ادري لعلي لا القاكم بعد عامي هذا وقوله في بعض خطبه الآتية قد حان مني خفوق من بين أظهركم وتأكيده الوصاية بالثقلين وقوله قد كان جبريل يعرض علي القرآن في كل سنة مرة وقد عرضه علي العام مرتين ولا اراه الا لحضور أجلي واعتكافه في ذلك العام عشرين يوما وقد كان يعتكف عشرة وغير ذلك من التصريح والتلويح بأنه عالم بدنو أجله ومع عروض المرض له واشتداده عليه وهو مع ذلك كله يجتهد في تجهيز جيش اسامة ويحث عليه ويكرر الحث مرارا ويؤمر اسامة وهو غلام على وجوه المهاجرين والانصار ولا يشغله ما هو فيه من شدة المرض وتحقيق دنو الاجل عن الاشتداد في تجهيز جيش اسامة وقد كان مقتضى ظاهر الحال وسداد الراي ان لا يبعث جيشا في أكابر الصحابة وجمهور المسلمين في مثل تلك الحال التي يتخوف على نفسه فيها الموت لان تدارك ما يخاف وقوعه عند وفاته واحكام امر الخلافة في حياته اهم من تسيير جيش لغزو الروم بل لا يجوز في مثل تلك الحال ارسال الجيوش من المدينة ويلزم تعزيز القوة فيها استعدادا لما يطرأ من الفتن بوفاته وقد صرح بذلك في قوله اقبلت

الفتن كقطع الليل المظلم لاسيما انه قد بلغه ارتداد جماعة من العرب في عد اماكن وادعاء بعضهم النبوة لما بلغهم مرضه كما نص عليه الطبري في تاريخه مع تأييده بالوحي وامتيازه عن سائر الخلق بجودة الخلق الرأي تمام ما حث عليه من تجهيز جيش اسامة وبقاء اسامة معسكرا بالجرف حتى توفي النبي (ص) كل ذلك يدلنا على ان الامر شيئا وان تجهيز هذا الجيش لم يكن امرا عاديا لقصد الغزو والفتح بل لو قطعنا النظر عن ذلك كله لوجدنا ان ظاهر الامر يقتضي ان يشتغل في مثل تلك الحال بنفسه وبما عراه من المرض الشديد لا بتسيير الجيوش لغزو ليس فيه ما يقتضي الفور والعجلة مثل مهاجمة عدو او طرو حادث لا يحسن التأخر عنه .

وروى بن سعد في الطبقات بسنده عن ابي مويهبة مولى رسول الله(ص) عنه (ص) انه قال من جوف الليل اني قد امرت ان استغفر لاهل البقيع فانطلق معي فخرجت معه حتى جاء البقيع فاستغفر لاهله طويلا ثم قال ليهنئكم ما اصبحتم فيه مما اصبح الناس فيه اقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضا يتبع آخرها اولها الآخرة شر من الاولى ثم قال اني قد اعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة فقلت بأبي انت وأمي فخذ خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة قال قد اخترت لقاء ربي والجنة . وقال المفيد لما احس بالمرض اخذ بيد علي واتبعه جماعة وتوجه الى البقيع فقال اني قد امرت بالاستغفار لاهل البقيع فانطلقوا معه حتى وقف بين اظهرهم وقال السلام عليكم اهل القبور ليهنئكم ما اصبحتم فيه مما فيه الناس اقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع اولها آخرها ثم استغفر لاهل البقيع طويلا واقبل على علي عليه السلام فقال له ان جبريل كان يعرض عليّ القرآن في كل سنة مرة وقد عرضه علي العام مرتين ولا اراه الا لحضور اجلي ثم قال يا علي اني خيرت بين خزائن الدنيا والخلود فيها او الجنة فاخترت لقاء ربي والجنة . وروى بن سعد في الطبقات بسنده كان جبريل يعرض القرآن في كل سنة مرة على رسول الله (ص) فلما كان العام الذي قبض فيه عرضه عليه مرتين وكان (ص) يعتكف في رمضان العشر الاواخر فلما كانت السنة التي قبض فيها اعتكف عشرين يوما . قال المفيد ثم عاد الى منزله فمكث ثلاثة ايام موعوكا ثم خرج الى المسجد معصوب الرأس معتمدا على امير المؤمنين بيمني يديه على الفضل بن العباس باليد الاخرى حتى صعد المنبر فجلس عليه ثم قال معاشر الناس قد حان مني خفوق من بين اظهركم فمن كان له عندي عدة فليأتني اعطه اياها ومن كان له عليّ دين فليخبرني به معاشر الناس ليس بين الله وبين

احد شيء يعطيه به خيرا او يصرف عنه به شرا الا العمل ايها الناس لا يدع مدع ولا يتمن متمن والذي بعثني بالحق نبيا لا ينجني الا عمل مع رحمة ولو عصيت لهويت اللهم هل بلغت ثم نزل فصلى بالناس صلاة خفيفة ثم دخل بيته وكان اذ ذاك بيت ام سلمة فاقام به يوما او يومين فجاءت عائشة اليها تسالها ان تنقله الى بيتها لتتولى تعليله وسالت ازواج النبي (ص) في ذلك فاذن لها فانتقل الى البيت الذي اسكنه عائشة . وروى الطبري بسنده عن عبيد الله بن عتبة عن عائشة انها قالت تتام برسول الله (ص) وجعه وهو يدور على نسائه وهو في بيت ميمونة فدعا نساءه فاستاذنهن ان يمرض في بيتي فاذن له فخرج رسول الله (ص) بين رجلين من اهله احدهما الفضل بن العباس ورجل آخر تخط قدماه الارض عاصبا راسه حتى دخل بيتي قال عبيد الله فحدثت بهذا الحدث عنها عبد الله بن عباس فقال هل تدري من الرجل قلت لا قال علي بن ابي طالب ولكنها لا تقدر على ان تذكره بخير وهي تستطيع وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن جماعة منهم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة ان رسول الله (ص) بداه مرضه الذي مات به في بيت ميمونة فخرج عاصبا راسه فدخل علي بين رجلين تخط رجـلاه الارض عن يمينه العباس وعن يساره رجل قال عبد الله اخبرني بن عباس ان الذي عن يساره علي . واستمر به المرض فيه اياما وثقل فجاء بلال عند صلاة الصبح ورسول الله (ص) مغمور في المرض فنادى الصلاة رحمكم الله اوذن رسول الله (ص) بندائه (اقول) وهنا اختلفت الرواية هل امر رسول الله (ص) احدا ان يصلي بالناس او لا فروى بن هشام في سيرته انه حين دعاه بلال الى الصلاة قال مروا من يصلي بالناس فخرج عبد الله بن زمعة فاذا عمر فقال له قم فصل بالناس وكان ابو بكر غائبا فلما كبر سمع رسول الله (ص) صوته فارسل الى ابي بكر فجاء بعد ان اتم عمر الصلاة فصلى بالناس وروى الطبري عن عائشة انه قال مروا ابا بكر ان يصلـي بالناس فقالت عائشة انه رجل رقيق فاعاد فاعادت فغضب وقال انكن صواحب يوسف فخرج يهادي بين رجلين وقدماه تخطان في الارض فلما دنا من ابي بكر تاخر فاشار اليه ان قم في مقامك فقعد الى جنب ابي بكر قالت فكـان ابو بكر يصلي بصلاة النبي والناس يصلون بصلاة ابي بكر وروى بن سعد وغيره نحوه . وقال المفيد انه قال يصلي بالناس بعضهم فاني مشغـول بنفسي فقالت عائشة مروا ابا بكر وقالت حفصة مروا عمر فقال رسـول الله (ص) اكففن فانكن صويحبات يوسف وقام مبادرا وانه لا يستقل على الارض من الضعف فأخذ بيد علي بن ابي طالب والفضل بن العباس فاعتمد

عليهما ورجلاه تخطان الارض من الضعف فلما خرج الى المسجد وجد ابا بكر قد سبق الى المحراب فاوما اليه بيده ان تأخر عنه فتأخر وقام (ص) مقامه فكبر وابتدأ الصلاة التي كان قد ابتدأ بها ابو بكر ولم يبن على ما مضى من فعاله ما لنا ولما رواه هؤلاء المؤرخون المختلفون في العقيدة المختلفون في النقل فبعض يروي انه لم يامر احدا بعينه اصلا وبعض انه لم يأمر بذلك في اول الامر ثم امر ابا بكر بعدما سمع عمر يكبر وان الناس صلوا الصبح مرتين وبعض يروي انه امر ابا بكر من اول الامر مالنا ولهذه الاخبار المتناقضة لكننا نقول انهم اتفقوا جميعا على ان رسول الله (ص) خرج الى المسجد في حالة شديد من المرض والضعف حتى انه لا يكاد يستقل ولا ينقل قدميه بل اعتمد على رجلين ورجلاه تخطان الارض خطا وصلى جالسا فان كان يريد بذلك تأييد ابي بكر فقد عينه للصلاة وصلى الناس خلفه ولو لم يخرج لكان اشد تأييدا له لانه بخروجه وقعت الشبهة في انه لم يرض بتقدمه . وائتمام الناس بأبي بكر وهو بالنبي (ص) يوجب ان يكون إماما ومأموما في وقت واحد وهذا غير جائز في الشرع ولم لم يتركه إماما الى آخر الصلاة (قال المفيد) فلما سلم انصرف الى منزله واستدعى ابا بكر وعمر وجماعة من حضر بالمسجد من المسلمين ثم قال الم امركم ان تنفذوا جيش اسامة فقالوا بلى يا رسول الله قال فلم تأخرتم عن امري قال ابو بكر اني خرجت ثم رجعت لاجدد بك عهدا وقال عمر يا رسول الله اني لم اخرج لاني لم احب ان اسأل عنك الركب فقال النبي (ص) نفذوا جيش اسامة يكررها ثلاث مرات ثم اغمي عليه من التعب الذي لحقه والاسف فمكث هنيهة مغمى عليه وبكى المسلمون وارتفع النحيب من ازواجه وولده ونساء المسلمين وجميع من حضر من المسلمين فأفاق رسول الله (ص) فنظر اليهم ثم قال ائتوني بدواة وكتف لاكتب ولكم كتابا لا تضلوا بعده ابدا ثم اغمي عليه فقام بعض من حضر يلتمس دواة كتفا فقال له عمر ارجع فانه يهجر فرجع وندم من حضر على ما كان منهم من التضجيع في احضار الدواة والكتف وتلاوموا بينهم وقالوا انا لله وإنا اليه راجعون لقد اشفقنا مر خلاف رسول الله (ص) فلما افاق قال بعضهم الا نأتيك بدواة وكتف يا رسول الله فقال ابعد الذي قلتم لا ولكني اوصيكم بأهل بيتي خيرا واعرض بوجهه عن القوم فنهضوا . وروى البخاري في الجزء الرابع من صحيحه في باب قول المريض قوموا عني من كتاب المرضى والطب بسنده عن عبيد الله بن عبد الله عن ابي عباس قال لما حضر رسول الله (ص) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي (ص) هل اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال عمر ان النبي قد غلب

عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف اهل البيت فاختصموا منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبي كتابا لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر فلما اكثروا اللغو والاختلاف عند النبي (ص) قال رسول الله (ص) قوموا قال عبيد الله وكان ابن عباس يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ص) وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم . ورواه بن سعد في كتاب الطبقات بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن بن عباس مثله الا ان في الفاظه بعض الاختلاف قال لما حضرت رسول الله (ص) الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب فقال رسول الله (ص) هلم اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال عمر ان رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله (ص) ومنهم من يقول ما قال عمر فلما كثر اللغط والاختلاف واغموا رسول الله (ص) قال قوموا عني فقال عبيد الله فكان بن عباس يقول الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ص) وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب من إختلافهم ولغطهم . وروى البخاري في الجزء الثالث من صحيحه في باب مرض النبي (ص) بسنده عن سعيد بن جبير قال بن عباس يوم الخميس وما يوم الخميس اشتد برسول الله (ص) وجعه فقال ائتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا ما شأنه اهجر استفهموه فذهبوا يردون عليه فقال دعوني فالذي انا فيه خير مما تدعوني اليه واوصاهم بثلاث قال اخرجوا المشركين من جزيرة العرب واجيزوا الوفد نحو ما كنت اجيزهم وسكت عن الثالثة او قال فنسيها . ورواه الطبري في تاريخه بسنده عن سعيد بن جبير عن بن عباس مثله الا انه قال لا تضلوا بعدي وقال : فذهبوا يعيدون عليه وقال وسكت عن الثالثة عمدا او قال فنسيتها . ورواه بن سعد في الطبقات بسنده عن سعيد بن جبير عن بن عباس مثله الا انه قال ائتوني بدواة وصحيفة وقال فذهبوا يعيدون عليه وقال فسكت عن الثالثة فلا أدراي قالها فنسيتها او سكت عنها عمدا . والمتأمل لا يكاد يشك في ان الثالثة سكت عنها المحدثون عمدا لا نسيانا وان السياسة اضطرتهم الى السكوت عنها عمدا وتناسيها وانها هي التي طلب الدواة والكتف ليكتبها لهم . وروى البخاري في صحيحه في هذا الموضع بسنده عن عبد الله بن عبد الله بن عتبة عن بن عباس قال لما حضر رسول الله (ص) وفي البيت رجال فقال النبي (ص) هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال بعضهم ان رسول الله (ص) قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف اهل

البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك فلما اكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله (ص) قوموا قال عبيد الله فكان يقول بن عباس ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ص) وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم . قال القطلاني في ارشاد الساري بعد قوله فقال بعضهم : هو عمر بن الخطاب . وروى بن سعد في الطبقات بسنده عن سعيد بن جبير عن بن عباس قال اشتكى النبي (ص) يوم الخميس فجعل يعني بن عباس يبكي ويقول يوم الخميس وما يوم الخميس اشتد بالنبي (ص) وجعه فقال ائتوني بدواة وصحيفة اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ابدا فقال بعض من كان عنده ان نبي الله ليهجر فقيل الا نأتيك بما طلبت فقال او بعد ماذا فلم يدع به . وبسنده عن جابر بن عبد الله الانصاري قال لما كان في مرض رسول الله (ص) الذي توفي فيه دعا بصحيفة ليكتب فيها لأمته كتابا لا يَضلون ولا يُضلون فكان في البيت لغط وكلام وتكلم عمر بن الخطاب فرفضه النبي (ص) وروى فيه بسنده عن سعيد بن جبير عن بن عباس انه كان يقول يوم الخميس وما يوم الخميس قال وكاني انظر الى دموع بن عباس على خده كأنها نظام اللؤلؤ قال رسول الله (ص) ائتوني بالكتف والدواة اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعد ابدا فقالوا انما يهجر رسول الله (ص) ورواه الطبري في تاريخه بسنده عن سعيد بن جبير عن بن عباس بتفاوت يسير قال يوم الخميس وما يوم الخميس ثم نظرت الى دموعه تسيل على خديه كأنها نظام اللؤلؤ قال رسول الله (ص) ائتوني باللوح والدواة او بالكتف والدواة اكتب لكم كتابا لا تضلون بعده فقالوا ان رسول الله يهجر . وروى بن سعد في الطبقات بسنده عن عمر بن الخطاب قال كنا عند النبي (ص) وبيننا وبين النساء حجاب فقال رسول الله (ص) اغسلوني بسبع قرب وائتوني بصحيفة ودواة اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا فقال النسوة ائتوا رسول الله بحاجته قال عمر فقلت اسكتن فانكن صواحبه اذا مرض عصرتن أعينكن واذا صح اخذتن بعنقه فقال رسول الله (ص) هن خير منكم . وبسنده عن جابر قال دعا النبي (ص) عند موته بصحيفة ليكتب فيها لأمته كتابا لا يضلوا ولا يُضَلوا فلغطوا عنده حتى رفضها النبي (ص) وبسنده عن عكرمة عن بن عباس ان النبي (ص) قال في مرضه الذي مات فيه ائتوني بدواة وصحيفة اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا فقال عمر بن الخطاب من لفلانة وفلانة مدائن الروم ان رسول الله ليس بميت حتى نفتحها ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو اسرائيل موسى فقالت زينب زوج النبي (ص) الا تسمعون النبي يعهد فلغطوا فقال قوموا الحديث

والله لتوفي رسول الله (ص) وانه لمستند الى صدر علي وهو الذي غسله واخي الفضل وأبي ابى ان يحضر (الحديث) وروى الحاكم في المستدرك وصححه بسنده عن احمد بن حنبل بسنده عن ام سلمة قالت والذي احلف به ان كان علي لاقرب الناس عهداً برسول الله (ص) عدنا رسول الله (ص) غداة وهو يقول جاء علي مرارا فقالت فاطمة كأنك بعثته في حاجة فجاء بعد قالت أم سلمة فظننت ان له اليه حاجة فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب وكنت من ادناهم الى الباب فاكب عليه رسول الله (ص) وجعل يساره ويناجيه ثم قبض رسول الله (ص) من يومه ذلك فكان علي اقرب الناس عهداً به .

(وكانت) وفاته (ص) يوم الاثنين على المشهور بين العلماء عند الزوال لليلتين بقيتا من صفر عند اكثر الامامية وقال الكليني منهم لاثنتي عشر ليلة مضت من ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة وقال المفيد في الارشاد والطبرسي في اعلام الورى سنة عشرة من الهجرة قال الطبري في تاريخه: لا خلاف بين اهل العلم بالاخبار انه (ص) قبض يوم الاثنين من شهر ربيع الاول غير انه اختلف فيه فعن فقهاء اهل الحجاز انه قبض نصف النهار يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الاول وقال الواقدي توفي يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول . وروى بن سعد في الطبقات انه (ص) اشتكى يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة احدى عشرة فاشتكى ثلاث عشرة ليلة وتوفي يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة ثم روى انه اشتكى يوم الاربعاء لليلة بقيت من صفر سنة احدى عشرة وتوفي يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول . وعمره ثلاث وستون سنة بعث وعمره اربعون واقام بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة بعد الهجرة عشر سنين ولما توفي رسول الله (ص) كان ابو بكر بمنزله بالسنح خارج المدينة قال الطبري وبن سعد وغيرهما فقال عمر ان رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع بعد ان قيل قد مات والله ليرجعن رسول الله فليقطعن ايدي رجال وارجلهم يزعمون انه قد مات. وفي رواية بن سعد ان عمر دخل عليه هو والمغيرة بن شعبة فكشفا الثوب عن وجهه فقال عمر ما اشد غشي رسول الله (ص) فقال عمر كذبت ما مات الحديث.واقبل ابو بكر حين بلغه الخبر فدخل فرآه ثم خرج فقال ايها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا هذه الآية وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل

الآية . قال عمر فلما تلاها وقعت الى الارض وعرفت ان رسول الله (ص) قد مات وقد سبق لعمر ان قال نظير ذلك في مرض رسول الله (ص) حين طلب (ص) الدواة والصحيفة في حديث بن سعد السابق . والمظنون انه لم يكن ليخفي عليه موت النبي (ص) وان الذي دعاه الى ذلك امر سياسي في المقامين فأراد في المقام الاول صرف الناس عن امر الصحيفة في المقام الثاني صرفهم عن التكلم في امر الخلافة واشغالهم بشيء حتى يحضر ابو بكر والله أعلم .

وروى بن سعد في الطبقات انه غسل رسول الله (ص) علي بن ابي طالب والفضل بن العباس وأسامة بن زيد (وفي رواية) كان علي يغسله والفضل وأسامة يحجبانه (وفي رواية) علي يغسله والفضل محتضنه وأسامة يختلف (وفي رواية) قال علي أوصى النبي (ص) ان لا يغسله احد غيري فكان الفضل وأسامة يناولاني الماء من وراء الستر وهما معصوبا العين وفي رواية غسله علي يدخل يده تحت القميص والفضل يمسك الثوب عليه وعلى يد علي خرقة الى غير ذلك من الروايات التي أوردها بن سعد (قال المفيد) فلما اراد امير المؤمنين غسل النبي (ص) استدعى الفضل بن العباس فأمره ان يناوله الماء لغسله بعد ان عصب عينيه فشق قميصه من قبل جيبه حتى بلغ به الى سرته وتولى غسله وتحنيطه وتكفينه والفضل يعاطيه الماء ويعينه عليه فلما فرغ من غسله وتجهيزه تقدم فصلى عليه وحده لم يشركه معه احد في الصلاة عليه وكان المسلمون في المسجد يخوضون فيمن يؤمهم في الصلاة عليه وأين يدفن فخرج اليهم امير المؤمنين عليه السلام وقال لهم ان رسول الله امامنا حيا وميتا فيدخل عليه فوج بعد فوج منكم فيصلون عليه بغير إمام وينصرفون وان الله لم يقبض نبيا في مكان الا وقد ارتضاه لرمسه فيه واني لدافنه في حجرته التي قبض فيها فسلم القوم للدلك ورضوا به . قال بن هشام فصلى عليه الرجال ثم النساء ثم الصبيان ، وقال بن عبد البر في الاستيعاب صلى عليه علي والعباس وبنو هاشم ثم خرجوا ثم دخل المهاجرون ثم الانصار ثم الناس يصلون عليه أفذاذا لا يؤمهم احد ثم النساء والغلمان ، ولما صلى المسلمون عليه أنفذ العباس بن عبد المطلب برجل الى عبيدة بن الجراح وكان يحفر لأهل مكة ويضرح وكان ذلك عادة اهل مكة ونفذ الى زيد بن سهيل وكان يحفر لأهل المدينة وللحد فاستدعاهما وقال اللهم خر لنبيك فوجد ابو طلحة زيد بن سهل فقيل له احفر لرسول الله فحفر له لحدا ودخل امير المؤمنين والعباس بن عبد المطلب والفضل ابو العباس وأسامة بن زيد ليتولوا دفن رسول الله (ص) فنادت الانصار من وراء البيت يا علي انا نذكرك الله وحقنا

اليوم من رسول الله (ص) ان يذهب ادخل منا رجلا يكون لنا به حظ من مواراة رسول الله (ص) فقال ليدخل أوس بن خولي وكان بدريا فاضلا من بني عوف من الخزرج فلما دخل قال له علي عليه السلام انزل القبر فنزل ووضع امير المؤمنين رسول الله (ص) على يديه ودلاه في حفرته فلما حصل في الارض قال له اخرج فخرج ونزل علي عليه السلام القبر فكشف عن وجه رسول الله (ص) ووضع خده على الارض موجها الى القبلة على يمينه ثم وضع عليه اللبن واهال عليه التراب وربع قبره وجعل عليه لبنا ورفعه من الارض قدر شبر وروي قدر شبر واربع اصابع وظاهر المفيد ان دفنه (ص) كان في اليوم الذي توفي فيه وروى بن هشام انه (ص) توفي يوم الاثنين وغسل يوم الثلاثاء ودفن ليلة الاربعاء ليلا وروى بن سعد مثله الا في الغسل يوم الثلاثاء وروى ايضا انه توفي يوم الاثنين حين زاغت الشمس فلم يدفن حتى كانت العتمة ولم يله الا اقربه وفي رواية انه دفن ليلة الاربعاء في السحر وفي رواية توفي يوم الاثنين حين زاغت الشمس ودفن يوم الثلاثاء حين زاغت الشمس ولعله موافق لما رواه بن هشام انه (ص) توفي يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء وروى ايضا انه توفي يوم الاثنين حين زاغت الشمس ودفن يوم الاربعاء وهذا لا ينافي دفنه ليلة الاربعاء لان اليوم يطلق على الليلة وبالعكس (قال المفيد) ولم يحضر دفنه (ص) اكثر الناس لما جرى بين المهاجرين والانصار من التشاجر في امر الخلافة وفات اكثرهم الصلاة عليه لذلك وروى بن سعد في الطبقات انه رش على قبره (ص) الماء وقال بن عبد البر في الاستيعاب جعل قبره مسطوحا ورش الماء عليه رشا .

وروى بن سعد في الطبقات بسنده عن جعفر بن محمد بن ابيه قال لما توفي رسول الله (ص) جاءت التعزية يسمعون الصوت والحس ولا يرون الشخص : السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة ان في الله عزاء عن كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل ما فات فبالله فثقوا واياه فأرجوا انما المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله . ثم روى بسنده عن جعفر بن محمد عن ابيه عن علي ثم ذكر مثله وقال في آخره فقال علي اتدرون من هذا قالوا لا قال هذا الخضر . ورواه الحاكم في المستدرك بسنده عن جعفر بن محمد بن ابيه عن جابر بن عبد الله نحوه الا انه قال عزتهم الملائكة فقالت وقال وخلفا من كل فائت وترك بعض الفقرات ثم روى تعزية اخرى قريبة منها ونسبها للخضر . وروى بن سعد في الطبقات انه لما توفي رسول الله (ص) قالت فاطمة : يا ابتاه اجاب ربا دعاه يا ابتاه جنة الفردوس مأواه

يا أبتاه الى جبريل تبعاه يا أبتاه من ربه ما ادناه . وروى الحاكم في المستدرك انها عليها السلام بكت رسول الله (ص) فقالت وذكر نحوه . وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن موسى بن جعفر بن محمد بن علي عن ابيه عن جده ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن ابيه عن علي ان فاطمة عليها السلام لما توفي رسول الله (ص) كانت تقول وا أبتاه من ربه ما ادناه وا أبتاه جنان الخلد مأواه وا أبتاه ربه يكرمه اذا اتاه وا أبتاه الرب ورسله يسلم عليه حين يلقاه . وروى غير واحد انه لما دفن رسول الله (ص) قالت فاطمة أطابت نفوسكم ان تحثوا على رسول الله التراب وأخذت من تراب القبر الشريف ووضعته على عينيها وانشأت تقول :

ماذا على من شم تربة أحمد ... ان لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو انها ... صبت على الايام عدن لياليا

قال بن سعد وقالت هند بنت أثاثة بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف اخت مسطح بن اثاثة ترثي النبي (ص) :

أشاب ذؤابتي واذل ركني ... بكاؤك فاطم الميت الفقيدا
فأعطيت العطاء فلم تكدر ... واخدمت الولائد والعبيدا
وكنت ملاذنا في كل لزب ... اذا هبت شامية برودا
وانك خير من ركب المطايا ... وأكرمهم اذا نسبوا جدودا
افاطم فاصبري فلقد أصابت ... رزيتك التهائم والنجودا
وكان الخير يصبح في ذراه ... سعيد الجد قد ولد السعودا

وقالت هند بنت أثاثة ايضا :

قد كان بعدك انباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
انا فقدناك فقد الارض وابلها ... فاحتل لقومك واشهدهم ولا تغب
قد كنت بدرا ونورا يستضاء به ... عليك تنزل من ذي العزة الكتب
وكان جبريل بالآيات يحضرنا ... فغاب عنا وكل الغيب محتجب
فقد رزئت ابا سهلا خليقته ... محض الضريبة والاعراق والنسب

وقالت صفية بنت عبد المطلب ترثي رسول الله (ص) :

وكنت بنا براً ولم تك جافيا ... الا يا رسول الله كنت رجاءنا
وكنت رحيما هاديا ومعلما ... ليبك عليك اليوم من كان باكيا
كأن على قلبي لذكر محمد ... وما خفت من بعد النبي المكاويا
أفاطم صلى الله رب محمد ... على جدث أمسى بيثرب ثاويا
فدى لرسول الله أمي وخالتي ... وعمي وآبائي ونفسي وماليا
صدقت وبلغت الرسالة صادقا ... ومت صليب العود أبلج ضافيا
عليك من الله السلام تحية ... وادخلت جنات من العدن راضيا

وقال حسان بن ثابت يرثي النبي (ص) فيما حكاه بن هشام عن ابي زيد الانصاري :

بطيبة رسم للرسول ومعهد ... منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
وواضح آثار وباقي معالم ... وربع له فيه مصلى ومسجد
عرفت بها رسم الرسول وعهده ... وقبرا بها واراه في التراب ملحد
أطالت وقوفا تذرف العين جهدها ... على طلل القبر الذي فيه احمد
فبوركت يا قبر الرسول وبوركت ... بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
وبورك لحد منك ضمن طيبا ... عليه بناء من صفيح منضد
لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة ... عشية علوه الثرى لا يوسد
وهل عدلت يوم رزية هالك ... رزية يوم مات فيه محمد
تقطع فيه منزل الوحي عنهم ... وقد كان ذا نور يغور وينجد
إمام لهم يهديهم الحق جاهدا ... معلم صدق ان يطيعوه يسعدوا
عفو عن الزلات يقبل عذرهم ... وان يحسنوا فالله بالخير اجود
وان ناب امر لم يقوموا بحمله ... فمن عنده تيسير ما يتشدد
عزيز عليه ان يجوروا عن الهدى ... حريص على ان يستقيموا او يهتدوا
فبيناهم في ذلك النور اذ غدا ... الى نورهم سهم من الموت مقصد
فبكي رسول الله يا عين عبرة ... ولا اعرفنك الدهر دمعك يجمد
ومالك لا تبكين ذا النعمة التي ... على الناس منها سابغ يتغمد
فجودي عليه بالدموع واعولي ... لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد
وما فقد الماضون مثل محمد ... ولا مثله حتى القيامة يفقد
اعف واوفى ذمة بعد ذمة ... واقرب منه نائلا لا ينكد
وامنع ذروات واثبت في العلا ... دعائم عز شاهقات تشيد
واثبت فرعا في العروق ومنبتا ... وعودا غذاه المزن فالعود أغيد
رباه وليداً فاستتم تمامه ... على أكرم الخيرات رب ممجد
تناهت وصاة المسلمين بكفه ... فلا العلم محبوس ولا الراي يفند
اقول ولا يلفى لقولي عائب ... من الناس الا عازب العقل مبعد
وليس هوائي نازعا من ثنائه ... لعلي به في جنة الخلد اخلد

وقال ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يرثي النبي (ص) :

ارقت فبات ليلي لا يزول ... وليل اخي المصيبة فيه طول
واسعدني البكاء وذاك فيما ... اصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت رزيتنا وجلت ... عشية قيل قد قبض الرسول
واضحت ارضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك احق ما سالت عليه ... نفوس الناس او كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا ... بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا ... علينا والرسول لنا دليل

خبر السقيفة

روى بن قتيبة في الامامة والسياسة بسنده انه لما قبض رسول الله(ص)

اجتمعت الانصار الى سعد بن عبادة فقال سعد لابنه قيس اني لا استطيع ان اسمع الناس كلامي لمرضي ولكن تلق مني قولي فاسمعهم ففل فذكر الانصار ونصرتهم الدين وايواءهم الرسول (ص) وانهم احق الناس بهذا الامر فاجابوه ان قد وفقت في الراي ورضوا بامارته . وحكى بن هشام في سيرته عن بن اسحق انه لما قبض رسول الله (ص) انحاز هذا الحي من الانصار (يعني الخزرج) سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة وانحاز علي بن ابي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله في بيت فاطمة وانحاز بقية المهاجرين الى ابي بكر وعمر وانحاز معهم اسيد بن حضير في بني عبد الاشهل (وهو رئيس الاوس) فأتى آت الى ابي بكر وعمر فقال ان هذا الحي من الانصار مع سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة قد انحازوا اليه فان كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا الناس قبل ان يتفاقم امرهم (اقول) الصحيح ان بني هاشم في ذلك الوقت كانوا مع علي عليه السلام مشغولين بجهاز النبي (ص) وانهم لم يجتمعوا مع من انحاز اليهم في بيت فاطمة الا بعد انقضاء البيعة (قال الطبري) فاجتمع الانصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة فبلغ ذلك ابا بكر فجاء ومعه عمر وابي عبيدة بن الجراح فقال ما هذا فقالوا منا امير ومنكم امير فقال ابو بكر منا الامراء ومنكم الوزراء قال بن قتيبة فقام الحباب بن المنذر فقال يا معشر الانصار املكوا على ايديكم فانما الناس في فيئكم وظلالكم ولن يجير مجير على خلافكم ولن يصدر الناس الاعن رايكم انتم اهل العز والثروة والعدد والنجدة وانما ينظر الناس ما تصنعون فلا تختلفوا فيفسد عليكم رايكم انتم اهل الايواء واليكم كانت الهجرة ولكم في السابقين الاولين مثل ما لهم وانتم اصحاب الدار والايمان من قبلهم والله ما عبدوا الله علانية الا في بلادكم ولا جمعت الصلاة الا في مساجدكم ولا دانت العرب للاسلام الا بأسيافكم فأنتم اعظم الناس نصيبا في هذا الامر وان ابى القوم فمنا امير ومنهم امير فقال عمر هيهات لا يجتمع سيفان في غمد واحد انه والله لا ترضى العرب ان تؤمركم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا تولي هذا الامر الا لقريشا من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن اولياؤه وعشيرته الا مدل بباطل او متورط في هلكه (اقول) رهنا يصح لبني هاشم ان يحتجوا على قريش بمثل ما احتجت به قريش على الانصار كما اشار اليه امير المؤمنين عليه السلام في بعض كلامه وفيه يقول الشاعر قيل انه امير المؤمنين وقيل الكميت :

فان كنت بالشورى ملكت امورهم ... فكيف بهذا والمشيرون غيب
وان كنت بالقربى وليست عليهم ... فغيرك أولى بالنبي واقرب

قال بن قتيبة فقام الحباب فقال يا معشر الانصار املكوا على ايديكم ولا تسمعوا مقالة هذا واصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر فان ابوا فاجلوهم عن بلادكم وولوا عليكم من اردتم اما والله ان شئتم لنعيدنها جذعه والله لا يرد على احد ما اقول الا حطمت انفه بالسيف وفي رواية انه قال انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب فلم يجبه عمر واعتذر بأنه كان بينه وبينه منازعة في حياة النبي (ص) فنهاه عنه فحلف ان لا يكلمه بما يسوءه فقام ابو عبيدة وقال يا معشر الانصار انتم اول من نصر وآوى فلا تكونوا اول من يبدل ويغير قال وان بشير بن سعد لما راى ما اتفق عليه قومه من تأمير سعد بن عبادة قام حسدا لسعد وكان بشير من سادات الخزرج فقال يا معشر الانصار لئن كنا أولي الفضيلة في جهاد المشركين والسابقة في الدين ما اردنا ان شاء الله غير رضا ربنا وطاعة نبينا وما ينبغي ان نستطيل بذلك على الناس ولا نبتغي به عرضا من الدنيا ومحمد (ص) رجل من قريش وقومه احق بميراثه وتولي سلطانه (وقال) بن هشام فيما رواه بسنده عن عمر بن الخطاب انه قال من خبرنا حين توفي الله نبيه (ص) ان الانصار خالفونا فاجتمعوا باشرافهم في سقيفة بني ساعدة وتخلف عن علي بن ابي طالب والزبير بن العوام ومن معهما واجتمع المهاجرون الى ابي بكر (الى ان قال) فانطلقنا حتى اتيناهم في سقيفة بني ساعدة فاذا بين ظهرانيهم رجل مزمل فقلت من هذا فقالوا سعد بن عبادة فقلت ماله قالوا وجع فلما جلسنا تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو له اهل ثم قال اما بعد فنحن انصار الله وكتيبة الاسلام وانتم يا معشر المهاجرين رهط منا قال واذا هم يريدون ان يحتازونا من اصلنا ويغتصبوا الامر فلما سكت أردت ان اتكلم وقد زورت في نفسي مقالة قد اعجبتني اريد ان اقدمها بين يدي ابي بكر فقال على رسلك يا عمر فوالله ما ترك كلمة اعجبتني من تزويري الا قالها في بديهته او مثلها او افضل قال ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له اهل ولن تعرف العرب هذا الامر الا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا وقد رضيت لكم احد هذين الرجلين فبايعوا ايهما شئتم وأخذ بيدي وبيد ابي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا فقال قائل من الانصار انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا امير ومنكم امير يا معشر قريش فكثر اللغط وارتفعت الاصوات فقلت ابسط يدك يا ابا بكر فبسط يده فبايعته ثم بايعه المهاجرون ثم الانصار ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم قتلتم سعد بن عبادة فقلت قتل الله سعد بن عبادة . وفي رواية بن قتيبة فقال سعد قتلتموني فقيل اقتلوه قتله الله (قال الطبري) فبايعه عمر وبايعه الناس قال فقالت

الانصار او بعض الانصار لا نبايع الا عليا قال ابن قتيبة فلما ذهبا يبايعانه سبقهما اليه بشير الانصاري فبايعه فناداه الحباب بن المنذر يا بشير بن سعد حسدت ابن عمك على الامارة قال لا ولكني كرهت ان انازع قوما حقا لهم فلما رات الاوس ما صنع بشير بن سعد وهو من سادات الخزرج وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة قال بعضهم وفيهم اسيد بن حضير لئن وليتموها سعدا عليكم مرة واحدة لا زالت لهم بذلك عليكم الفضيلة ولا جعلوا لكم فيها نصيبا ابدا فقوموا فبايعوا ابا بكر فقاموا فبايعوه فقام الحباب بن المنذر الى سيفه فأخذه فبادروا اليه فأخذوه منه فجعل يضرب بثوبه وجوههم حتى فرغوا من البيعة فقال فعلتموها يا معشر الانصار اما والله لكاني بأبنائكم على باب ابنائهم يسألونهم بأكفهم ولا يسقون الماء فقال سعد بن عبادة اما والله لو ان لي ما اقدر به على النهوض لسمعتم مني في اقطارها زئيرا يخرجك انت واصحابك ولالحقنك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع خاملا غير عزيز فقال سعد احملوني من هذا المكان فحملوه فادخلوه داره وترك اياما ثم بعث اليه ابو بكر ان اقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك فقال لا والله حتى ارميكم بكل سهم في كنانتي واخضب منكم سنان رمحي واضربكم بسيفي ما ملكته يدي واقاتلكم بمن معي من اهلي وعشيرتي ولو ان الجن اجتمعت لكم مع الانس ما بايعتكم حتى اعرض على ربي فقال عمر لا تدعه حتى يبايع فقال لهم بشير بن سعد انه قد ابى ولج وليس يبايعك حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وعشيرته والخزرج والاوس فلا تفسدوا على انفسكم امرا قد استقام لكم وانما هو رجل واحد فتركوه فكان لا يصلي بصلاتهم ولا يجمع بجمعهم ولا يفيض بافاضتهم ولا يجد عليهم أعوانا لقاتلهم فلم يزل كذلك حتى توفي ابو بكر وولي عمر فخرج الى الشام فمات بها ولم يبايع لأحد انتهت الإمامة والسياسة . وكان خروجه الى حوران وكان سبب موته انه خرج ليلا فجاءه سهم فقتله ويقال ان الذي رماه المغيرة بن شعبه ونسب ذلك الى الجن ونظم فيه شعر عن لسانهم :

قد قتلنا سيد الخز رج سعد بن عبادة
ورميناه بسهمين فلم تخط فؤاده

قال المفيد واغتنم القوم الفرصة بشغل علي بن ابيطالب برسول الله(ص) وانقطاع بني هاشم عنهم بمصابهم برسول الله (ص) فبادروا الى ولاية الامر واتفق لهم ما اتفق من اختلاف الانصار فيما بينهم (يعني من انحياز اسيد بن حضير في قومه الى المهاجرين ومخالفة بشير بن سعد لسعد بن عبادة) وكراهية الطلقاء والمؤلفة قلوبهم تأخر الامر حتى يفرغ بنو هاشم (قال) وقد

جاءت الرواية انه جاء رجل الى امير المؤمنين وهو يسوي قبر رسول الله (ص) بمسحاة في يده فقال له ان القوم قد بايعوا ابا بكر ووقعت الخذلة للانصار لاختلافهم وبدر الطلقاء بالعقد للرجل خوفا من ادراككم الامر فوضع طرف المسحاة على الارض ويده عليها ثم قال : (بسم الله الرحمن الرحيم الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما تحكمون) . قال وقد كان ابو سفيان جاء الى باب رسول الله (ص) وعلي والعباس متوافران على النظر في امره فنادى :

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ولاسيما تيم بن مرة او عدي
فما الامر الا فيكم واليكم وليس لها الا ابو حسن علي
ابا حسن فاشدد بها كف حازم فانك بالامر الذي تبتغي ملي

ثم نادى باعلى صوته يا بني هاشم يا بني عبد مناف ارضيتم ان يلي ابو فيصل ... اما والله لو شئتم لاملأنها عليهم خيلا ورجلا فناداه امير المؤمنين ارجع يا ابا سفيان فوالله ما تريد الله بما تقول ولا زلت تكيد الاسلام واهله ونحن مشاغيل برسول الله (ص) وعلى كل امرىء ما اكتسب وهو ولي ما احتقب فانصرف ابو سفيان الى المسجد فوجد بني امية مجتمعين فيه فحرضهم على الامر فلم ينهضوا له وقد علم علي (ع) ان ابا سفيان لم يرد بذلك الخير لبني هاشم ولا للمسلمين وانما اراد التهويش على الخليفة الاول لينال منه مأربا كما يفعله اليوم وقبل اليوم من يريد منصبا في الدولة فيهيج الناس عليها ويلقي الفتن لترضيه بمال او بمنصب ويدل على ذلك انه لما سمع الخليفة مقالته ولى ابنه فرضي وسكت وقال وصلته رحم (روى الطبري) بسنده قال لما استخلف ابو بكر قال ابو سفيان مالنا ولابي فيصل انما هي بنو عبد مناف فقيل له انه قد ولى ابنك قال وصلته رحم. وروى الطبري ايضا قال اتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال والله لاحرقن عليكم او لتخرجن الى البيعة فخرج عليه الزبير مصلتا بالسيف فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فاخذوه (وفي رواية اخرى) للطبري تخلف علي والزبير واخترط الزبير سيفه وقال لا اغمده حتى يبايع علي فقال عمر خذوا سيف الزبير فاضربوا به الحجر فانطلق اليهم عمر فجاء بهما تعبا وقال لتبايعان وانتما طائعان او لتبايعان وانتما كارهان فبايعا (وروى الطبري) ايضا في حديث انه قيل للزهري افلم يبايع علي ستة اشهر قال لا ولا احد من بني هاشم حتى بايعه علي (يعني بعد وفاة فاطمة عليها السلام) وقال بن الاثير :

الصحيح ان امير المؤمنين لم يبايع الا بعد ستة اشهر وقال بن قتيبة في الإمامة والسياسة * وان بني هاشم اجتمعت عند بيعة الانصار الى علي بن ابي طالب ومعهم الزبير ابن العوام وكانت امه صفية بنت عبد المطلب وانما كان يعد نفسه من بني هاشم وكان علي يقول ما زال الزبير منا حتى نشا بنوه فصرفوه عنا واجتمعت بنو امية الى عثمان وبنو زهرة الى سعد وعبد الرحمن بن عوف فكانوا في المسجد مجتمعين فقال لهم عمر مالي اراكم مجتمعين حلقا شتى قوموا فبايعوا ابا بكر فقد بايعته الانصار فقام عثمان ومن معه من بني امية فبايعوه وقام سعد وعبد الرحمن ومن معهما من بني زهرة فبايعوا واما علي والعباس ومن معهما من بني هاشم فانصرفوا الى رحلهم ومعهم الزبير بن العوام فذهب اليهم عمر في عصابة فيهم اسيد بن حضير وسلمة بن اشيم فقالوا انطلقوا فبايعوا فأبوا فخرج الزبير بالسيف فقال عمر عليكم بالرجل فخذوه فوثب عليه سلمة فاخذ السيف من يده فضرب به الجدار وانطلقوا به فبايع وذهب بنو هاشم ايضا فبايعوا ثم ان عليا اتى به الى ابي بكر وهو يقول انا عبد الله واخو رسول الله (ص) فقيل له بايع فقال انا احق بهذا الامر منكم لا ابايعكم وانتم اولى بالبيعة لي اخذتم هذا الامر من الانصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي وتأخذونه منا اهل البيت غصبا فاذا احتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الانصار نحن اولى برسول الله حيا وميتا فأنصفونا ان كنتم تؤمنون والا فبوؤا بالظلم وانتم تعلمون فقال له عمر انك لست متروكا حتى تبايع فقال له علي احلب حلبا لك شطره وشده اليوم يرده عليك غدا ثم قال والله يا عمر لا اقبل قولك ولا ابايعه فقال ابو عبيدة يا ابن عم انك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم وانك ان تعش فانت لهذا الامر خليق في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك فقال علي الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد في العرب من داره وقعر بيته وتدفعوا اهله عن مقامه فوالله لنحن احق الناس به لانا اهل البيت ونحن احق بهذا الامر منكم ما كان فينا القارىء لكتاب الله الفقيه في دين الله العالم بسنن رسول الله (ص) المتطلع لامر الرعية الدافع عنهم الامور السيئة القاسم بينهم بالسوية والله انه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعدا وقال بشير بن سعد الانصاري لو كان هذا الكلام سمعته الانصار منك يا علي قبل بيعتها لابي بكر ما اختلفت عليك . قال وخرج علي يحمل فاطمة بنت رسول الله (ص) على دابة ليلا في مجالس الانصار تسالهم النصرة فكانوا يقولون يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا

لهذا الرجل ولو ان ابن عمك سبق الينا ما عدلنا به فيقول علي افكنت ادع رسول الله (ص) في بيته لم ادفنه واخرج انازع الناس سلطانه فقالت فاطمة ما صنع ابو الحسن لا ما كان ينبغي له وقد صنعوا ما لله حسيبهم وطالبهم قال وان ابا بكر تفقد قوما تخلفوا عن بيعته عند علي فبعث اليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار علي فأبوا ان يخرجوا فدعا بالحطب وقال والذي نفس عمر بيده لتخرجن او لاحرقنها على من فيها فقيل له يا ابا حفص ان فيها فاطمة فقال وان فخرجوا فبايعوا الا عليا فانه زعم انه حلف ان لا اخرج ولا اضع ثوبي على عاتقي حتى اجمع القرآن فوقفت فاطمة على بابها فقالت لا عهد لي بقوم حضروا اسوا محضرا منكم تركتم رسول الله (ص) جنازة بين ايدينا وقطعتم امركم بينكم لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقا فأتى عمر ابا بكر فقال له الا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة فقال لقنفذ مولاه اذهب فادع لي عليا فذهب فقال يدعوك خليفة رسول الله فقال لسريع ما كذبتم على رسول الله فرجع فابلغ الرسالة فبكى ابو بكر طويلا فقال عمر الثانية لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة فقال لقنفذ عد اليه فقل له امير المؤمنين يدعوك لتبايع فجاءه فابلغه فرفع علي صوته فقال سبحان الله لقد ادعى ما ليس له فرجع قنفذ فأخبره فبكى طويلا ثم قام عمر ومعه جماعة حتى اتى باب فاطمة فدقوا الباب فلما سمعت اصواتهم نادت بأعلى صوتها يا ابت يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن ابي قحافة فلما سمع القول صوتها وبكاءها انصرفوا باكين وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا عليـــا فمضوا به فقالوا له بايع فقال ان انا لم افعل فمه قالوا اذا والله نضرب عنقك قال اذا تقتلون عبد الله واخا رسوله قال عمر اما عبد الله فنعم واما اخا رسوله فلا وابو بكر ساكت فقال له عمر الا تأمر فيه بأمرك قال لا اكرهه على شيء ما كانت فاطمة الى جنبه فلحق علي بقبر رسول الله (ص) يبكي وينادي يا ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني الي (ان قال) فلم يبايع علي حتى ماتت فاطمة الإمامة والسياسة وهكذا تم الامر ولم يجر لبيعة يــوم الغدير بينهم ذكر سوى انه قام اثنا عشر رجلا فاحتجوا على هذه البيعة روى ذلك الطبرسي في كتاب الاحتجاج عن ابان بن تغلب عن الصادق عليه السلام وهم من المهاجرين خالد بن سعيد بن العاص من بني امية وسلمان الفارسي وابو ذر الغفاري والمقداد بن الاسود وعمار بن ياسر وبريدة الاسلمي . ومن الانصار ابو الهيثم بن التيهان وسهل بن عثمان ابنا حنيف وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وابي بن كعب وابو ايوب الانصاري . وسوى قول الانصار او بعض الانصار ولا نبايع الا عليا . ويتلخص الموقف في ان جيش اسامة الذي

اراد النبي (ص) انفاذه لما احس بدنو اجله لامر سياسي مهم عنده لم ينفذ لامر سياسي مهم عند من لم ينفذوه . وان الناس انقسموا بعد وفاته (ص) ثلاثة احزاب او اربعة فحزب ابي بكر وعمر وهم جل المهاجرين وحـزب بني هاشم ومعهم قليل من المهاجرين وكثير من الانصار او اكثرهم الذين قالوا لا نبايع الا عليا وحزب عثمان وهم بنو امية ومن لف لفيفهم وحزب سعد من الخزرج ولم يكن انحراف قريش عن علي لشيء فيه ينقص من اهليتـــه للخلافة مقدار شعرة ولا لشيء في غيره يوجب امتيازه عن علي او مساواته له في القيام بمهام الخلافة ولكن قريشا ــ وجل المهاجرين منها ــ قد وترها علي في حروبه لتمهيد الاسلام وكثير منها دخل الاسلام كرها والضغائن من نفوسها لم تذهب فهي لا تطيق ان تكون في بني هاشم النبوة والخلافة وهم من عشيرتها والبغض والحسد في الاهل والعشيرة اشد من غيره مضافا الى حب الرياسة الكامن في نفوس البشر فقريش حاولت جهدها ابطال نبوة محمد (ص) فلم تفلح وتغلب عليها وقهرها وفتح مكة ودخلها مالكا لها بعدما خرج منها هربا وخوفا فكيف تترك بني هاشم تستولي على الخلافة ثانيا ويكون الراس فيها علي بن ابي طالب قاتل صناديد قريش وقاهرها ومؤسس دولة ابن عمه وناصرها فليس من الغريب انحيازها الى حزب ابي بكر وعمر وانحرافها عن علي الا اقلها . اما بنو امية فانحازوا اولا الى عثمان ولكن عثمان لما راى انه ليس في وسعه معارضة الشيخين ومن تبعهما وليس له مكانتهما في الناس انحاز الى حزبهما . وبالطبع لم يكن لينحاز الى حزب بني هاشم وهبه وطن نفسه على ذلك فقومه لم يكونوا ليطيعوه وقد وترهم بنو هاشم ولاسيما علي وعدواتهم معهم قديمة قبل الاسلام ولم تفت هذه الفرصة رئيس بني امية ابا سفيان ان يستفيد منها حسبما تساعد عليـــه الحال في ذلك الوقت فجاء الى علي وبني هاشم فحرضهم على طلب الخلافة وانتقص الخليفة ولم يخف ذلك على علي فرده اقبح رد وولى الخليفة ابنه فقال وصلتك رحم وسكت ولم ينس الخليفة الثاني هذه المساعدة من عثمان وبني امية فولى معاوية الشام بعد اخيه يزيد ورشح عثمان للخلافة يـوم الشورى وسن لها قانونا يكون بسببه الخليفة هو عثمان حتما كما سياتي هناك فلم يبق الا ثلاثة احزاب حزب قريش وحزب بني هاشم وحزب سعد وبانحياز اسيد بن حضير رئيس الاوس ومعه الاوس كلها الى حزب قريش حسدا لسعد قوي حزب قريش وبانحياز بشير بن سعد احد رؤساء الخزرج الى حزب قريش حسدا لسعد بقي سعد مفردا ليس معه الا قليل فان بشيرا انحاز معه اكثر الخزرج من عشيرته وغيرها فعشيرة الرئيس تتبعه بالطبع

وغيرها للتقرب الى الخليفة لئلا يستأثر غيرهم بالمكانة عنده على ان بني امية لم ينسوا هذه المساعدة لبشير التي هي مساعدة لهم على اعدائهم الالداء بني هاشم فقرب معاوية النعمان بن بشير هذا وادناه وكان من انصار معاوية يوم صفين حيث لم يكن معه من الصحابة الا قليل هو احدهم ثم ولاه معاوية الكوفة وبعده ابنه يزيد وضعف ايضا حزب بني هاشم ولم يبق معهم احد وكان اقوى الاسباب في ذلك الحسد كما قال الشاعر :

حسدا حملته من اجلها وقديما كان في الناس الحسد

انتهى